هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٦٧ - ربيع الأول ١٤١٧هـ - يوليو - أغسطس ١٩٩٦م

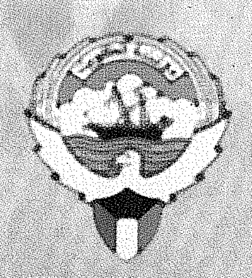
كويت

في الذكرى السادسة للغزو الغاشم

شهود ملحمة التصدي والصمود

- النهضة وعائق التطبيع
- كعب بن زهير شاعر البردة

صدر حديثاً

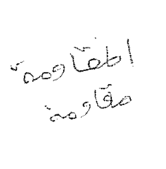


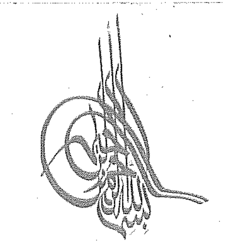
دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الكشاف العام
لمجلة الوعي الاسلامي

الجزء الأول

اصدار
مجلة الوعي الاسلامي
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م





الوعي الإسلامي

AIWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry
Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٦٧ – السنة الثانية والثلاثون – ربيع الأول ١٤١٧هـ
يوليو – اغسطس ١٩٩٦م

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥) داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:

شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

كلمة العدد

فلا تتبعوا الهوى

يمر عالمنا المعاصر بمتغيرات سريعة ومتلاحقة، وأحداث هنا وهناك، تجعل الصحافة بكل توجهاتها تلهث وراءها، محاولة تغطيتها وتحليلها واستشراق آفاق المستقبل من منظورها.

و«الوعي الإسلامي» تعايش أحداث العالمين العربي والاسلامي وتعنى بالأحداث العالمية.

وقد احتوى عددها هذا على «ملف الغزو» ومايتعلق «بالصحة النفسية»، وقضايا «الفكر والثقافة» وقضايا « اجتماعية » و«طبية» و«أسرية» وطرح ادبي وقضيا «علمية».

وغير ذلك مما تحرص «الوعي الاسلامي» على نشره إحياء للثقافة الاسلامية الصافية النقية من أي شائبة.

وإننا لنرجو لأمتنا العربية والاسلامية ميلادا جديدا تعز فيه وتقوم بدورها الريادي في العالم فرسولها الذي شرف الوجود بمولده خير رسل الله وقد جاء رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة واخرج الله به للناس خير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر..

وتأمل معي أخي القاريء قوله تعالى:

﴿يأيها الذين أمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ الأية ١٣٥ – النساء.

الوعي الاسلامي

طبع في مطابع دار السياسة

الاشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ دينار اً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع جنيه مصري واحد ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٦ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

في هذا العدد



في الذكرى السادسة للغزو الغاشم

اقرأ في الأعداد القادمة



○ آخر حوار مع الدكتور عبدالمجيد الطرابلسي وزير الأوقاف السوري قبل رحيله/
عبدالرحمن رقية

○ الوسطية الاسلامية/
د.محمد عمارة

○ المشاريع الثقافية لمسلمي آسيا الوسطى/
زبن العتيبي

○ استراتيجيات التأمين العربي/
مصطفى أحمد عبدالوارث

○ إسلامية المعرفة منهج لتحرير العقل/
د.سعيداسماعيل علي

○ التعريب ومستقبل الدور العربي والاسلامي/
عبدالحافظ متولي.

○ الاسلام والشذوذ الجنسي/
د.نزيه حماد

○ هجرة العقول خارج الوطن الإسلامي/
مصطفى أحمد قنبر

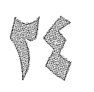
الثقافة وأثرها في تشكيل شخصيات الأفراد

● هل الثقافة تشكل الشخصية الأساسية لدى الأفراد؟ وهل العناصر المكونة لها يجب أن تكون منسقة تنسيقا طبيعيا؟



النهضة وعائق التطبيع

● النهضة عملية ابداعية ولا يمكن للابداع أن يحصل من الفراغ بل لابد من الاستفادة من السابق والتجادل معه.



الوحدة الوطنية بين الواقع والمأمول

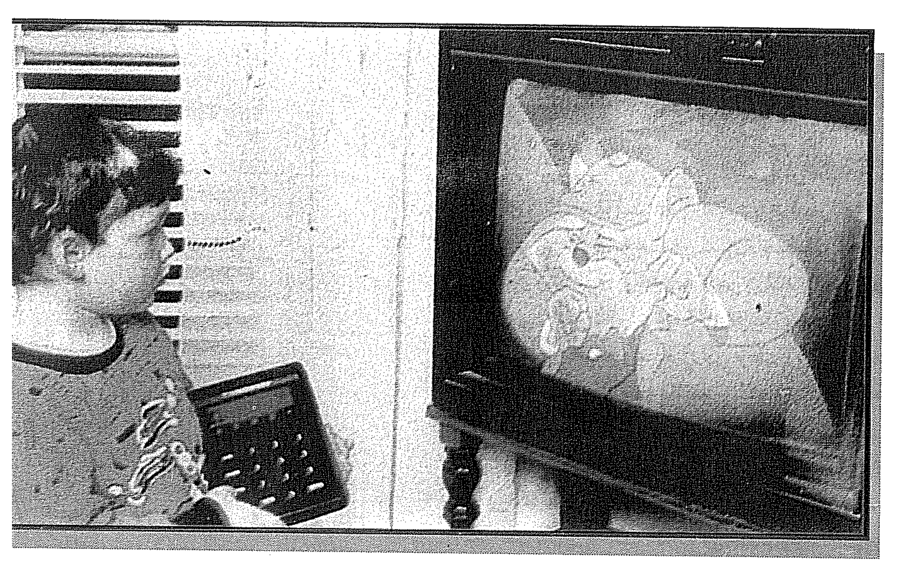
● في الوطن تنصهر قلوب أهل الديانات جميعا في معين التوحيد ليحتضنهم في النهاية (الاسلام) فيظلهم بروحه ويسبغ عليهم سماحته.



عوالم الاسلام

● كتاب صدر في المانيا للعالم الاستاذ جرنوت روتر تناول عددا كبيرا من الموضوعات المهمة المطروحة على الساحة الاعلامية مثل قضايا المرأة والاسلام السياسي والاصولية والديمقراطية والقومية العربية والوحدة الاسلامية.





أطفالنا وشاشة التلفاز!

● الأطفال هم الهدف المكشوف الذي تتساقط عليه سهام الشاشة الصغيرة بلا رحمة ولا فتور، ترى من المسؤول عن هذه القضية الخطيرة على تربية النشء؟!



الفهرس

بريد القراء

كيف نحتفل بالمولد النبوي

يحتفل المسلمون في مشارق الارض ومغاربها هذه الايام بذكرى المولد النبوي الشريف والاحتفال بالمولد عمل عظيم ومظهر جليل ولكن الله تبارك وتعالى لايرضى عن جماعة يحتفلون بالمولد وهم عن سيرة صاحبه معرضون ولسنته نابذون، لايرضى الله عن جماعة يحتفلون بالمولد وهم مضيعون للصلاة مانعون للزكاة مفطرون في رمضان متكاسلون عن حج بيت الله الحرام ومع العلم بأنهم اغنياء، ان واجب المسلمين ان يحتفلوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت وان يترسموا خطواته في كل عمل وان الاحتفال الحقيقي بمولد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو التمسك بشريعته والعمل بسنته وتنفيذ احكامه واقامة حدوده والابتعاد عن كل ماينهى عنه.

لقد رسم القرآن الكريم لنا طريقة الاحتفال بنبينا النبي الكريم والحفاوة بذلك الرسول العظيم فأوجب علينا ان نأتمر بأمره ونزدجر بزجره قال تعالى﴿وما اتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا﴾. كما نهى ان نقدم رأينا على رأيه او نرفع صوتنا على صوته وكل عام وانتم بخير.

مصطفى محمد سليمان المراغي

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

كلمات متقاطعة

بفضل الله قمت بابتكار كلمات متقاطعة اسلامية على غرار الكلمات المتقاطعة التي تنشر في المجلات والجرائد ولكنها تختلف عنهم بأنها اسلامية صرفه حيث تحتوي على معلومات اسلامية تشمل آيات من القرآن الكريم والاحاديث النبوية والغزوات والصحابة ورواة الحديث والفاتحين وخلفاء المسلمين والتعريف بالأمة الاسلامية وقواعد اللغة العربية مع الوضع في الاعتبار الاحداث الجارية مما يهم عامة المسلمين.

ولقد استعنت بالله ثم بالمراجع التالية (القرآن الكريم- قاموس لسان العرب ومختار الصحاح - وكتب التاريخ - صحيح البخاري - واطلس الجغرافيا وكتب اخرى صحيحة متنوعة).

والاستعانة بالله ثم بتلك المراجع استطيع ان استمر في كتابة هذه الكلمات المتقاطعة الاسلامية الى ماشاء الله.

وانني اتمنى من الله ان توافقوا على هذا المشروع في مجلتكم الحبيبة لتكون بأذن الله اضافة جديدة الى مجلتكم الشيقة والمحببة لدى كل مسلم يهتم بأمور دينه ودنياه وتزيد من ثقافة المسلمين الاسلامية وليست الفنية الغثة التي تنشر في معظم المجلات والجرائد والتي لاتضيف الى المسلمين إلا السيء من المعلومات التي لاتزيد المسلمين إلا خسارا.

○ أسامة على حماد / مصر

□ **الوعي الاسلامي : الفكرة طيبة ونأمل ان تأخذ طريقها الى التنفيذ**

عناوين الجاليات الاسلامية

اطلعت على العدد ٣٥٧ جمادى الاولى ١٤١٦هـ من مجلتنا الغراء الوعي الاسلامي التي تربطنا بالعالم الاسلامي وتزودنا بأخباره ولقد قرأت حوار الشيخ « علي التون صوى» حول المسلمين في استراليا والمجهود الذي يقومون به وادعو الله لهم من كل قلبي ان يوفقهم لما فيه خير الاسلام والمسلمين وارجو ان تساعدونا نحن قراء الوعي الاسلامي بأن تنشروا عناوين الجاليات الاسلامية في الدول الغربية لكي نكون دائماً على اتصال بإخواننا هناك سواء بارسال الكتب الدينية لهم او الاقتراحات.

وجزاكم الله خيراً عما تقدمونه للاسلام.

ردود سريعة

- الأخ القارىء طويل .ب .يوسف / الجزائر
احلنا رسالتك إلى ادارة الثقافة الإسلامية في الــوزارة لتلبيــة طلبك وشكــراً على ثقتك بالمجلة.

- الأخ القارىء رضوان أبو شوشة رضوان/ مصر: صفحـات الشعـر والأدب مفتـوحـة للجميع شرط ان يكون شعراً ملتزماً رصيناً لا يتعـارض مع التصور الاسلامي في نظرتـه السامية للكون والحياة والانسان.

- الأخ محمود البحيري/ مصر:لدينا كم كبير من المقالات وكل مقالة تأخذ دورها في التقييم والمراجعـة وهنـاك أولـويـة في النشر لبعض المقالات التي تعالج قضايا اسلامية معاصرة اضـافـة الى ان المجلـة غير ملـزمـة بنشر كل مايرد اليهـا وفقكم الله وسدد خطـانا جميعاً لما فيه الخير.

- الأخ القـــاريء محمـــد حســن مصطفى النحاس /مصر:
يمكنكم مراسلة بيت التمويل الكويتي مباشرة للحصول على مطبوعاته وعنوانه هو: الكويت ص.ب: ٢٤٩٨٩- الصفاة ١٣١١٠

الجامعة الاسلامية المفتوحة

نظراً لما نشر بالعدد السابق رقم ٣٦٢ شوال ١٤١٦هـ-مارس ١٩٩٦م الصفحة رقم ٢٣ بخصوص الاعـلان عن الجامعة الاسـلامية المفتوحة بأمريكـا ونظراً لـرغبتي الشديـدة للانضمام إلى تلك الجامعة.

لـذلك آمل من سيـادتكم مـوافاتنـا بعنوان الجامعة الاسلامية المفتوحة التي تم افتتاحها بتـاريخ ١٩٩٦/١/٢٢ في مدينـة واشنطن حتى يتسنى لنـا مخاطبتها على هـذا العنوان للالتحاق بها ومعرفة شروطها.

ووفقنا وإياكم الله لما فيه صالح المسلمين.
ولسيادتكم جزيل الشكر والتقدير.

فوزي محمد السيد الدماطي

☐ الوعـي الاسلامي : يمكنكم مـراسلة الجمعية الاسلامية في بوسطن لمعـرفة عنـوان الجـامعـة وذلك على العنـوان التالي:

Mailing Address
P.O.Box 131 Cambridge, MA 02142 - U.S.A

سقطات.. لايرضاها الدين

في اغنيـة كتبهـا شـاعــر معـروف، وغنـاهـا مطـرب كبير، تطـرح في بـدايتهـا تسـاؤلات ثـلاثـة هي على الترتيب:

١- جايين الـدنيا مـانعرف ليه؟

٢- ولارايحين فين؟

٣- ولاعايزين إيه؟

هكـذا تبـدأ الاغنيـة بهذه التساؤلات التقريرية الثلاثة السـاذجـة، التي لايسألها تلميذ في المرحلة الابتـدائيـة يحفظ كتاب الله.

لـو كـان الشاعـر المذكـور، ومن بعده المغنـي المشهور، قد فتـح احدهما كتـاب الله الكريم لـوجد الإجابة جلية على هذه التساؤلات.

فعن السؤال الاول:
يجيب القــرآن الكـــريم بقـولــه: ﴿ومـاخلقت الجن والانس إلا ليعبــدون﴾ [الـذاريــات/ ٥٦] ويجب بقـولـــه : ﴿ومن يتبغ غير الاسلام دينـا فلن يقبل منه وهـــو في الآخـــرة من الخاسرين﴾[آل عمــران /٨٥].

ويجيب ﴿إنـا جلعنا مـا على الارض زينه لها لنبلـوهم أيهم احسـن عمـــــلا﴾ [الكهف/٧].

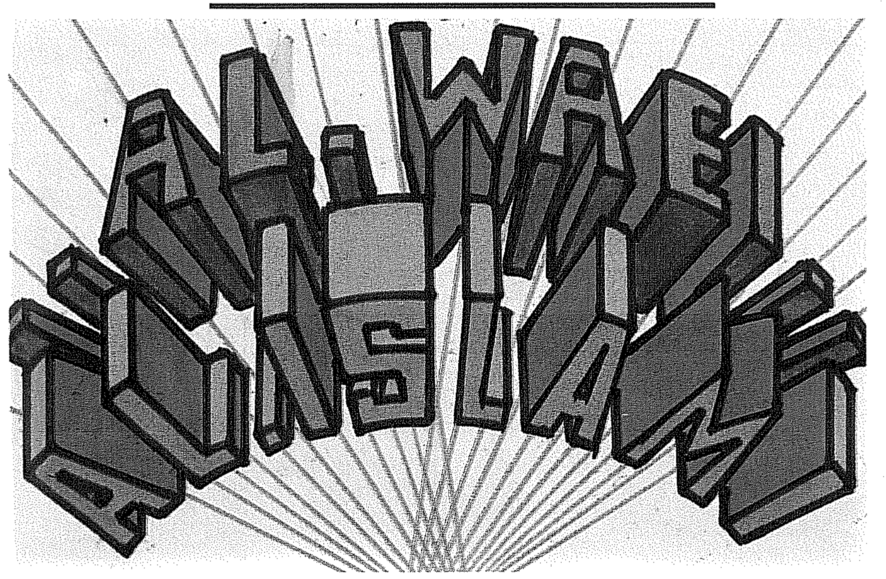
إذن يوضح القرآن الكريم ان وظيفـة الانسـان الاولى على هذه الارض هي العبـادة، ثم تعميرها بالخير وهـو يكدح في سبيل الرزق من حلال.

وعن التساؤل الثاني-:
يجيب القرآن الكريم في اكثر من موضوع بقوله: ﴿إن الينا إيـابهم﴾[الغـاشيـة/ ٢٥] وبقـــولــــه : ﴿إن الى ربك الــــرجعـى﴾[العلق/ ٨] وبقــولـــه: ﴿وإلينــا ترجعـون﴾[الانبياء/ ٣٥]، وبقـولــه: ﴿وإلى اللـــه المصير﴾[النـــور/٤٢]، وبقوله: ﴿وان ليس للانسان إلا ماسعى وان سعيه سوف يــــرى ثـم يجزاه الجزاء الأوفى﴾[النجم/ ٣٩].

وعن التســاؤل الثـــالث والاخير:
يجيب القــرآن الكـــريم بقولـه: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منهــا وحملهـــا الانسـان انـه كان ظلـومـا جهـولاً﴾[الاحـزاب/ ٧٣] وبقـولـه: ﴿وابتغ فيما آتـاك اللـه الـدار الآخـرة ولاتنس نصيبك مـن الـــدنيــــا﴾ [القصـــــص /٧٧]، وبقوله﴿سـابقوا الى مغفرة من ربكم وجنـة عــرضهـا كعـــرض السماء والارض أعـدت للـذين آمنـوا بـاللـه ورسلـه﴾[الحديـد /٢١]. وبقـولــه﴿إن الـذين آمنـوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنـــات الفـــردوس نزلا﴾[الكهف/ ١٠٧].

وبعد فهـذه سقطات ثـلاث ملحنـة ومغنـاة، قـد تبلبل اذهـان من يستمع اليهـا فوجب الرد من كتـاب الله، اما من كتبها وغناها فما كان ينبغي عليهما ان يترديا فيها وهم شيوخ.

الشاعر :
عمر الراكشي



● هدية من القارىء محمد سعد حسب الله / مصر - دمياط

الافتتاحية

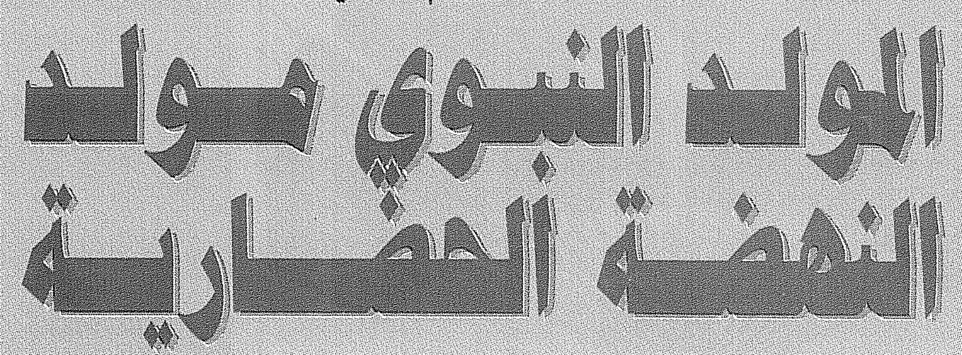
المتتبع لتاريخ أمتنا المسلمة منذ ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول الرسالة الخالدة عليه فيما بعد وحتى يومنا يجد أن هذا التاريخ مليء بالإضاءات المشرقة التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني وارتقت به إلى آفاق السمو والرفعة والمجد وأن هناك حالات وظروف استثنائية من التشرذم والتفرق والتخاذل وضعف الإرادة وفتور الهمة ووهن القوى وتكالب العدو لكن في كلا الحالين ارتبط واقع الامة صعوداً وهبوطا ارتباطا وثيقا بمدى الالتزام بمنهج صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد ربى الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين على كمال الإيمان وقوة الإرادة والإشراق الروحي فكانوا رجالا أشداء على الكفار رحماء بينهم سلوكا وتهذيبا وتحملا ومسؤولية وكان يزرع في نفوسهم دائماً الأمل والتفاؤل حين يلجؤون إليه وقت الشدة والأزمات فيقول لهم مطمئنا:(أبشروا وأمّلوا مايسركم) .. ويقول لهم أيضاً في موقف آخر:(والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

لقد انطلقت الأمة التي تربت على مبادىء الرسالة المحمدية تحمل للناس الخير والحب والتسامح والعدل فدخل الناس في دين الله أفواجا من كل النحل والملل والأديان الاخرى وانصاع لها جبابرة الارض خلال فترة وجيزة من الزمان.

إن مشكلة الأمة اليوم وماتعج فيه من فتن واضطرابات وماتعيشه من حيرة مفزعة لامبرر له على الإطلاق مادامت تملك هذا الرصيد الإيماني الضخم والفكر الإنساني الاصيل والتجربة الحضارية الرائدة لكنها وللأسف تعيش معادلة صعبة بين ميراث نبوي عظيم وبين أمراض مزمنة خطيرة جعلتها زائغة النظرات مشلولة الانطلاق يتهددها الضياع وتتخبط في معالجة قضاياها خبط عشواء وتُهاجَم من داخل الحصن الذي تتمترس فيه فالخلل نابع من داخلها قبل ان يكون من غيرها.

لقد كان الغزو العراقي الغاشم على دولة الكويت في الثاني من اغسطس العام ١٩٩٠م من أخطر هذه الامراض الداخلية التي أصابت الأمة في تاريخها المعاصر بعد نكبة فلسطين فقد جسَّد هذا الغزو طغيان الفرد وتسلطه وازدرائه لإرادة الأمة وحقوقها وكشف هشاشة البناء الفكري والاقتصادي والسياسي الذي تعيشه الأمة، لقد اصاب الغزو في الأمة مقتلا صفق له الاعداء وهي لاتزال تعاني من إفرازاته السلبية على الرغم من مضي ست سنوات عليه ولازال مئات من الاسرى



والمرتهنين الكويتيين وغيرهم يرزحون في ظلم وظلمات السجون دون أن تبدو في الأفق أية بادرة لإطلاق سراحهم.

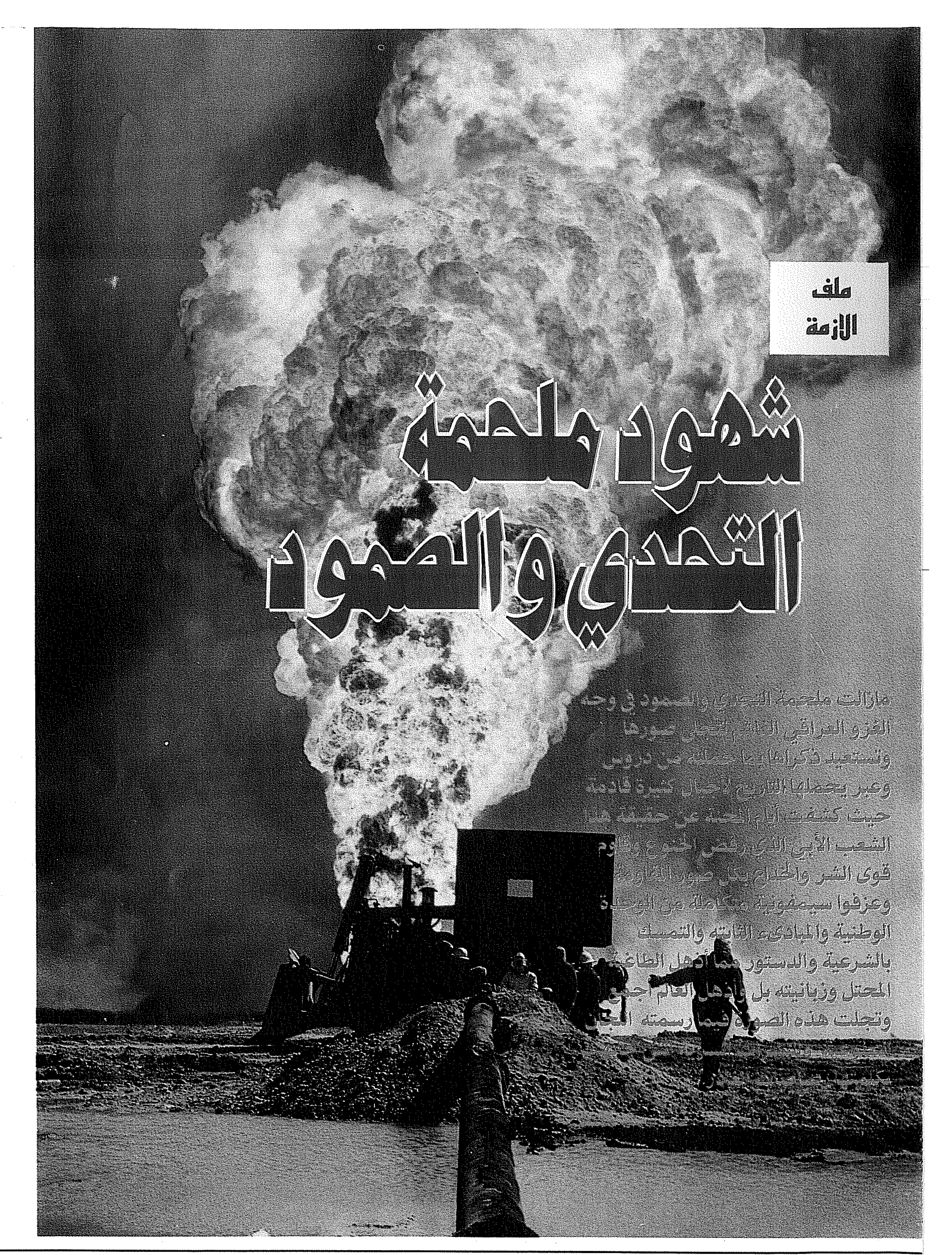
والأمر الآخر ان الأمة اليوم تعاني من خلل كبير في فهم المعاني النبيلة التي جاء بها الإسلام وحدد بموجبها العلاقات بين المسلمين وبين اتباع الديانات الأخرى حيث أكد على مبادىء الحوار والشورى والتسامح والحفاظ على الحقوق وقد بلغت الشريعة الإسلامية غاية السمو حين قررت حرية العقيدة للناس عامة وتكفلت بحمايتها لغير المسلمين في بلاد الاسلام وطالبت بنبذ العنف والارهاب والتعصب وحفظ العهود والمواثيق وفي ظل التوجهات السامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم عاش اهل الكتاب وغيرهم في أمن وأمان وطمأنينة واعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم إيذاء أي ذمي إيذاء شخصياً له فقال: «من آذى ذميا فقد آذاني» فأين هذا مما يحدث على الساحة الاسلامية من قتل وارهاب وعنف وتدمير وترسيخ جذور الحقد في العقول والقلوب الأمر الذي استفاد منه أعداء الإسلام واتخذوه ذريعة للنيل من الاسلام وأهله وتشويه صورته الناصعة.

إن التشدد والمغالاة في فهم أمور الدين عاقبتها الهلاك والدمار كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال: «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين» رواه أحمد والنسائي، لكن من المؤسف أن نجد من المسلمين من يتبنى تلك الفلسفات والأفكار ليخرج من رحم هذا الجهل وحش التطرف والارهاب.

إن مؤتمر القمة العربي الذي انعقد الشهر الماضي في القاهرة يعد خطوة طيبة وإضاءة مشرقة لاستعادة وحدة الأمة ونسيجها المفقود وقد لاقى استحسانا كبيرا من جماهير الأمة المتطلعة بشوق إلى أي نوع من أنواع الوحدة في هذا العصر الذي تداعت فيه الأمم علينا كما تداعى الأكلة إلى قصعتها وهي تأمل أن يصبح هذا التجمع الخيِّر مؤتمراً سنوياً يتدارس فيه العرب مشكلاتهم وقضاياهم ويضعون الخطط لمواجهة التحديات والأزمات بروح أخوية إسلامية بعيدة عن تيارات السياسة وعواصفها واضعين نصب أعينهم الخصوصية الحضارية لكل قطر عربي بحيث تتعايش هذه الخصوصيات مع بعضها في جو من الألفة والمحبة ويتهيأ الجو مستقبلا لوحدة أكثر شمولاً وتعايشا وهذا ليس بمستبعد على أمة تجمعها العديد من المقومات والقواسم المشتركة مما لايتوافر عند جميع أمم الأرض، أليس من المستغرب أن تقيم معظم شعوب العالم صورا شتى من أشكال التعاون ونبقى نحن العرب والمسلمين دون أي تجمعات وحدوية فاعلة، أليس من العيب أن يتسابق علماء الشرق والغرب في مجالات النبوغ العلمي..! بينما تغط أمتنا في سبات عميق وهي صاحبة التجربة الحضارية الرائدة لمئات السنين.

إن إحياء العمل العربي المشترك في هذه المرحلة والذي يستند على احترام السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل دولة مطلب ضروري لأمتنا وهي على مشارف القرن الحادي والعشرين وهي مطالبة أيضا بالأخذ بكل اسباب الرقي والتقدم القائمة على الثوابت التي نص عليها قرآننا الكريم وهدي نبينا الأمين.

إن العلة ليست أبدية ولاهي أزلية والعلاج ممكن والدواء موجود كما قلنا سابقا وما علينا إلا ان نخطو خطوات جادة وصحيحة ونضع أقدامنا على بداية الطريق بإيمان وثبات وعندها تكون العزة والتمكين للأمة العربية والمسلمين أجمعين إن شاء الله تعالى..



ملف الأزمة

شهود ملحمة التحدي والصمود

مازالت ملحمة التحدي والصمود في وجه الغزو العراقي الغاشم تتجلى صورها وتستعيد ذكراها بما حملته من دروس وعبر يحملها التاريخ لأجيال كثيرة قادمة حيث كشفت أيام المحنة عن حقيقة هذا الشعب الأبي الذي رفض الخنوع وقاوم قوى الشر والخداع بكل صور المقاومة وعزفوا سيمفونية متكاملة من الوحدة الوطنية والمبادىء الثابتة والتمسك بالشرعية والدستور مما أذهل الطاغية المحتل وزبانيته بل أذهل العالم أجمع وتجلت هذه الصورة فيما رسمته الـ[illegible]

الأسرة الكويتية تجلت تضحياتها بصورة أذهلت العالم كله

تجلت تضحيات الاسرة الكويتية وتفانيها في خدمة الكويت الحبيبة إبان فترة الغزو الغاشم بصورة كانت بمثابة الصدمة لصدام العراق وزبانيته،وكانت موضع احترام العالم اجمع حيث قامت الاسر الكويتية بإدارة امور المناطق وتسيير العمل بالجمعيات التعاونية والقيام بعمليات النظافة وجمع القمامة والتخلص منها بإحراقها وتوفير الرعاية الصحية وتوفير الاعانات الشهرية للاسر،مما ساهم في ثبات المجتمع وتمسكه بدستوره وشرعيته وحكومته.

كما كان للمرأة والفتاة وعلى العموم للأسرة دور بارز في تسطير ملحمة التصدي والصمود أيام هذه المحنة حيث عملت على إخفاء ملفات هيئة التدريس تجلت تضحياتها بصورة اذهلت العالم كله فقد استطاع افراد إحدى الاسر الكويتية ان يتسللوا الى اروقة الجامعة، حيث تمكنوا من تجميع الاجهزة والمعدات ونقلها الى منزلهم المجاور لكليتي الشريعة والتربية وذلك قبيل ان تضع القوات الغازية يدها على مبنى الجامعة في كيفان، واستطاعت الأسرة ان تضلل مجرمي العراق بوضع هذه الاجهزة داخل غرفة في منزلهم واغلقت منافذها بالطابوق ووضعت عليها ديكورات لإخفاء معالمها عن المخابرات العراقية، ومن الطريف ان هذا المنزل ظل محاطا من جميع الجهات بقوات الجيش طيلة فترة الاحتلال.

وقد ساهمت تلك الاعمال التطوعية في إدارة أمور المناطق بالتعاون مع رموز المناطق وأهاليها حيث تم توزيع التموين الغذائي على الاسر سرا،اضافة الى رواتب شهرية للأهالي وتوفير الرعاية الصحية بعيداً عن رقابة الجيش العراقي وإعادة المسروقات التي نهبها الغزاة وتركوها اثناء الاحتلال الى اصحابها.

وضمن مجموعات الجنود الذين تجلت اعمالهم في ميادين التلاحم على المستوى الشعبي إبان فترة الاحتلال يشرح احد العاملين فيها اثناء الاحتلال كيف تم البدء



● مظاهرة نسائية كويتية ترفض الاحتلال

في هذا المجال؟ فأجاب قائلاً: لقد استيقظنا على الصدمة التي اذهلت الناس ليس في الكويت فقط بل في العالم كله اصبح الناس مابين مصدق ومكذب وكان لابد من تدارس الموقف بصورة سريعة لان عنصر الوقت لم يكن في خدمة العمل بل كان لابد من الالتقاء والتشاور على وجه السرعة لمواجهة الحدث، وكان الهدف هو العمل على تحرير الكويت وعودة الشرعية وتثبيت الناس في ارض الكويت وعدم الخروج منها والتحقق من معاناة المرابطين مع المحافظة على وحدة الصف بين أهل الكويت، وبدأ العمل التطوعي في الإدارة الصحية وإدارة الطاقة وإدارة الكهرباء والماء والخدمات كالإطفاء والمواصلات والاتصالات.

وقام الشباب بتقسيم المناطق الى وحدات تسرف على الخدمات فيها مجموعة من الشباب المناضل فكانت في منطقة الشويخ وضاحية عبد الله السالم والمنصورية والنزهة وكيفان والفيحاء والخالدية والعديلية والروضة واليرموك ومنطقة السرة كما شمل التقسيم مناطق المحافظات الاخرى في حولي والاحمدي والفروانية والجهراء.

وتكفلت مجموعة شبابية بالعمل في المؤن وتيسير شؤون الجمعيات التعاونية والمخابز وإدارة شؤون المساجد والنظافة والحراسة اضافة للقسم الاعلامي والمالي وتحرير يوميات الاحداث ورعاية الاسرى وتشغيل الهلال الاحمر وإدارة مقبرة الرقة.

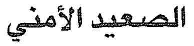
واستطرد قائلا : ولما كان رباط وصمود الشعب الكويتي على ارض الوطن من اهم مستلزمات انتصار القضية الكويتية ووقوف العالم معها فقد تم التنسيق بين جميع أبناء الشعب الذي رفض الاستجابة لنداء سلطات الاحتلال بمباشرة العمل في المؤسسات الحكومية والاهلية وبدأ العمل على توفير مقومات الإعاشة الأساسية للاسر وعليه فقد اعتبر المحتل ذلك عملاً من اعمال المقاومة والعصيان المدني فكان رد الفعل مطاردة مئات الشباب الذين تطوعوا للعمل على توزيع الاموال واعتقل الكثيرين منهم واعدم آخرين من شباب التكافل.

ومع كل ذلك فقد استمر العمل وتم التنسيق مع التجار الكويتيين الذين ساهموا مخاطرين بحياتهم وبمساءلة سلطات الاحتلال وتم تدبير مايقرب من ٤٦ مليون دينار عراقي وقمنا بتوزيعها على اكثر من ثلاثين منطقة سكنية وذلك خلال الفترة من ١٥/٨/١٩٩٠م وحتى نهاية شهر اكتوبر من نفس العام.

وبناء عليه تم توزيع الاعمال وتبني الشباب الكويتي إدارة المخابز المركزية واستطاعوا تغرير الجيش العراقي وتضليله في مسألة الانتاج حيث تحايلوا على مخصصات الجيش من الخبز اليومي المخصص لهم وتخفيضه الى نصف المقرر لهم يومياً.

كما استطاع الشباب الكويتي الذين اثبتوا انهم قادرون على تحمل المشاق ادارة الجمعيات التعاونية التي هجرتها العمالة التي فرت إلى بلادها.

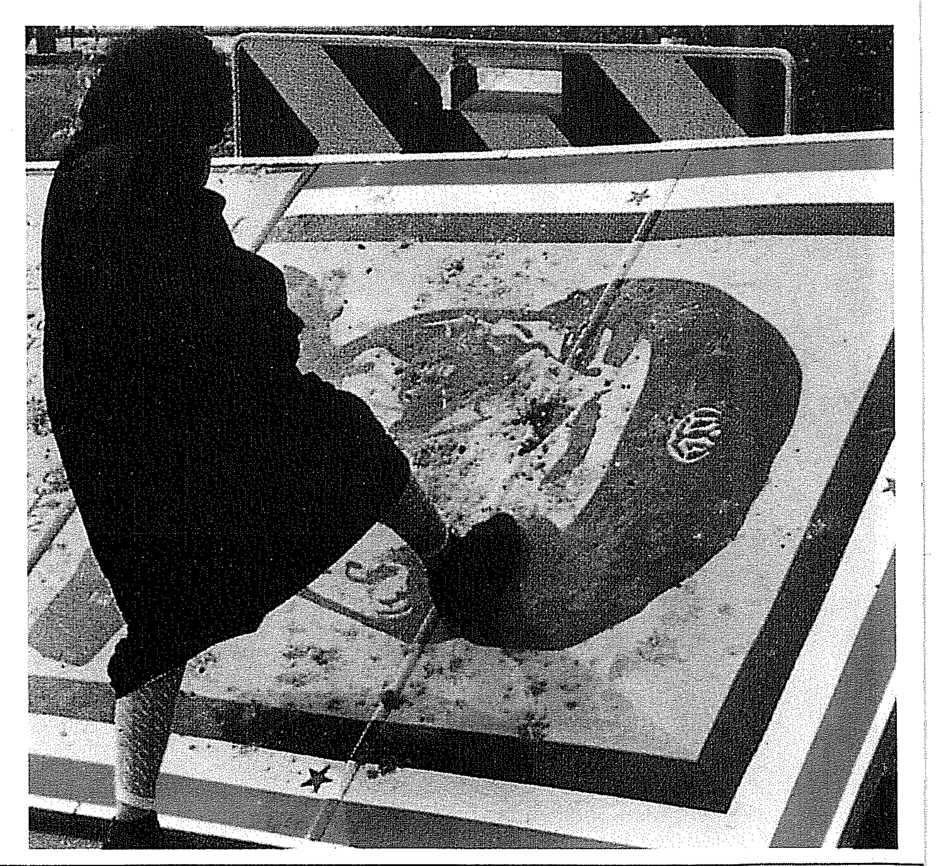
واسترجع المسؤول ذاكرته يوم اعلن المحتلون انهم سيتولون ادارة الجمعيات وطلبوا عدم التطوع في اعمال الجمعيات وانهم سيقومون بتعيين المتطوعين وهم أعلنوا انهم ابتداء من تاريخ ٢/١/١٩٩١م سيمنع توزيع التموين إلا بالبطاقة العراقية وذلك للضغط على إرادة الشعب لاصدار الجنسيات العراقية وعلى الفور استطاع العاملون في الجمعيات التعاونية وبالتعاون مع الشباب بتوزيع التموين بشكل سريع ولأشهر مقدمة على جميع البيوت الكويتية حيث تم اخلاء جميع مخازن التموين لدى الجمعيات ومعظم التجار قبل الموعد المحدد من قبل الاحتلال.

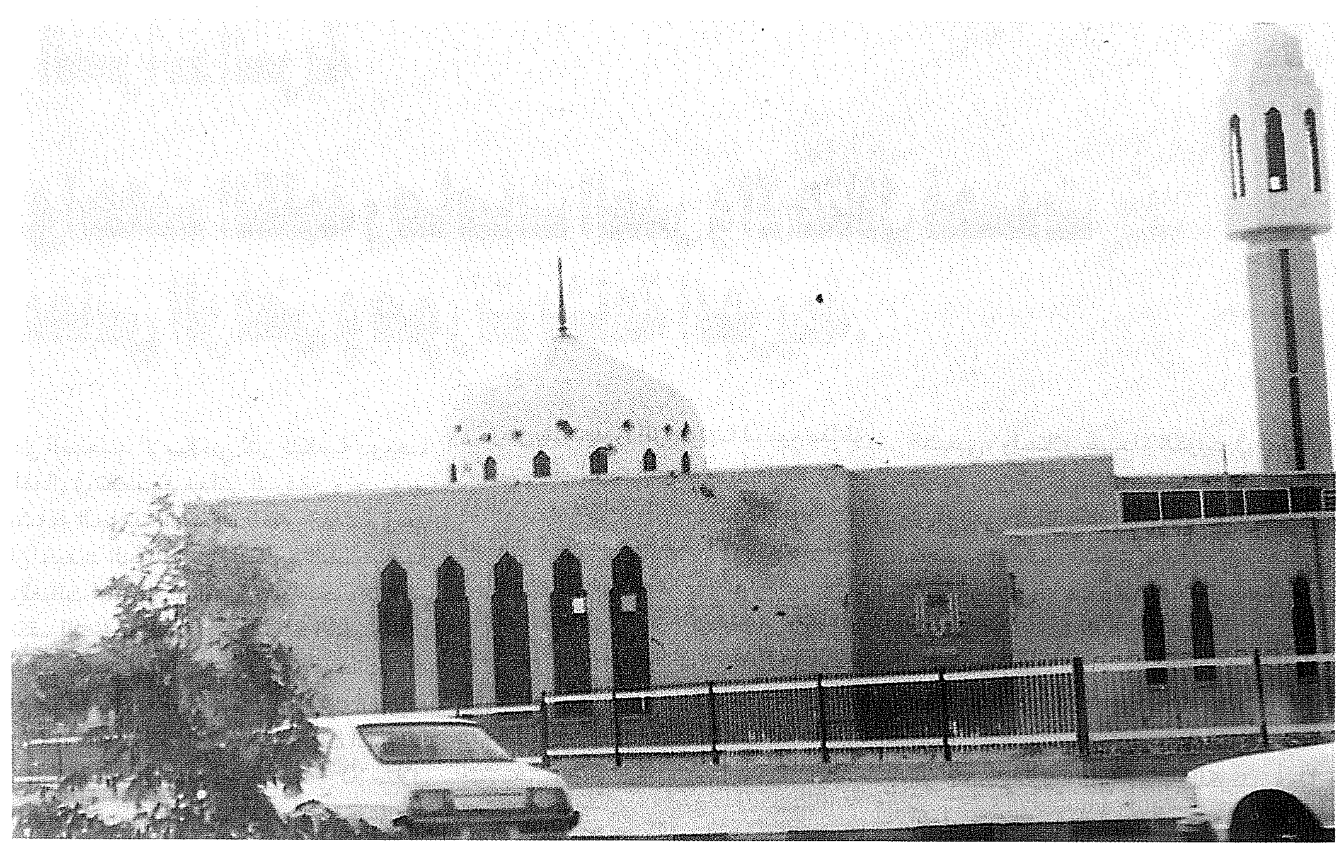


وعلى الصعيد الأمني فقد افتقر الكثير من الاحياء السكنية للأمن بسبب السرقات المتكررة للمنازل التي كان يمارسها جنود الاحتلال فقد قام الشباب بتنظيم دوريات أمنية في معظم المناطق وبعد التضييق عليهم من قبل المحتل قاموا بإيجاد البديل الأمني وهو إنشاء ديوانيات للحراسة في كل حي سكني وقد ساهم ذلك في إعطاء نوع من الأمن للمناطق السكنية.

شؤون البلدية

كما قام الشباب الكويتي بتسلم سيارات البلدية، إلى أن استولت السلطات المحتلة على سيارات البلدية فتم استبدالها بتحرير ساحات لكل منطقة تجمع فيها القمامة





وقام الشباب بنقلها أو إحراقها بشكل يكاد يكون منتظماً أيضاً.

المساجد

وبعد ان غادر معظم الأئمة والمؤذنين البلاد قام المتطوعون من أبناء الكويت بتنظيم العمل داخل قطاع المساجد وتم عمل الاجتماعات فيها واقيمت الصلوات الجماعية وقيام الليل والفطور الجماعي وكل هذه الاعمال التي كان لها اثر كبير في تثبيت الناس على البلاء والمحنة.

كما قامت مجموعات شبابية بعدة زيارات للاسرى العسكريين الذين تم اعتقالهم في معسكرات تكريت والموصل وبعقوبه والرمادي والرشيد والذين بلغ عددهم اكثر من ٦٣٨ ضابطاً و٤٤٠٠ ضابط صف وتم توصيل مواد غذائية وطبية وملابس وسائر الحاجات الضرورية لهم كما رتبت زيارات لبعض اهالي الاسرى وتوصيل الرسائل والأمانات بيد الاسرى وذويهم الذين لم يتمكنوا من زيارتهم.

وعن مدى التنسيق بين اللجان التطوعية على المستويين المدني والعسكري، ولقد كان التعاون والتنسيق دائماً ومتكاملاً حيث كان يتم تزويد الجناح العسكري والقسم التشغيلي لمؤسسات الدولة بالمتطوعين والموظفين في شتى التخصصات المطلوبة وترتيب عملية الاتصال بين مجموعات المقاومة العسكرية وتوافر المنازل المناسبة لاختباء عناصر المقاومة واستصدار البطاقات المدنية وإجازات القيادة المرورية للعسكريين بعد تغيير المسمى الوظيفي لهم وبعد ان تم نقل الاجهزة الخاصة والأدوات اللازمة من الهيئة العامة للمعلومات المدنية في بداية الازمة وتوفير وتأمين التموين للعاملين بالمقاومة مع تغيير وإخفاء معالم وعلامات المنازل والشوارع وفق مقتضيات المصلحة العامة.

اللجان التطوعية عملت كنموذج تنظيمي متكامل للعمل الجماعي

كما كانت هناك مصادر معلومات لمجموعات المقاومة الكويتية حيث كانت هذه المعلومات ترسل أولاً بأول للحكومة الكويتية بالطائف وشكلت مركز معلومات في كل محافظة يضم أسماء الأسرى الموجودين في العراق وقام الرجال بجهود كبيرة عن طريق الاتصال المباشر ببعض عناصر النظام العراقي او عن طريق مسؤولي الجمعيات التعاونية للسعي لإطلاق سراح العديد من الذين تم اعتقالهم وإبلاغ ذويهم عن اماكن تواجدهم وقد حققوا نجاحاً كبيراً في هذا المضمار.

هذا بخلاف المشاركة في دفن الموتى وتضميد الجراح وإصدار النشرات التي حثت الناس على الصبر والثبات والمقاومة في وجه المحتل والأعمال الاجتماعية الاخرى وقد أثبت جميع أفراد الشعب الكويتي بحق روح الوطنية الكاملة وكانت مثالاً حياً في الولاء والتمسك بالشرعية والتي ستظل دروساً تستقي منها الاجيال القادمة العبر في تخطي المحن. ■

النشرات السرية

واجهت الكلمة رصاصات الغدر والاحتلال فجسدت معاني الرفض وصورت بشاعة الجريمة.

على الصعيد الإعلامي كان للكلمة دورها الفعال في تجسيد معاني الرفض وتصوير بشاعة الجريمة النكراء للغزو الغاشم وبعد ان خمدت الحركة في شارع الصحافة وتعطلت آلات الفاكس والهاتف والتي لم تكف للحظة واحدة عن التقاط الاخبار من شتى بقاع الارض وبعد ان صمتت آلات الطباعة على الفور بدأت النشرات السرية لتكون هي الملاذ الأول لرفع صوت الرفض وتشكيل فرق الصمود والتصدي للاحتلال وسرعان ما انطلقت الكلمات لتجابه الرصاصات فظهرت في اشكال متعددة فكان منها (المرابطون) و(الصباح) و(صوت الحق) و(التحدي) و(صرخة) و(الثبات)و(القبس)و (دسمان) وغيرها من النشرات التي حملت الكلمات وتناقلتها الأيدي بسرية تامة وباتت تحمل لهم البشارة كما كانت تحمل لهم الاخبار للوقوف في وجه هذا الطوفان الاعلامي العراقي المضلل بإذاعاته ومحطاته التلفازية وصحفه الصفراء التي كانت بمثابة أبواق عليلة لسياسته القذرة.

ورغم بدائية الإمكانات التي تصدت لهذه الطغمة الإعلامية والتي كانت لاتتعدى أوراق الفولسكاب وآلة التصوير والآلة الكاتبة وفي كثير من الأحيان كانت تكتب بخط اليد على الرغم من خطورة هذه الطريقة من الناحية الأمنية.

وكان يقوم على مثل هذه النشرات عدد محدود من الصحافيين ويكون لكل نشرة مجموعة من المراسلين النشطين الذين ينتشرون في مختلف مناطق الكويت واحيائها ويتناقلون الاخبار يداً بيد خشية استخدام اجهزة الهاتف او الفاكس وهي مراقبة من قبل الاستخبارات العراقية، كما كانت توزع هذه النشرات عبر شبكات توزيع تعمل بنظام وحرص شديدين لتوصيلها لجميع مناطق الكويت وقد لعبت النساء دوراً كبيراً وفاعلا في التوزيع، لان نقاط السيطرة العراقية عادة لم تكن تدقق عند تفتيش النساء وبخاصة في الايام الاولى للغزو، وكان يكتفى بنشرة واحدة تصل المنطقة ويقوم مستلمها بنسخها او تصويرها ان استطاع وتوزيعها على محيطه القريب وتتناقلها الايدي او يقوم من يقرؤها هو واهل بيته بحرقها أو إخفائهاخوفا من مداهمة مفاجئة للتفتيش من قبل الاحتلال.

وقد كان كثير من المواطنين يتفننون في اخفائها او دفنها بصورة لاتخطر ببال رجال الاستخبارات، وكان من جملة النشرات التي كان لها صدى كبيراً (الصمود الشعبي) والتي تعدت اولى النشرات السرية التي صدرت خلال فترة الاحتلال وتحديداً في الخامس من اغسطس العام ١٩٩٠م كان عددها الاول وجاء في بعض اعدادها عبارة تقول« الصمود الشعبي.. لسان حال حركة المقاومة الشعبية الكويتية «حماك» اول جريدة كويتية تصدر تحت الاحتلال.. ودعونا نتصفح افتتاحيتها التي كانت تتحدث عن التعامل «لماذا الصمود الشعبي.. ؟» ونقرأ فيها.. تصدر «الصمود الشعبي» واحتلال صدام للكويت في يومه الرابع دون ان أي مؤشر للتراجع او للرجوع الى أي شيء في تلك القيم التي يتحدث عنها. تصدر « الصمود الشعبي» لتؤكد ان السلاح الحقيقي في وجه هذه الهجمة الغاشمة هو التماسك والوحدة الوطنية والصمود الواعي حتى تنجلي هذه الغمة وينقشع هذا الهم الثقيل وتعود البلاد الى الشرعية الدستورية.

تصدر« الصمود الشعبي» لتعلن ان الحركة أمر لامساومة فيه لدى الشعب الكويتي فهذا اصل مغروسة جذوره في صميم شعبنا ولايساوم عليه، وكانت تصدر «الصمود الشعبي» لتسد فراغاً قاتلاً بعد ان أرهب جيش الاحتلال وسائلنا الاعلامية ومنعها من الظهور ففتح الباب على مصراعيه للشائعات وبات الشعب مهيئاً للأقاويل التي زادت الامور سوءاً على سوء بينما نحن احوج ما نكون لتحري الدقة في المعلومات.

إن «الصمود الشعبي» هي جريدتكم الناطقة باسم الكويت وكل كويتي وعربي يريد ان يقاوم الاحتلال ويدفع عن نفسه القهر والعنت ويعيد لوطننا الحبيب اشراقته وعدالته وسماحته ومودته بعيداً عن القمع وكبت الحريات والنازية العربية.

فلنكن معاً على درب التحرير حتى خروج آخر جندي من على ارضنا الطيبة وإعادة الشرعية الدستورية تحت حكم آل الصباح الكرام بقيادة سمو الأمير الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح وولي العهد الشيخ سعد العبد الله الصباح وجاء فيها هذا النداء:

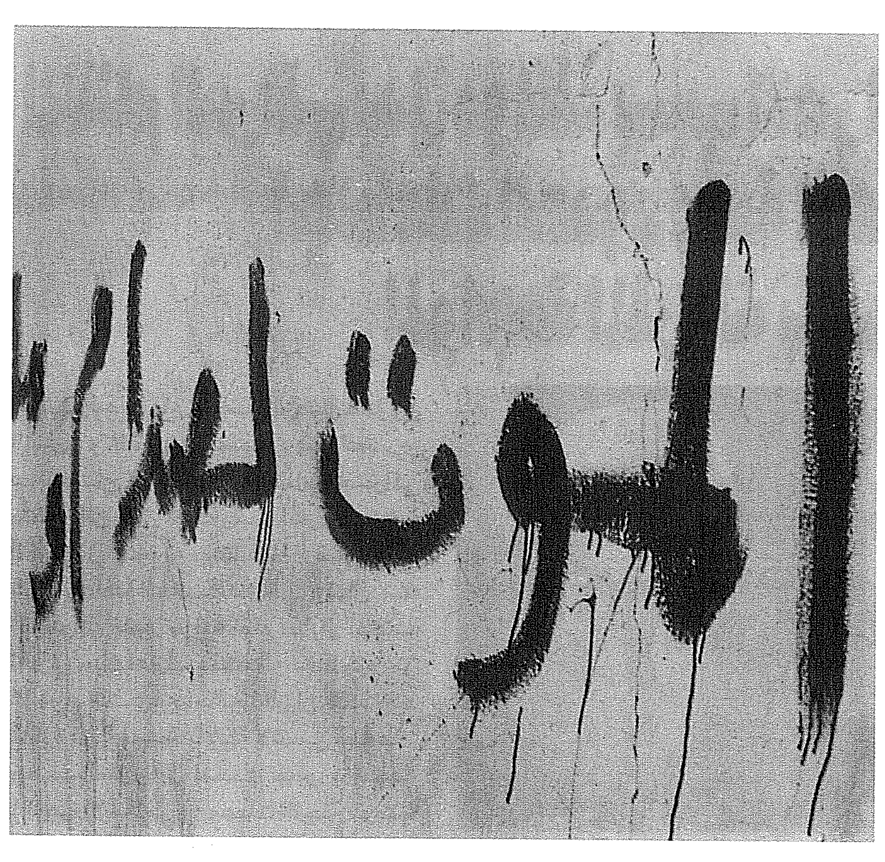
يا أبناء الشعب الكويتي الأبي.. اتحدوا وتماسكوا ولتكن رؤيتكم واحدة واعدة في وجه الاحتلال والبغي والعدوان وبالاضافة الى الافتتاحية فقد حفل العدد بالكثير من المقالات والاخبار الاخرى ووردت فيها

نشرة «صوت الحق» كانت ذات طابع ديني و«المرابطون» اصدرتها لجان التكافل الاجتماعي

عناوين كثيرة مثل (لنبق في الكويت) و(تحية للعرب الشرفاء) و(اللجان الشعبية الإدارية السلمية في مناطق الكويت) هي خير رد على الاحتلال وخير مثال على ابداع الشعب الكويتي و«احذروا الشائعات»و «الحكومة الوهمية المؤقتة» و«نعم للعصيان المدني» و«هتلر العربي» إضافة الى عناوين اخرى ظلت تلازم صدور الصمود الشعبي وعلى سبيل المثال لا الحصر ماجاء في افتتاحية العدد الخامس من النشرة تحت عنوان « درب الحرية مليء بالأمل والتضحيات» مايلي: الغزو البربري للجيش العراقي للأراضي الكويتية في الثاني من اغسطس هو أول احتلال اجنبي في تاريخنا الحديث. فهذه الدولة الصغيرة والمسالمة لم تكن يوما من الايام ارضا محتلة لأي قوى عسكرية اقليمية أو عالمية مع انها كانت محمية بريطانية منذ يناير ١٨٩٩م إلا انها لم تتحول الى قاعدة عسكرية أجنبية ومنذ استقلالها في ١٩ يونيو ١٩٦١م وهي تحافظ على موقف متوازن من الصراع بين الشرق والغرب واحتلت مكانة مرموقة في حركة عدم الانحياز وعملت على ان تكون واحة سلم وامان. وفجأة ودون مقدمات تسقط مؤسسات الدولة وتدوس اقدام الغزاة اراضي الكويت في يوم صيفي قائظ ولكن الشعب الذي ترعرع في حضن الدولة الدستورية وعشق الحرية وقيم التقدم والوطنية رفض من الدقيقة الاولى واستهجن مسرحية صدام في الثورة والانتفاضة والحكومة المؤقتة والوحدة وعودة الفرع الى الاصل وقرر كل ابناء الكويت وابناء الشعب العربي في الكويت مقاومة الاحتلال والعمل على عودة الشرعية الدستورية بدعم كامل من الدول العربية والمنظمات الدولية بمؤسساتها العالمية وبخاصة الأمم المتحدة.

أما الأنموذج الآخر من النشرات فكان صرخة كويتية يومية وقد صدر عددها الاول في ١٤/٨/١٩٩٠م إلا انها اشتملت على ميزات اكثر من حيث الاخراج الصحفي والانتشار الواسع وشبكة الاخبار الكبيرة التي كان يعمل فيها عدد كبير من الشباب الكويتي حتى غطت اخبار بعض الاماكن النائية كجزيرة فيلكا والجهراء وغيرها.

كذلك كانت« المرابطون» من النشرات التي صدرت زمن الاحتلال وقد اصدرتها لجان



التكافل الاجتماعي وكان صدورها في الايام الاولى للغزو العراقي ايضا وكانت في مجملها تحث المواطنين على الوحدة والثبات والصبر وبذل الجهد والعطاء في ظل ضغوط المحنة.

أما «صوت الحق» فقد كانت النشرة المدفوعة بالطابع الديني حيث كانت تفتتح مقالاتها بآيات من القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيها امثلة عديدة من حياة الصحابة الكرام وثباتهم على الحق والالتزام بالصبر على قضاء الله حتى تنزاح الغمة.

الشعب الذي ترعرع في حضن الدولة الدستورية وعشق الحرية رفض من الدقيقة الاولى مسرحية صدام

فيما كانت نشرة «القبس» هي رد على احتلال السلطات العراقية لمقر جريدة القبس الكويتية واصدار جريدة صفراء بوساطة مطابعها بعنوان«النداء» وجاء في افتتاحية عددها الاول في يوم ١٦/٨/١٩٩٠م (نؤكد نحن مجموعة من الكويتيين الوطنيين بأن العدو العراقي لايستطيع ان يمحو صوت الكويت والاعلام الكويتي).. فهذه هي جريدة القبس تخرج الى النور ثانية على ايدي ابناء الكويت.. والله معنا ولينصرنا على عدو الله صدام ولينصرنا على اعداء العروبة وجنود صدام.

ثم أتت بخبر بدء البث الإذاعي عبر الاذاعة على الموجة المتوسطة (٦٩٠-A.M).

و في خضم هذا الزخم الاعلامي البديل والرافض للاحتلال وزبانيته كانت نشرة «التحدي» التي عمدت على نشر قيم الصمود والمقاومة والصبر بين الصامدين للمساهمة في مشاركة الشعب تحمل معاناة الاحتلال وقد صدر العدد الاول منها في الثاني عشر من اغسطس واستمرت في اصدار ستة أعداد وكان عددها السابع تحت اسم« رسالة الكويت».

مدير عام اللجنة الوطنية لشؤون الاسرى والمفقودين لـ «الوعي الاسلامي»

النظام العراقي بدل مواقفه بسبب الاصرار الكويتي والدولي اجتماعات الحدود مهمة لأنها تعتمد المواجهة المقرونة بالأدلة

استبشر مدير عام اللجنة الوطنية لشؤون الاسرى والمفقودين السيد دعيج العنزي بالنجاح في محاصرة النظام العراقي بالقرائن التي تثبت وجود اسرى لدولة الكويت في سجونه ومعتقلاته رغم المراوغة التي أبداها الجانب العراقي. وقال: إنه اضطر الى تغيير موقفه امام اصرار المجتمع الدولي حيث اعترف باعتقاله لعدد كبير من الاسرى الكويتين مشيراً الى ان للكويت ذاكرة قوية مدعمة بالأدلة لاتنسى أبناءها.

وحدد العنزي -في حديث خص به مجلة (الوعي الاسلامي) -مهمات اللجنة الوطنية لشؤون الاسرى والمفقودين مشيرا الى انها ثلاث مهمات الأولى: تحديد القضية من خلال الدلائل التي لدى الكويت تثبت اعتقال النظام العراقي لهم .

ثانياً: تجميع القوى الدولية لدعم قضية الكويت .

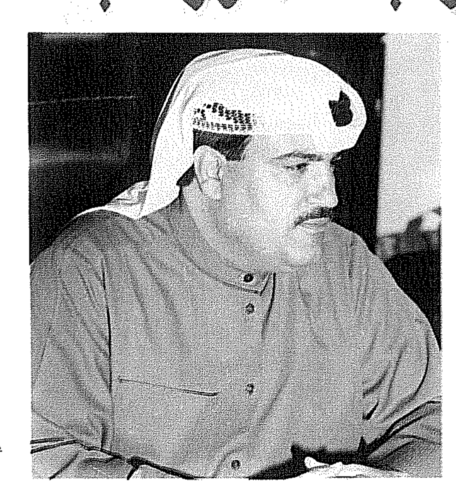
ثالثاً: توحيد الصف الرسمي والشعبي المحلي المطالب بعودة اسرانا.

ووصف مدير عام اللجنة الوطنية لشؤون الاسرى والمفقودين اجتماعات الحدود بأنها مهمة جداً لان لقاءاتها التي تتم باشراف دولي تتم بالمواجهة وبالوثائق المدعمة من الكويت. وفيما يلي نص الحديث ـ:

تضطلع اللجنة بجهود طيبة لقضية الكويت هل بالإمكان انجاز انشطة اللجنة واعمالها لخدمة هذه القضية؟

– جهود اللجنة الوطنية لشؤون الاسرى تعتبر ضخمة جداً اذا مارجعنا الى تاريخ انشائها في شهر مايو ١٩٩٢ عندما كانت الكويت تلملم جراحها في اعقاب حرب التحرير، وتجمع شمل ابنائها وتصلح مادمره وخربه الغزو.

في هذا الوقت كانت قضية الاسرى تفرض وجودها، لكنه كان وجودا غير محدد في



مواجهة الخصم المعروف بمراوغته، كما ان القضية لم تكن على سلم أولويات المجتمع الدولي في مواجهة النظام العراقي، وعلى المستوى الداخلي فقد كانت هناك متطلبات اجتماعية ونفسية وانسانية. باختصار فإن الجهد الضخم الذي بذلته اللجنة توزع على المهمات الثلاث الكبيرة أي تحديد وتوثيق القضية ووقائعها من القاء القبض على الاسرى وحتى دلائل وجودهم في قبضة النظام العراقي هذا اولا. وثانيا نشر الوعي وتجميع القوى الدولية حول القضية لنصرة الحق الكويتي.

> مهمات كبيرة للجنة: تقديم الأدلة - تجميع القوى الدولية - توحيد الصوت الرسمي والشعبي الكويتي

وثالثاً: مواجهة متطلبات القضية محلياً من حيث تجميع الجهود الكويتية الوطنية الرسمية والشعبية لتوحيد صوت الحق الكويتي المنادي بعودة أبنائه الاسرى هذا من ناحية، ومن الناحية الاخرى العمل لمواجهة المتطلبات الاجتماعية والنفسية والانسانية لذوي الاسرى بحيث تكون اللجنة معبرة عن مطالبهم وساعية لدعمهم ورعايتهم سواء بفضل الجهود الرسمية او الشعبية من الوزارات والهيئات أو جمعيات النفع العام او الافراد.

ٔ الى اين وصلت الجهود في اطلاق اسرانا ومفقودينا المسجونين في سجون النظام العراقي؟

– بوادر الامل كثيرة، وأولها النجاح في محاصرة الخصم بالقرائن التي تثبت وجود هؤلاء الاسرى في سجونه ومعتقلاته، ورغم المراوغات التي ابداها الجانب العراقي الا انه اضطر الى تغيير موقفه امام المجتمع الدولي من الانكار التام لوجود أي اسير لديه، الى الاعتراف باعتقاله لعدد كبير منهم.

ورغم عودته الى الخلف كلما تقدم للأمام خطوة، الا انه ينسى ان كل خطوة محسوبة والكويت لها ذاكرة لاتنسى ابناءها، والمجتمع الدولي خاصة الهيئات الانسانية وهي ذات شأن مهم تدعم ذاكرة الحق الكويتي، هذا في حد ذاته يعطينا الحق في الامل بأن ابناءنا الاسرى، الذين اختطفوا واسروا في العراق لن ينسوا.

ٔ هل تعتقد ان اجتماعات الحدود بإشراف الامم المتحدة قد حققت المرجو منها؟

– ان اجتماعات الحدود التي تعقد تحت اشراف اللجنة الدولية للصليب الاحمر تمثل نقلة عملية مهمة جداً فإلى الان عقدت ١٤ اجتماعا للجنة الفنية، و١٦اجتماعا للجنة الثلاثية، الحديث فيهما يتم بالمواجهة،

وبالوثائق التي يقدمها الجانب الكويتي الذي يترأس وفده د. ابراهيم ماجد الشاهين نائب رئيس اللجنة الوطنية.

■ انتهجت اللجنة اسلوبا جديدا في التحرك الخارجي وذلك بإقامة الندوات والمؤتمرات العالمية حول قضية اسرانا.. هل حققت هذه المؤتمرات التحرك الإعلامي المطلوب منها؟

– اما عن الاسلوب الذي تنتهجه اللجنة في التحرك الخارجي فقد صارت القضية بلا مراء مطلبا دوليا وانسانيا وقانونيا لدى كل اصدقاء الكويت وحلفائها والمنصفين في العالم، وترجم ذلك الى مزيد من حصار الفعاليات الدولية والمنظمات الحكومية وغير الحكومية –المعنية بحقوق الانسان والقانون الدولي الانساني– للنظام العراقي ووضع الافراج عن الاسرى الكويتيين كشرط من شروط تخفيف او رفع العقوبات عن نظام بغداد، لقد حاولنا من جانبنا ان نضع حدا لهذه المأساة، لذلك ساهمنا حكومة وشعبا في كل المساعي الدولية والاقليمية التي بذلت من اجل الافراج عن هؤلاء الاسرى، ولم ندخر جهدا في مخاطبة الضمير العالمي وتنبيهه الى خطورة هذه المأساة وكان ذلك من خلال اقامة الندوات والمؤتمرات الدولية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر المؤتمر الدولي الاول لحقوق الانسان واسرى الكويت الذي عقد في العاصمة البريطانية في ١٢-١٣ مارس ١٩٩٦ لقد اثبت هذا المؤتمر الهام الدور الاعلامي الهام الذي تقوم به اللجنة الوطنية لإبقاء القضية حية في الذاكرة الوطنية والانسانية والعالمية، واللجنة تعتبر دورها في هذا الشأن حربا ضد النسيان والاهمال اللذين يعدان اخطر ما يمكن ان تواجهه قضية انسانية ووطنية حساسة كقضية الاسرى، وحمدا لله ان الذاكرة مازالت وستظل حية بإذن الله وحتى عودة آخر اسير كويتي الى بيته.

■ مادور اللجنة في مساعدة ذوي الاسرى من أبناء وزوجات اسرانا؟

– عن الخدمات التي تقدمها اللجنة الوطنية لذوي الاسرى وابناء الاسرى على وجه الخصوص، يمكننا ان نجمع هذه الخدمات لتوضع تحت عنوان لهدف كبير، هو ان تكون اللجنة الوطنية هي صوتهم وسندهم في المجتمع، ولو شئنا ذكر أمثلة تشير الى خطوات اللجنة بهذا الخصوص فإننا نذكر الخدمة الاجتماعية لذوي الاسرى التي تترجم اهتماما عمليا بهم في النواحي الاجتماعية والزيارات المنزلية لهم بهدف التعرف على مشاكلهم والعمل على حلها سواء بالجهود الذاتية للجنة او بالتنسيق مع جهات الدولة او المجتمع الكويتي، كما ان هناك رعاية دراسية لابناء الاسرى تبدأ من دعم جمعية المعلمين. وهناك دعم نفسي وتربوي دائم من اللجنة لابناء الاسرى. كما يوجد تنسيق مع الهيئة العامة لشؤون القصر بهدف الحفاظ على اموال الاسرى وتنمية مواردهم حتي عودتهم المأمولة بإذن الله. واخيرا وليس آخرا هناك مشروع صندوق رعاية ذوي الاسرى الذي يهدف الى مواجهة المتطلبات الانسانية والاجتماعية الطارئة لعائلة الاسير، وذلك بالتعاون مع فعاليات الاسرة الكويتية الكبيرة كلها، وقد تمت الموافقة من قبل مجلس الوزراء الموقر على عدة توصيات لتخفيف المعاناة عن ذوي الأسرى وهي:–

١- أولوية الرعاية السكنية للأسير ووالديه.

٢- اعفاء ذوي الاسرى من دفع فواتير الكهرباء والماء وفقاً لموافقة مجلس الوزراء الموقر من ٢/٨/١٩٩٠ الى ٣١/١٢/١٩٩٥.

٣- شمولية الاسرى من ابناء دول مجلس التعاون الخليجي بالاعانة المقررة من مجلس الوزراء.

٤- تفرغ زوجات وامهات الاسرى العاملات في اجهزة الدولة لرعاية اسرهم مع استمرار حقوقهم وامتيازاتهم الوظيفية.

إكرام الأسرى واجب تحاول اللجنة ترجمته في رعاية ذويهم

إن اكرام الاسرى الغائبين واجب كويتي تحاول اللجنة ترجمته في صورة رعاية لذويهم حتى عودتهم التي لن نهدأ حتى تتحقق بإذن الله.

الثقافة وأثرها في تشكيل شخصيات الأفراد

ثقافة وفكر

إن للثقافة دورا هاماً في تكوين الشخصية، والبيئة الثقافية لها تأثير كبير وفعال في نمو الشخصية، لأنها تعد العامل الأساسي في تشكيل الشخصية، فعن طريقها يتحول الفرد إلى كائن اجتماعي، يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، ويؤثر فيها.

وشخصية الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات تختلف عن بعضها، إذ ان كل مجتمع يتميز بسمات معينة، والاختلافات الفرعية في الثقافة من شأنها أن تحدث اختلافات واضحة بين الأفراد، على الرغم من انتمائهم جميعا إلى مجتمع واحد، فشخصية الأديب مثلا الذي وقف حياته كلها على الأدب تختلف اختلافا بينا عن شخصية العالم الذي كرس حياته للعلم، ويفني عمره فيه.

بقلم: محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

ومن هنا نرى أن كل فرد له سمة تميزه عن غيره من الناس، وهي تؤلف جانبا كبيرا من شخصيته، فذكاؤه، وثقافته، وقدراته الخاصة، ونوع تفكيره، وآراؤه، وعاداته ومعتقداته، كل هذه الأشياء من مقومات شخصيته، وكذلك مدى ثباته الانفعالي، ومستوى طموحه، وما يحمله في أعماق نفسه من مخاوف وعقد نفسية، وما يتصف به من صفات اجتماعية وخلقية، ويضاف إلى ذلك ما يتميز به الفرد من صفات جسدية.

تكوين الشخصية الأساسية والاستقلال الذاتي لدى الأفراد

إذا وجدت معايير ثقافية متماثلة داخل ثقافة معينة تتصل بأساليب تنشئة الفرد، فإنه من الممكن القول بأن تلك المعايير سوف تخلق أساليب مشتركة للاستجابة، تعد مسؤولة عن القدر المشترك من السمات الأساسية في الكثير بين أفراد المجتمع الواحد، أو أفراد الثقافة الواحدة.

وتؤثر الضغوط المنتظمة التي يتعرض لها الأفراد داخل نمط ثقافي معين غاية التأثير في نمو شخصية الأفراد، وتؤدي إلى ظهور صفات محددة مشتركة بين كثير من هؤلاء الأفراد داخل نطاق هذه الثقافة.

> حمى الإسلام السيرة الذاتية للإنسان، فهو لا يعاقب على الجرائم المستورة

إن الثقافة تشكل الشخصية الأساسية لدى الأفراد، والعناصر المكونة لها يجب أن تكون منسقة تنسيقا طبيعيا، أو متطابقة في المعنى الواحد إلى حد معقول، وإلا فإن الفرد لن يستطيع أن يحصل على الاستجابات المتوقعة من الآخرين، فالحياة الاجتماعية أو المعيشة في عالم اجتماعي تتطلب إقامة معايير داخل الأفراد، وهذه المعايير يجب أن يكون متفقا عليها بشكل عام بين الأفراد، الذين يحيون معا، ويعملون معا في جماعة واحدة.

وإلى جانب الثقافة توجد عوامل أخرى لها تأثيرها الفعال القوي في تكوين الشخصية، كالعوامل البيئية، والعوامل الطبيعية، والنظر البصير، والتجرد الصادق، فتتكون الشخصية السوية التي تتجه نحو الهدف.

ولم يقف الاسلام بالإنسان عند المبادىء التي شرعها، والتعاليم التي قررها، بل إنه يذكر الإنسان على الدوام بالاستقلال الذاتي في كل اتجاه، ويهزه في عنف وقوة ليكون فردا قائما بنفسه، لا يصدر تفكيره إلا من رأسه، ولا يأتي فعله إلا من عقله، فلا يكون تبعا أو إمَّعة، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكن أحدكم امّعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت.. ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تحسنوا».

ثم يمضي الإسلام في صنع الشخصية الاستقلالية للإنسان. فينقلها من جانب الإيجابية إلى جانب الدفاع والمقاومة إذا اقتضى الأمر ذلك، فلا يسمح الإنسان لأي قوة على الأرض أن تفرض عليه الدخول في معصية الحق سبحانه عز وجل، سواء بالتعاون معها، أو بالمشاركة لها في ارتكاب ما تنحرف به عن جادة الحق والصواب، يقول صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمن لم يطع الله».

وقد تكون نظرة الإسلام إلى الخطأ الذي يرتكبه الإنسان رغبة أو انحرافا أو ضلالا،

أرحم وأشفق من نظرته إلى الشخص الذي يرتكب الخطأ استجابة لنداء خارجي.

ويصل الإسلام بالإنسان إلى قمة الاستقلال الذاتي حينما يصل إلى ساعة الاحتكام على دعوته بالذات، فلا يمليها على الفرد ولا يفرضها، وإنما يعطي الضمان العريض لحرية الأفراد، فيقرر صراحة أن الدين ليس فيه إكراه، وأن من حق أي فرد أن يعتنق ما يشاء، يقول الحق سبحانه عز وجل: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ [البقرة/٢٥٦].

ويقول سبحانه تبارك وتعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ [الكافرون/٦].

ويصل الإسلام في حماية الشخصية الإنسانية إلى مستوى رفيع، لايدانيه تشريع، ولا يماثله قانون لدرجة أنه يحرم العدوان على غيره ولو بالفكر، فيحرم اقتحام منزله، وكل اختصاصاته المستورة، كما يحرم التشهير به.

ومن هنا حرم الإسلام الظن السيء والتجسس والغيبة، يقول الحق سبحانه عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا: اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات/١٢].

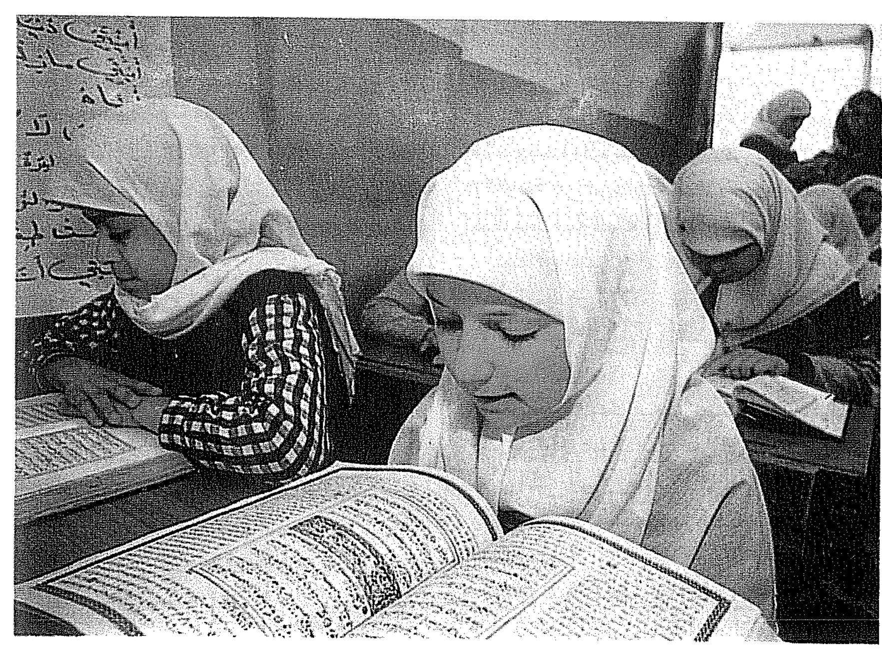
ويقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، وكونوا عباد الله إخوانا».

وبذلك حمى الإسلام السيرة الذاتية للإنسان، فهو لا يعاقب على الجرائم المستورة، التي لم يبد صاحبها صفحته للمجتمع، وعقابه في الآخرة عند خالقه، ولقد ورد في هذا الشأن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس: من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، ومن أبدى صفحته أقمنا عليه الحد».

بهذه المبادىء الواضحة الأصيلة، يضع الإسلام الضمانات السليمة لاستقلال الذات الإنسانية وحماية اختصاصاتها، محققا الغاية التي يهدف إليها، وهي تكريم الإنسان واعزازه ولقد صدق الحق سبحانه عز وجل حيث يقول: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء/٧٠].

دور الأسرة في تكوين شخصيات الأفراد

إن الأسرة التي ينشأ فيها الفرد تلعب دورا هاما وحيويا في تكوين شخصيته، فهي التي تنمي الوسائل المتعددة لخبراته، والتي يتم من



خلالها عملية التثقيف الاجتماعي ذات الدور الكبير في شخصية الفرد، فعالم الفرد في بدايته يكون قاصرا على التأثيرات الهامة، والصادرة أساسا من داخل الأسرة، لأنها هي التي تشكل شخصية الفرد من خلال الخبرات المختلفة، التي يلقنها من هذه البيئة الصغيرة، بيد أن الفرد نتيجة للتفاعل المتبادل بينه وبين الأسرة يبدأ يحدث أثره، ويعدل من سلوك العلاقات القائمة داخل الأسرة.

وعلاقة الفرد بجميع أفراد الأسرة ليست متخذة شكلا واحدا، فتأثير الأم لا يعادله أي تأثير آخر، خاصة خلال الفترة الأولى من حياة الفرد، ثم يبدأ يظهر تأثير الوالد والاخوة والأفراد الآخرون خارج نطاق الأسرة، ومع تقدم السن يصبح تأثير جماعات الرفاق خارج نطاق الأسرة أكثر أهمية، وبشكل متزايد قد يفوق تأثير الآباء أحيانا، فأهمية النسبية لكل من الوالدين والآخرين تختلف باختلاف مرحلة النمو، وباختلاف الجنس.

> حرم الإسلام الظن السيء والتجسس والغيبة واعتبر الظن أكذب الحديث

وليس هنا أدنى شك في أن الخبرات التي يكونها الفرد في داخله يكون لها تأثير واضح على شخصية الفرد بعد ذلك، بل إنه يكون من الصعب في بعض الأحيان على الخبرات التالية أن تحدث تغييرا جوهريا فيما اكتسبه الفرد من الخبرات السابقة، فالفرد الذي ينظر لنفسه على أنه غير مرغوب فيه أو منبوذ من أفراد الأسرة، قد يجد من الصعوبة بمكان تغيير نظرته لنفسه بعد ذلك، حتى ولو مر بخبرات عديدة، ومغايرة في الكبر، فالخبرة المبكرة تكون ذات تأثير فعال في نمو شخصية الفرد.

إن الكثير من صفات شخصية الفرد وثباتها يتوقف على الارتباط الوجداني بالأم، إن هذا الارتباط هو بمثابة الشحنة الوجدانية التي تنمو بالتدريج، من خلال الإشباعات المتكررة، التي يستمدها من الأم خلال السنوات الأولى من حياته.

وإذا كان الفرد يحتاج إلى قدر معقول من الرعاية النفسية والبدنية من الوالدين، فإن المنزل يعتبر في هذه الحالة أحد المحددات الهامة في نمو شخصية الفرد، فالأسرة هي المركز الرئيسي الذي يدعم أو يهدد مشاعر الفرد بالطمأنينة، فإذا كانت ظروف البيت من النوع الذي يدعم توافق شخصية الفرد بدرجة مناسبة، فان الفرد يسير في طريق النمو السليم، أما إذا عجز المنزل عن أن يقدم للفرد الاستجابات الانفعالية المناسبة، والشعور بالأمن، فسوف ينمي عنده دوافع دفاعية معينة، يكون الهدف منها التغلب على مشاعر الأمن، إذ

أن الفرد الذي لم يتعلم الصدق في المنزل، يستحيل عليه أن يصدق الآخرين، أو أن يثق فيهم ثقة تامة.

إن سلوك الوالدين له أكبر الأثر وأعظمه في شخصية الأبناء، فالأبناء غير المتوا٢٢اج نفسيا يخرجون من أسر منهارة، كان الصراع أو الاحتكاك فيها مستمرا بين الوالدين، ومثل هذا الجو في الأسرة من شأنه أن يجعل الفرد موزع الولاء بين الوالد والوالدة، وقد يتعلم الفرد استغلال أحد الوالدين ضد الآخر، أو قد يهملهما معا.

وقد يكون الوالدان في حالة من التوتر الانفعالي، الأمر الذي يجعل تصرفاتهما تتصف بالحمق والرعونة، ويجعل أسلوب كل منهما في الكلام مع الابن فيه جفاء وخشونة، كما تكون طريقة حديثهما معه مقتضبة.

ومثل هذا السلوك من جانب الوالدين من شأنه أن يولد التوتر الانفعالي في الفرد، ومن هنا ينعدم إحساسه بالأمن، الذي هو في أشد الحاجة إليه لتتكامل شخصيته.

ولما كان أفراد الأسرة هم الذين يسيطرون على بيئة الفرد السلوكية في السنوات الأولى من حياته، فمن الواضح أنهم يقدمون له الخبرات الأساسية، التي يكون من خلالها فكرته عن نفسه، وتعد الاتجاهات التي توجه الآباء في هذه المرحلة ذات أهمية بالغة في تكوين هذه الفكرة.

إن من أبسط المسلمات البدهية أنه لا سبيل للنهوض بالأفراد إلا عن طريق مبادئ ومقومات معينة ومحددة، فيجب على الآباء والأمهات أن يربوا أولادهم على كل المؤهلات التي من شأنها أن تجعلهم قادرين على تجاوز كل عجز، واقتحام كل عقبة وتخطيها، ورفع مشعل النصر بإذن الحق سبحانه تبارك وتعالى.

وهناك ثلاثة محاور أساسية ورئيسة في تربية الأبناء، وهي ذات أثر عظيم في تكوين شخصياتهم:

المحور الأول: الاعتزاز بالإسلام

لعل من أهم ما يجب الاهتمام به بعد تلقين الأبناء المتطلبات الشرعية، هو جعلهم يعتزون بدينهم اعتزازا عميقا، ويشعرون شعورا خالصا بأنهم بالإسلام على حق، وأن غيرهم من دون إسلام على باطل، وأن الانتساب لهذا الدين ميزة فضلهم بها المولى سبحانه عز وجل.

إن تعميق الإيمان بالحق سبحانه جل وعلا عند الفرد، وتعليمه نصيبا من كتاب الله سبحانه عز وجل، وتحفيظه بعضا من أدعية وأحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وتحبيبه في كل ما يعتبر رمزا للإسلام، وتعريفه على درجات الإسلام سوف يسهم بلا شك مساهمة فعالة في هذا المجال.

بيد أن المنزلق الذي يجب أن نحذر منه ونتجنبه، هو أن نتصور أن تلقين الفرد هذه الأشياء فيه الكفاية، باعتبار أنه بذلك صار مكتمل التربية.

وأن مما لاشك فيه أن حسن تلاوة القرآن الكريم، وترديد المأثور من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناسبات المختلفة، يعتبر جانبا لا يستهان به في تكوين الفرد وبناء شخصيته.

ولكن هذه المعارف تبقى في حقيقة الأمر وواقعه ذات مفعول شخصي بالنسبة للفرد، ولا يؤثر إلا بشكل محدود في علاقاته مع الناس، فإذا اقتصرنا عليها في التكوين فسنكون قد وجهنا اهتمامنا فقط إلى الجانب الخارجي من شخصية الفرد، ولم نصل إلى أعماقه لكي نهذب قلبه، وهنا يأتي دور المحور الثاني.

المحور الثاني: الخلق السامي الذي يجلب محبة الناس

إننا إذا اقتصرنا على الجانب الخارجي في تربية الأبناء، وصار الفرد يلبس ملابس الإسلام، ويتحدث بحديث الإسلام، وهو في علاقاته مع الناس فاقد المروءة، منعدم الشخصية، قليل الحياء، فإذا ما شب ونما وترعرع على هذه الشاكلة، فإنه سوف يسيء إلى الإسلام أكثر مما يفيد، ولسوف يكون نسخة من علماء اللسان الذين حذرنا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلابد أن تكون تربية الأبناء قلبا وقالبا، داخلا وخارجا، علما وسلوكا، معرفة وأخلاقا، والأخلاق التي يجب التركيز عليها هي التي تجلب محبة الناس واعزازهم، وتجعل للفرد حظاً في قلوبهم، مثل: الحياء، والعفة، والكرم، والتواضع، والصبر، وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

> الشجاعة بكافة أشكالها من أهم الخصال التي يجب التركيز عليها كمحور ثالث في تربية الفرد

المحور الثالث: الشجاعة

إن الشجاعة بأشكالها ومستوياتها كافة من أهم الخصال التي يجب التركيز عليها كمحور ثالث في تربية الفرد، حتى يكون مؤهلا لحمل الرسالة، وتبليغ الدعوة.

والشجاعة الأدبية تعتبر من أهم الضرورات في هذا المجال، فالعلم الغزير، والخلق الحسن، لا يكفيان ليصير المؤمن مصلحا، إذا كان خجولا، يفتقد الجرأة اللازمة، التي تمكنه من الحديث إلى الناس، ودعوتهم إلى ما يحمله من خير ونور.

والشجاعة تكتسب من الصغر، فيجب أن نربي في الفرد منذ نشأته القدرة على الأمر بالمعروف، ودعوة الناس إلى الخير وتحبيبهم في فعله، كما يجب أن نربي فيه أيضا المبادرة إلى النهي عن المنكر دون تردد ولا وجل ولا خجل.

إننا بهذه المحاور الثلاثة والتي تعد على جانب كبير من الأهمية، لو استطعنا غرسها في نفوس الأفراد وترسيخها في قلوبهم، فإننا سوف نستطيع أن نوجد الفرد الصالح، الذي يكون نواة لمجتمع صالح، وأمة صالحة.

وبعد:

فإن الاتجاهات التي يكونها الفرد عن نفسه خلال الفترة المبكرة من حياته تكون ذات أثر بالغ وأهمية عظيمة، لأن من الصعب تعديلها متى تكونت وتأصلت في النفس، فكم من أفراد نعرفهم، ونعرف مقدار ما يتمتعون به من ذكاء وقدرة تكفي لشق طريقهم في الحياة بنجاح، ومع ذلك فشعورهم بضعف ذواتهم، وعدم تقديرهم لأنفسهم حق قدرها، يحول دون بلوغهم مستوى الكفاية والقدرة، ولذا نجدهم لا يرجعون ما أصابهم من نجاح إلى ما لديهم من مواهب وذكاء، بقدر ما يرجعونه إلى الحظ وإلى الصدفة.

إن الأسرة تسهم بقدر كبير وخطير في بناء شخصية الفرد، ولها دور هام في نقل الثقافة إليه، وتشكيلها لشخصيته داخل الإطار الثقافي للمجتمع الذي يعيش فيه■

من تصورات أعداء الإسلام

فكر وثقافة

من لا يعرف عدوه، لا يعرف نفسه: عبارة بسيطة سهلة في ظاهرها ولكنها عميقة في دلالتها ومضمونها، وعدو الإنسان، هو عدوه فيما يعتقد بالدرجة الأولى، لأن العقيدة تشكل الكيان المعنوي والحقيقي لكل إنسان، وهو بها كل شيء، ومن غيرها ليس بشيء. إذ لا يبقى منه بعد ذهاب عقيدته إلا لحمه ودمه، وهما كيانه المادي الذي لا يمتاز به عن بقية الكائنات الحية إلا في كيفية إشباعه.

بقلم: أ.د. محمد عبدالستار نصار

علاقتنا مع الأعداء:

إذا صح هذا ـ وهو صحيح ـ فهل يمكننا أن نحدد أعداءنا، ونعرف كيف يكيدون لنا. فنحبط كيدهم، ونبطل مكرهم؟ نحن أبناء الإسلام كثر أعداؤنا، وقل أصدقاؤنا، والعداوة والصداقة عند هؤلاء وأولئك، لها أسبابها ودوافعها الباطنة والظاهرة، والمسلم مطالب بتحديد علاقته بعدوه، تحديداً يقوم على عدم الموالاة والنصرة ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ [آل عمران/٧٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة/١] ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة/٨ و٩].

وفي ضوء هذا التحديد الواضح الجلي لعلاقتنا بعدونا ينبغي أن تكون نظرتنا إليه على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي في شكله الشعبي والرسمي.

١ـ الأيديولوجية الشيوعية(١)

من المعلوم أن الأيديولوجية الشيوعية عدوة الأديان عموماً، والإسلام على وجه

أعداؤنا ينظرون للإسلام وقيمه بعين عوراء في محاولة لتشويهه

أخص، وهي تتصور الأديان عموماً على هذا الشكل:

(١) أنها أفيون الشعوب، تجعل غايتها تخدير من يؤمن بها، وتصور له داراً أخرى ينعم فيها بما فاته من نعيم الدنيا.

(٢) أنها عندما تمنيه بما هو آجل، تعطي عاجله وواقعه للمستغلين من ذوي النفوذ والسلطان، ولا يملك المتدين أمام هذه الأماني إلا الرضا بالقليل وترك الدنيا بما فيها لغيره من المستغلين والانتهازيين، فكأنها هي السبب الحقيقي في ظهور الاقطاع والاستغلال، ثم تتصور الإسلام على وجه أخص على هذا الشكل:

١ـ أنه ينطوي على أيديولوجية رجعية مناهضة للعلم والتقدم البشري.

٢ـ أنه يعطي فكرة كاذبة ومضحكة عن تنظيمه للمجتمع.

٣ـ أنه دين بدائي ساذج، جمع بين عناصر وأمشاج من المسيحية واليهودية والوثنية.

٤ـ أن الواضع الحقيقي لأساس هذا الدين هو ممثل الإقطاعية التجارية في مكة محمد لكي يبرر ـ دينيا ـ حملات النهب والسلب التي كان يقوم بها ارستقراطيو العرب.

٥ـ أنه دين لا يحمل في طياته إلا القسر والجبرت، وأنه فرض على الأمم التي دخلها فرضا.

٦ـ أنه الآن يعمل لخدمة الامبريالية الأميركية والانجليزية.

تلك هي افتراءات التصور الشيوعي على الإسلام وهي تعبير عن حقد وجهل لدى هؤلاء وما هذه الافتراءات إلا مظهر لذلك(٢).

٢ـ الأيديولوجية الليبرالية الغربية

وليست الأيديولوجية الغربية بأحسن حالاً في نظرتها إلى الإسلام من الأيديولوجية الشيوعية، فهو في نظرها:

١) دين التعصب والهمجية، وحسبه أنه لا يحمل في عناصره عوامل التحضر والمدنية.

٢) أن المد الذي حققه في تاريخه أيام حضارته الأولى لم يكن بفعل ما فيه من مبادىء، بل كان تعبيراً عن أطماع حكامه وممثليه من أصحاب السلطة.

٣) لو كان الإسلام يحمل في ذاته عوامل النهوض والتقدم، لما كان أهله وممثلوه في هذا الوضع المتخلف.

٤) أنه يحمل في ذاته عوامل الانقسام والفرقة، والدليل على ذلك أن فيه كثيراً من النزعات المتباينة، سواء كان ذلك في مجال الاعتقاد، أم في مجال العبادات والمعاملات، وما تعدد الفرق العقدية، والمذاهب الفقهية إلا دليل على ذلك.

٥) أنه دين يتخلله كثير من العناصر الوثنية، وما الطواف حول الكعبة — وهي حجر لا يضر ولا ينفع — إلا مظهر لهذه الدعوة، وكذلك ما يضفيه أنصاره على رسوله من تقديس واحترام.

٦) أنه دين شهواني يعنى بإشباع الغرائز، ولا يعنى بترقية الروح وما دعوته إلى إباحة الأكل من كل الطيبات، وتعدد الزوجات وغيرهما إلا تعبير عن طبيعة هذا الدين.(٣)

هذه هي باختصار شبهات أعداء الإسلام، من الشيوعيين والصليبيين والصهيونيين، وهي تعبير إما عن حقد أسود على الإسلام، والمسلمين، وإما عن جهل مركب بحقيقة هذا الدين وطبيعته لأنه يشكل بالنسبة للأولين - الشيوعيين — عقبة في سبيل مبادئهم، وبالنسبة للآخرين — الصليبيين والصهيونيين — نسخاً لعقيدتهم، وكشفاً لما اعتراها من تزييف وتحريف على أيدي رهبانهم وأحبارهم ومفكريهم.

ومن العجيب أن ينظر هؤلاء وأولئك بعين عوراء إلى الإسلام حتى يروه بهذه الصورة المشوهة، في الوقت الذي ينظرون فيه بعين الرضا إلى الديانات الوضعية الوثنية التي ليس لها دور يذكر في معيار الدين الصحيح.

أفلا يدل هذا كله على جنوح في أحكامهم حين ينظرون إلى الإسلام وإلى غيره؟!

وإذا كانت هذه صورة الإسلام لدى الشرقيين والغربيين على السواء. فإن نظرتهم إلينا نحن المسلمين المنتسبين إلى هذا الدين، لن تتجاوز هذه النظرة الحاقدة الماكرة الجاهلة.

وإذا شاء لهم أن يعدلوا من نظرتهم إلينا، فلن يكون هذا إلا أمراً مؤقتاً مرتبطاً بمصالحهم الذاتية، لأنهم يقيمون علاقاتهم مع الآخرين في ضوء ما آمنوا به من «حساب المنفعة» أما الاحترام والتقدير فهما مرتبطان لديهم بنظرتهم إلى كيان الإنسان الداخلي - بعقيدته ودينه - على الشكل الذي يرضون عنه. إننا - نحن المسلمين - نمد جسور العلاقات شرقاً وغرباً، على المستويين الفكري والرسمي، فقد أصبح ولاء من نسميهم بطلائع المفكرين، إما إلى الشرق وإما إلى الغرب، كما أن أمتنا على المستوى الرسمي موزعة الولاء أيضا بين هذا وذاك، وقليل ما هم أولئك الذين يعتقدون ويسلكون ويمارسون في ضوء حقيقة واضحة جلية وهي: (إثبات الذات المسلمة) بكل أبعادها، وفي إطار فهمها الصحيح لهذا الدين، ومهمتهم الكبرى، اقتلاع عوامل الانهزام والتقهقر الداخلي الذي استشرى في كثير من النفوس، وبناء المسلم بناء جديداً، يتمشى مع طبيعة هذا الدين، والعودة به إلى حظيرة الإيمان الصحيح، ومتى كان كذلك، مؤمناً صادقاً واعياً إيجابياً في حياته آخذاً بكل أسباب الحياة الإسلامية الصحيحة، يتعامل مع الحياة والكون بمنطق السنن الإلهية التي أقام الله عليها نتائج المواجهة بمفهومها العام من النصر أو الهزيمة، فإن نصر الله مدركه، لأنه نصر الله في نفسه وواقعه ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد/٧] ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم/٤٧].

٣- النظرة الصحيحة إلى أعدائنا

فهل آن لنا نحن المسلمين أن نراجع رصيدنا المادي والروحي الذي نملكه بما وهبنا الله من دين هو الحق، وبما منحنا من كثرة تشكل ربع تعداد العالم تقريباً، وبما أودع في ديارنا من طاقة لها تأثيرها في الميزان الدولي؟

(حساب المنفعة) هو الذي يحكم علاقة عدونا بنا

إن هذا اليوم إذا جاء - ونسأله سبحانه أن يكون قريباً — سيكون لنا شأن آخر في معترك الحياة، وسنحدد علاقتنا مع أعدائنا في ضوء الحقيقة الباهرة التي علمناها من قرآننا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق..﴾ ثم يذكر القرآن في آخر الآية نفسها قوله الحاسم: ﴿ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾. [الممتحنة: ١] إننا نترفع عن أن نكون ضالين سواء السبيل ولن يتأتى لنا ذلك، ما لم نحدد خطواتنا على طريق الحق، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وكفى به طريقاً مستقيماً، محدد الهدف، واضح الغاية، حاملين «هويتنا» الإسلامية الصادقة التي تحدد علاقتنا بأعدائنا وأصدقائنا.

٤- أبواق الدعاية ضد الإسلام داخل بيئتنا

لعل خير ما يمكن أن يستشهد به في هذا المقام، قول الشاعر العربي:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

نعم!! تكون الطعنة نجلاء عندما تأتيك ممن تنتظر منه أن يحميك، لا أن يطعنك، ويكون أثرها النفسي شديد الألم، وأشد في التأثير السلبي، من آثارها المادية، وقد رزئت أمتنا — منذ فجر تاريخها وحتى الآن بنوع من الصلف والكبرياء — بطائفة ممن ينتسبون إلى الإسلام، شكلا لا موضوعاً، ومظهراً لا حقيقة له، فيما يظهر على ألسنتهم الناطقة والكاتبة — على أقل تقدير - من كلام لا يتجاوز في محتواه ومضمونه كلام أعداء الإسلام السافرين، بل يمكن أن يقال «إن أعداء الإسلام التقليديين استطاعوا — بما أوتوا من المكر والدهاء — أن يكفوا ألسنتهم عن الطعن فيه والكيد له، كنوع من المهادنة الظاهرية، استرضاء لمشاعر أفراد أو جماعات لهم مصالح لديهم، وإظهاراً لاحترام كل ما يمت إلى الدين بصلة، غير أن تصرفهم هذا، لم يتحقق إلا بعد أن اطمأنوا إلى تكوين فريق من أبناء المسلمين، يحملون عنهم المهمة وينفذون المخطط، ويصلون إلى

الهدف ، وهو الطعن في الإسلام، واسقاط الأحكام على مبادئه وقوانينه وتراثه وتاريخه، بل وكتابه الأول ـ القرآن الكريم ـ وكتابه الثاني ـ السنة المطهرة ـ ورسوله الكريم، من نفس المنظور العدائي الذي يتصوره به أساتذتهم، ويلبسون الباطل ثوب الحق، حين يدعون أن تلك الرؤى الجديدة إلى هذا الدين، إنما تمثل النظرة (التنويرية) إليه، في مواجهة النظرة (الرجعية) التي تريد أن تقف بالإسلام عند صورته الأولى التي نزل بها من عند الله تبارك وتعالى والتي بلغها رسوله الكريم وصحبه الأبرار وأتباعه المخلصون.

وليس غريباً بعد ذلك أن نرى على رأس مؤسساتنا الثقافية والتوجيهية في بعض بلادنا الإسلامية، أناساً على درجة فائقة من الإخلاص لكل فكر (تنويري) يحمل في مضمونه تجاوز الإسلام الصحيح، ووصول هؤلاء إلى هذه المراكز المتقدمة، لم يكن أمراً تمليه المصلحة العامة بالمعنى الحقيقي، إذ لو كان الأمر كذلك، لما برح هؤلاء موقعهم الصحيح، في دائرة مظلمة من الحياة الإسلامية، ولتسلم غيرهم ـ من أهل العلم والثقة والإخلاص ـ القمة في قيادة وتوجيه الفكر والتربية والتثقيف بحكم مؤهلاتهم التي أشرنا إليها. إن هؤلاء لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا تنفيذاً لمخططات قوى تعادي الإسلام. وإيجاد رموز وكوادر من هذا النوع ـ تدعو إلى التجديد والتحديث بأساليب متنوعة تأخذ بألباب ومشاعر السذج من أبناء أمتنا ـ هو غاية ما يطمئن إليه أعداء الإسلام الحقيقيون، ومن ثم ظهرت في بيئاتنا الإسلامية، أفكار وآراء وتصورات، تحمل نفس المضامين التي دعا إليها هؤلاء الأعداء، وقد كتبت هذه المرة بلغة عربية وعلى لسان مسلم، ومن العجيب حقاً أن يروج لها داخلياً وخارجياً، فيعمل لها من الدعاية والنشر في الداخل مما يغري الكثيرين من أنصاف المثقفين بقراءتها، وتترجم إلى عدة لغات في الخارج، بدعوى أن هذا هو الإسلام في صورته الجديدة، ويرصد لأصحاب هذه الكتابات من الجوائز والهبات ما لا يحصل على عشر معشاره أصحاب الأقلام الجادة النظيفة، العاملة الواثقة المخلصة.

ولكن!!

ومع هذا التهويل والتضخيم لعمل هؤلاء، فإن الحق يظل هو الحق، كما يظل الباطل كذلك هو الباطل، وإذا لم يجز للحق أن يكون دائماً ظاهراً في مجتمع الناس بفضل الدعاية للباطل التي يروجها له أصحابه، فإنه يظل دائماً مستكناً في ضمائر أصحاب النفوس النقية، والقلوب الطاهرة والأفئدة النيرة، لأن له طلاوته وحلاوته مهما استعلى الباطل، وأراد أن يزاحمه في نصابه، ومها أوتي أصحابه من الجاه والسلطان، لما وراءهم من قوى خفية أو ظاهرة، وقد حسم القرآن الكريم هذه القضية حين قال: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [الرعد/١٧].

والمهم ـ في نهاية حديثنا ـ أن نعرف أعداءنا قريبهم وبعيدهم، حتى نبصر مواقع أقدامنا، ونحدد علاقاتنا بهم في الإطار الذي حدده الحق سبحانه وتعالى، وحتى لا نوصف بالغفلة عما يجري من حولنا، فلا تخدعنا القضايا والمشاكل المصطنعة التي أريد لها أن تروج في بيئتنا، وهي منها براء، تلك المشاكل التي لامست أهم مبادىء الدين وأسسه، والتي لم يكن من وراء إثارتها من جديد، إلا تشويه صورة الإسلام النقية الناصعة..

إن المثقف المسلم، الذي يعي ما يلقى في الساحة من آراء وأفكار، لا ينسى أبداً تلاميذ (مرجليوث) المخلصين الذين حملوا عنه لواء التشكيك في القرآن الكريم من حيث كونه وحياً أوحي به إلي محمد صلى الله عليه وسلم، وتلاميذ (جولدزيهر) الذين روجوا للتشكيك في السنة كمصدر ثان للإسلام، وأتباع (لامانس) الذين نقلوا عنه صورة التاريخ الإسلامي مشوهة، وبخاصة في بعض أحقابه كتاريخ بني أمية، ليكون نموذجاً لبقية أحقابه، تلك التي يظهر فيها وكأنه ليس إلا تاريخاً لمجموعة من الجبابرة والعتاة الذين أذلوا الأفراد والجماعات والأمم والشعوب بمطالبهم، إلى آخر ما تعج به كتاباتهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين، حتى يبدو تاريخ الأمة لديهم «أنياباً ومخالب» ليس إلا.(٤)

المسلمون مطالبون بإثبات حقيقة الذات المسلمة

والطامة الكبرى أن تكون كتابات هؤلاء هي المرجع الأعلى والنموذج الأمثل لكثير من شبابنا المشتغلين بالدراسات الجامعية العليا، وليس هناك من سبيل إلى تجاوز هذا الواقع الأليم، إلا بالرجوع إلى ينابيع الإسلام في أصالتها ونقائها كي نتعامل معها بطريق مباشر، بعيداً عن تلك الرؤى والصور المشبوهة، واضعين أمام أنظارنا طلب الحق والعمل به، عندئذ نكون قد وضعنا أرجلنا على الطريق الصحيح، الذي يكون سبيلنا إلى واقع جديد، يغدو فيه الإسلام، كما هو في صورته النقية المشرقة، التي أنزله الله عليها، وبلغها عنه رسوله الكريم وصحبه الأبرار، وتصح نسبتنا إلى هذا الدين، فنكون في مستوى مبادئه وأصوله وأحكامه قولاً وفعلاً وعملاً وتطبيقاً. ■

هوامش:

(١) لا نعدم في عالمنا العربي والإسلامي من يقرر أن الشيوعية لم تسقط في بلادها بعد المعاول التي أتتها من الداخل كما قرر ذلك كتاب «البيروسترويكا» وإنما انزوت إلى حين، ولا شك في أن كلامهم ليس له ما يبرره من الناحية العلمية، إذ الشيوعية في أصل نشأتها، لم تقم على أساس صحيح، لمصادمتها للعقل والفطرة السليمين.

(٢) يمكن الرجوع لأي مصدر تحدث عن موقف الشيوعية من الأديان بمنهج علمي، وبخاصة موقفها من الإسلام، وللشيخ محمد الغزالي كتاب ممتاز في هذا السبيل هو (الإسلام في وجه الزحف الأحمر) الفصل الثاني: الشيوعية والدين.

(٣) ينظر كتاب: شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب.

(٤) انظر الباب الممتاز الذي عقده المرحوم الدكتور/ محمد البهي في كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) تحت عنوان: (المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام).

النهضة وعائق التطبيع

ثقافة

حياة الأمم، حياة مترابطة: ماضيها ممتد في حاضرها، وغدها مستند على حاضرها، وهذا التداخل والترابط بين وحدات الزمن لا يعني تواليا بسيطا لعقارب التاريخ، أو تراصاً تراكميا للسنوات والأيام، إنما يعني أن الامتداد الزمني للأمة يكسبها ميراثا فكريا وحضاريا يحدد لها ذاكرتها ووعيها، وبذلك تمتلك تلك الأمة هوية ثقافية خاصة تحدد لها بصمة حضارية تتمايز عن باقي الأمم، كما يتمايز الآحاد والأفراد.
وبهذا يكون لكل أمة شخصيتها الخاصة. ومن ثم فكل نسق فكري يناشز هوية الأمة ويتضاد مع شخصيتها الثقافية يظل بعيداً عن وجدانها وعقلها، عاجزاً عن تحريكها وإنمائها والنهوض بها. إذ أن أجسام الشعوب والأمم تشابه الأجسام البيولوجية في استعصاء قبولها للغريب والدخيل.

بقلم: الطيب بوعزة

ومن هذا الوعي بخصائص الشعوب وطابع الحضارات، كان الإسلام يعامل الأقوام والمجتمعات التي يدخلها بفتحه المبارك، معاملة واعية، فلا يلغي معتقداتها الدينية بالسلطة المادية،ولا يمحو خصوصياتها اللغوية والاجتماعية بالسيف، بل يتركهاتعيش حياتها بحرية وتلقائية، وتأخذ الاسلام عن اقتناع ذاتي. بل حتى الأعراف المجتمعية لهذه الشعوب ينظر إليها ضمن الفقه الإسلامي نظرة حكيمة متزنة، تصالح الصالح منه وتدعو إلى إنمائه وتوجيهه. داخل الإطار الحضاري الإسلامي الشامل،حتى أصبح العرف مصدراً من المصادر المنهجية لأصول الفقه. وهذا تأكيد ضمني على أهمية الخصائص الثقافية والاجتماعية للشعوب.

النهضة والهوية:

وتأسيساً على ما سبق نقول: إن كل محاولة تستهدف إنهاض الأمة الإسلامية، لابدأن تنبثق من تاريخ هذه الأمة، ومن مستودع رؤاها ومفاهيمها التراثية، لأن ترابط وحدات الزمن في حياة الأمم يشترط على كل محاولة نهضة بواقعنا الإسلامي الراهن، أن تمتلك تصوراً أصيلاً يربط حاضر الأمة بماضيها في توليف منسجم يزاوج بين الارث الفكري الاسلامي القديم، وحاجات العصر المتجددة، فالاحتفاظ بالصالح من التراث، واستعادة الأمة لـ «عالم أفكارها» مع رؤية استكشافية لواقعها وحاجاته ومتطلباته. هو الذي سيمكننا من بناء ذاتنا ووجودنا الحضاري حاليا، وتخطيط سليم لمسارنافي المستقبل.

> إن النهضة عملية إبداعية، ولا يمكن للإبداع أن يحصل من الصفر والفراغ

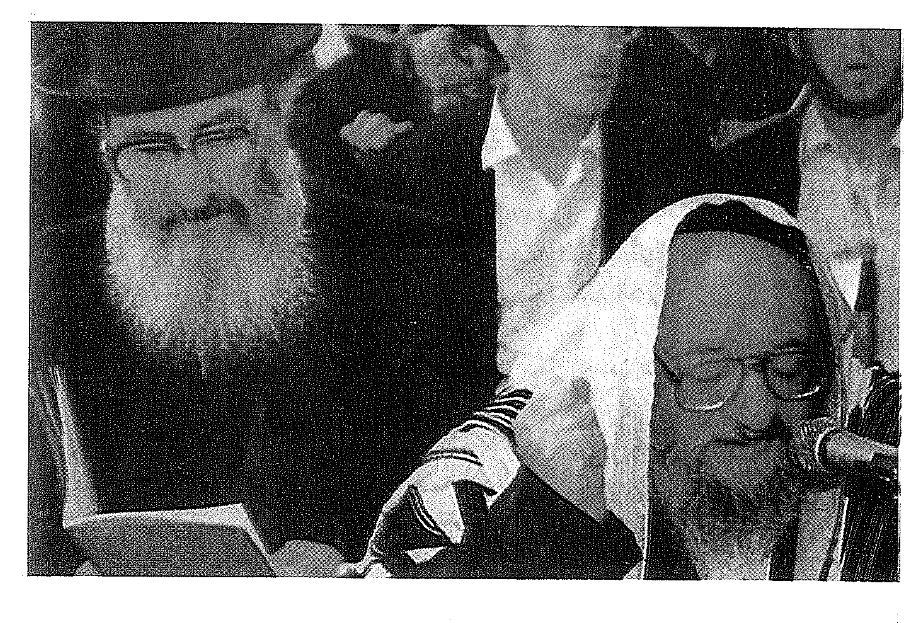
إن عملية النهوض لا تتم إلا بعد استكمال تقويم واع لتجارب الماضي، وكشف أسباب الصعود والانحدار، للدأب على استحضار الأولى وتجنب الثانية، والدارس لثقافة الغرب خلال القرون ١٤ و١٥ و١٦ الميلادية، أي خلال ما يسمى بزمن «النهضة الغربية» سيلاحظ أن هذه الفترة شهدت مراجعات نقدية واستكشافية مكثفة للأصول الاغريقية والرومانية القديمة. ولم تنطلق النهضة الغربية إلا بعد الاستمداد من التراث الإغريقي والروماني، والاستفادة من عطاء الحضارة الإسلامية، الذي نقل إلى أوربا من خلال صقلية والأندلس إن النهضة عملية إبداعية، ولا يمكن للإبداع أن يحصل من الصفر والفراغ، بل لابد من الاستناد على السابق والتجادل معه، قصد الاضافة عليه أو تجاوزه ونقده. وصحيح جدا أن الأمم التي لا تعيد النظر في ما أنتجته وتستريح إلى تكراره والتغني بأمجاده، تفشل في تجارب نهوضها، ونفس المصير يلحق الأمم والشعوب التي تتجاهل تراثها وتسّاقط على ميراث غيرها دون قراءة نقدية مستقلة، لأنها بذلك تفقد وجودها وتستحيل إلى كيان تابع مقلد.

التغريب والتحول الاجتماعي:

ومنذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري، كانت التحولات الثقافية والمادية التي شهدها العالم الإسلامي — ولا يزال — موجهة في أغلبها من طرف الغرب الذي سيّر هذه التحولات في البداية بنفسه من خلال الحركة الاستعمارية، أو بفعل تأثيره في النخبة السياسية والفكرية التي تولت توجيه التغيير وتسيير الحراك الاجتماعي، بعد خروج الاستعمار. ولم تكن هذه التحولات خطوات في سبيل النهوض، بل كانت هرولة في سبل الضياع والتغريب والتبعية. فالغرب لا ينمي الشعوب المستضعفة من داخل ثقافاتها ومعتقداتها،ولا يزيل العوائق المادية الواقفة أمام الحركة الذاتية للمجتمعات، بل يعمل دوما على عرقلة التأصيل، والتقدم المتميز،ويسعى إلى فرض أنموذجه الحضاري، حتى يضمن سلوك هذه المجتمعات خلفه، ليظل هو رائدها وقائدها،

فلا تستطيع اللحاق به، بله تجاوزه. فلا يعترف الغرب إلا بحضارته ومفاهيمه ونظمه، ولذا فهو يبدو وكأنه: (آلة تعمم الشبه بين المجتمعات من دون كابح، وتتوسل أداة السيطرة لهذا التعميم)(١)

وهذه الهرولة نحو تقليد الغرب، وتكرار نموذجه أدت إلى تشويه الذات التراثية وتزييف خصائصها، وتشويه الحداثة والواقع الراهن نفسه. إن التعامل مع التراث (كان بمثابة القتل البطيء، إن لم يكن الاغتيال، وولادة الجديد كانت بمثابة الولادة القيصرية المتعسفة لأجنة غير مكتملة النمو، إن لم تكن مشوهة عضويا)(٢) وبذلك، لا نحن امتلكنا الأصالة، ولا استوعبنا الحداثة!



إسرائيل عائق أمام النهوض:

وهكذا كان التحديث التغريبي عائقا أمام النهوض الذاتي للأمة، لأنه أضاع وعيها وحولها إلى كيان تابع. واليوم هناك مشروع ثقافي صهيوني، يحاول النفاذ إلى فكر الأمة وشعورها، مساهما في تجسيد نفس الهدف الذي عمل الاستعمار والتغريب على تحقيقه من قبل، وهو إفقاد الأمة ذاكرتها التاريخية، فتنسى دروس الماضي، ومن ضمنها كيد اليهود وعدائهم،تحت مفاهيم لماعة جذابة، كالسلام،والأمن الاقليمي، والتعاون الاقتصادي... ومن أطرف ما يتداول على ألسنة الدبلوماسيين العرب أن الدخول مع إسرائيل في سلام وعلاقات اقتصادية ومالية هو مفتاح النهضة والتقدم، الذي لا مفتاح غيره! إن هذا الجري اللاهث لأنظمة العالم العربي وراء التسوية مع إسرائيل يؤكد أن الخلل عميق متجذر في الوعي والواقع على حد سواء. وإلا كيف يمكن أن تدخل فكرة التعاون الاقتصادي مع إسرائيل إلى التصريحات والخطب،كمحور يبني عليه وحوله مشروع النهوض بالأمة، وتمنى الشعوب به وبنعيمه؟ قد يمكن فهم الحرص على التعاون الاقتصادي مع دول كاليابان أو كوريا أو الصين... أما مع إسرائيل التي مهما كان الدعم الأمريكي لها، فإن حجم العالم العربي وإمكاناته، فوق كل ما يمكن أن يعطيه الغرب، لو توحد هذا العالم العربي وسير على نحو من التعاون والتكامل. أجل لا يمكن أن يفهم هذا الجري اللاهث وراء رغبات الكيان الصهيوني إلا بضياع الوعي العربي وتغريبه وتذلله أمام الغرب.

ومن أكثر الأساليب قدرة على مواجهة خطر التطبيع الثقافي، هو استعادة تاريخ الأمة وتجديد وعيها الديني وذاكرتها التراثية، حتى لا تقع في ما يحفر لها من مطبات. ولذا على عاتق حركة الاصلاح الإسلامي المعاصرة تقع مسؤولية جسيمة، إذ هي الحاملة لمشعل الأمل، المتشبثة بالأصول الشرعية، والقادرة على المحافظة على شخصية الأمة من عوامل التغريب والاستلاب والصهينة. لكن مشروع التطبيع قائم على أساليب منهجية متطورة، للتأثير في نفسية الشعوب وتبديل عقلياتها، إنه مشروع ينهض على رصيد تاريخي كبير في فقه الاعلام والفن.. وغيرها من وسائل توجيه وصياغة الرأي العام، لذا فمواجهتنا له يجب أن تتطور في المنهجية والأسلوب، حتى تكون في مستوى التحدي، وتستطيع إنجاز الحصانة الفكرية للأمة،ومن ثم لابد من تجويد أساليب الدعوة الإسلامية، وعدم الاقتصار على الوسائل الكلاسيكية

> والاستسلام يورث الخنوع والتبعية، ويستحيل أن يكون مدخلاً للنهوض.

كالشريط السمعي والمقال الصحفي والخطبة. إننا نحتاج إلى امتلاك فنون الاعلام والسينما والمسرح... وتقنيات البث الجديدة، امتلاكاً عن علم واقتدار، لنستطيع الاقتراب من نفسية الإنسان المعاصروتفكيره. وانتشاله من مؤثرات التغريب والانحلال والاسفاف.

إن مشروع التطبيع يستهدف وجود الأمة في صميمه، إذ لا يقصد به تأمين الجغرافية المغتصبة من طرف إسرائيل، بل الامتداد إلى اغتصاب عقل الأمة وشعورها، وتجريدها من الالتزام برسالتها السماوية، حتى تضمن إسرائيل — ليس فقط جيلاً مستسلماً بل — أمةمستسلمة والاستسلام يورث الخنوع والتبعية، ويستحيل أن يكون مدخلاً للنهوض. لذا على الأمة أن تعود إلى ذاكرتها التاريخية وأصولها الدينية الاسلامية،لتستمد مفتاح النهضة، وتشكل الحصانة ضد التطبيع والتضييع ■

هوامش:

(١) وضاح شرارة «حول بعض مشكلات الدولة والثقافة» بيروت ـ دار الحداثة ـ ١٩٨٠ ـ ص ١٠٥.

نقلا عن فادي إسماعيل «الخطاب العربي المعاصر» المعهد العالمي للفكر الاسلامي ـ فرجينيا ١٩٩١ ـ ص ١٣٠.

(٢) سعد الدين إبراهيم «مصادر الشرعية في أنظمة الحكم العربية» ـ المستقبل العربي ـ السنة ٦ ـ عدد ٦٢ نيسان ـ ١٩٨٤ ـ ص ١٠١. مذكور في المرجع السابق ص ١١٧.

تحديات اقتصادية تواجهها الأمة الإسلامية

اقتصاد

**لفظ الاقتصاد مشتق لغويا من مادة قصد. والقصد للطريق الاستقامة، وفي الأمر التوسط، وفي الحكم العدل، وفي النفقة التوسط والاعتدال بين السرف والتقتير.
ويقال: اقتصد في أمره أي توسط فلم يفْرِط ولم يفرِّط.
واقتصدِ في النفقة أي لم يسرف ولم يُقَتِّرْ أو يَقْتُر.
والاقتصاد هو العلم الذي يبحث في الظواهر الخاصة بالانتاج والتوزيع.(١)**

بقلم: محمود رمضان محمد

الاقتصاد الاسلامي

الاقتصاد الإسلامي رباني المصدر، يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية، ويهدف إلى سد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية، طبقا لشرع الله تعالى الذي استخلف الإنسان في التصرف بالمال والانتفاع به، فالمسلم يدرك أن المال ملك لله - عز وجل - فيكون المال - سبحانه وتعالى - هدفا يسعى إليه المسلم في نشاطه الاقتصادي.

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[القصص/٧٧].

﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾[الإنسان/٩].

﴿وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾[الليل/١٧-٢٠].

ولذلك نجد المسلم وهو يزاول نشاطه الاقتصادي يسلك مسلكه وهو يعبد الله - عز وجل - بل الهدف من نشاطه أساسا عبادة الله تبارك وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[الذاريات/٥٦].(٢)

والخلاصة أن نظرية الإسلام الاقتصادية هي التقريب بين الناس في الدخول على أساس:

١- أن العمل هو الأصل في الاقتصاد الإسلامي ومنهاجه.

٢- الحرية الفردية وتبعتها على الفرد ويقيد هذه الحرية حد الاضرار بالغير.

٣- المسؤولية الجماعية أي مسؤولية الجماعة عن تحقيق الحياة الكريمة لجميع أفرادها عن طريق التعاون والتراحم حتى يتم التوازن المنشود في المجتمع وتتحقق للمجتمع ضوابطه.

٤- المال مال الله ولابد أن يوجه إلى ما يرضي الله، وغاية كل مسلم بمعنى أن الاقتصاد في الإسلام هو الوسيلة التي تنظم المعاملات والعلاقات المادية في المجتمع الإسلامي ليسير على نهج الله الذي يحقق رسالة البشر في الأرض.(٣)

يقول ماسينيون: (إن لدى الإسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة وذلك بفرض زكاة يدفعها كل فرد إلى بيت المال، وهو يناهض عمليات المبادلات التي لا ضابط لها وحبس الثروات، كما يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الأولية الضرورية، ويقف في نفس الوقت إلى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجاري، وبذا يحل الإسلام مرة أخرى مكانا وسطا بين نظريات الرأسمالية البرجوازية ونظريات البلشفية الشيوعية).(٤)

فالاقتصاد الإسلامي يعتمد على - العامة - ومنع الضرر، ويحدد العلاقة بين فئات المجتمع ماليا، ويرعى حقوق القطاع الخاص ابتداء، ولا ينسى واجبات القطاع العام ودليل ذلك:

١- خطة سيدنا يوسف عليه السلام للخمس عشرة سنة لدرء المجاعة التي تحفز على



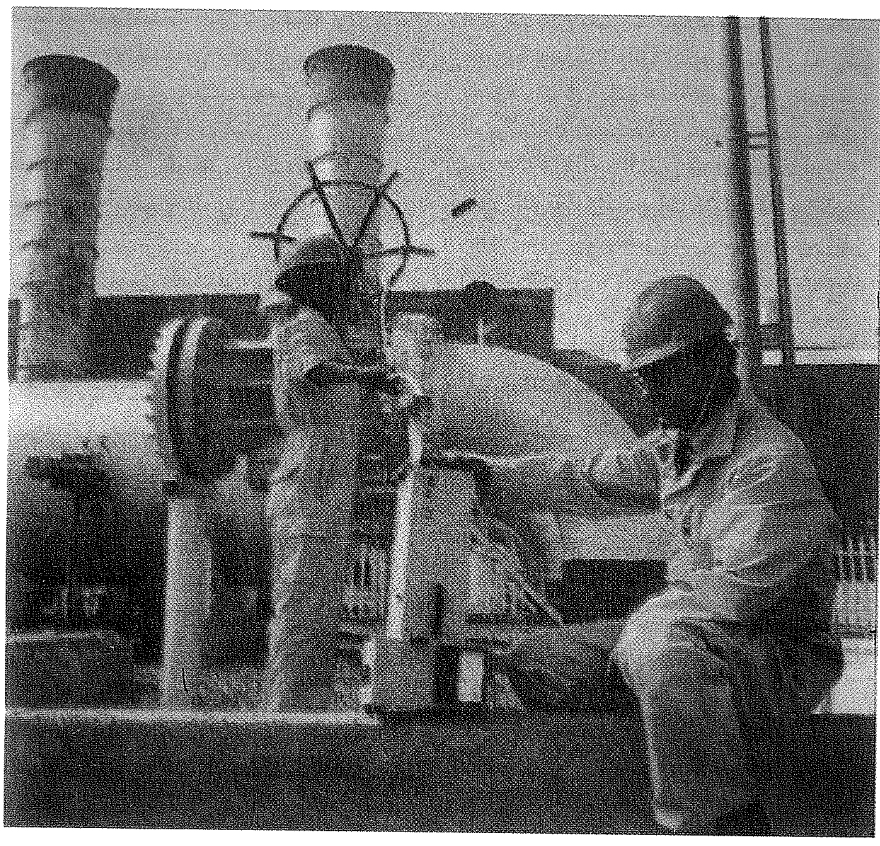
الإنتاج وتشجيع الادخار وترشيد الاستهلاك، ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ [يوسف/٤٧-٤٩].

٢- جعل الإسلام قيام الصناعات والتعمير والزراعة من فروض الكفاية، وحتى لا تأثم الجماعة بتقصير الأفراد كان على الدولة - ممثلة في الجماعة - أن تسد النقص فيها لأنه فرض من فروض الكفاية.

٣- جعل الإسلام رعاية الفقير والمسكين حقا للأفراد، وكلف الدولة بتحصيل الزكاة وبعرضها على هذا السبيل، وهذا دور من أهم أدوار الدولة لم يصل إلى أفقه أكثر دول العصر تقدما.

٤- كلفت الدولة بمد العامل بأداة حرفته وجعل ذلك من الزكاة لتحويل الطاقة العاملة من متسولين يعيشون على الإعانات إلى وحدات منتجة تكفي نفسها وتفيض على غيرها".(٥)

واستطاع الدين الإسلامي متمثلا في نظامه الاقتصادي، أن يكفل حياة اقتصادية عادلة للناس كافة، لأن أسس هذا الاقتصاد منطلقة من روح الدين ومحققة العدالة الاجتماعية للجميع.



تخلف الاقتصاد الإسلامي

استطاع الاستعمار بشتى الطرق أن يغزو الأمة الإسلامية، ويضرب وحدتها، ويستنزف مواردها، فيتخلف ركب الاقتصاد الإسلامي، وتتحول معظم البلاد المسلمة إلى بلاد فقيرة معدمة، بعضهم يموت جوعا، والبعض يعتمد على الغرب في مأكله.

ونحن في حاجة ماسة إلى تضامن وتكافل للوقوف بالاقتصاد الإسلامي والنهوض به، وأمامنا تحديات كثيرة يجب مواجهتها ومن هذه التحديات:

السوق الأوروبية الموحدة:

في الوقت الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية تخلفا اقتصاديا بكل المقاييس وتبدد جهودها، وهي مقسمة إلى فرق متناحرة، تطل علينا أوربا لتعلن وحدتها، وعلينا مواجهة هذا التحدي بطريقة علمية تضمن لنا حياة مستقرة، وهذا التحدي له أوجه عديدة منها:

التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ومشكلة الديون والانفجار السكاني ولكل تفصيل على حدة:

١- التكامل الاقتصادي:

من أهم الأسس التي قام عليها صرح المجتمع الاسلامي إلى جانب وحدة العقيدة ووحدة

> العمل هو الأصل في الاقتصاد الإسلامي ومناهجه

السلوك الديني والاجتماعي، يبرز مقوم آخر شديد الحساسية في كيان هذه الأمة، وهو وحدة النظام الاقتصادي التي أشير اليه بالزكاة كركن من أهم أركان الشريعة الإسلامية، ثم ندب إلى الصدقات جميع أفراد الأمة الإسلامية.(٦)

ولعل الحرب التي قام بها المسلمون في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه - ضد مانعي الزكاة ووصفهم بالمرتدين - تبين لنا أهمية الزكاة، باعتبارها عصب الاقتصاد: «ولا يزال العالم كله يتطلع إلى اقتصاد تحكمه قواعد ثابتة لا تؤثر فيها المصالح الشخصية والمنافع المادية، وتدعمه شريعة ربانية خالدة، يستوي أمامها جميع الناس، وفيه من المرونة والاستيعاب والتفريع - مع المحافظة على سلامة الاتجاه - ما يواكب العقول البشرية في تفتحها على سنن الله في خلقه، وتسخير ما في السموات وما في الأرض لهم.. وليس هناك غير الإسلام يستطيع أن يحقق هذه الغاية، لأن الاسلام لا يتعارض مع الجهد العلمي الذي حصلت عليه الإنسانية في تطور تاريخها الحديث».(٧)

والأمة الإسلامية أحوج من غيرها في تطبيق

هـذا النظام المنبثق مـن شريعتها، ولابـد من التعاون بين المسلمين «أفراد ودول» من أجل تكامل اقتصادي يخدم الجميع، ويعيد للأمة الإسلامية وحدتها وقوتها.
هـذا التكـامل ينطلق من أسـس ومبـادىء مدروسة وأسلوب علمي.

٢- أسس التكامل الاقتصادي:

يضع الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع الأسس والمبادىء لتحقيق التكامل الاقتصـادي بين الدول الإسلامية في نقاط هي: (٨)
١- أهم غـايـات التكـامل الاقتصـادي بين الدول الإسلامية ما يلي:
أ- مواجهة التحديات الاقتصادية التي تعوق التقـدم المالي والاقتصـادي في الـدول الإسلامية.
ب- تحقيق أكبر قـدر ممكن من الـرفـاهيـة الاقتصادية لدول العالم الإسلامي جميعاً.
جـ- ضرورة الاستفـادة من الامكـانـات المتـاحة (الماديـة والبشريـة) في مختلف دول العالم الإسلامي.
د- تبـادل الخبرات والافـادة من التجـارب الاقتصادية فيما بينها.
هـ- الاستفادة من الامكانات الهائلة للعالم الإسلامي.
٢- الارتكاز على مبادىء الشريعة الإسلامية السمحـة في كل معطيات وخطـوات التكـامل الاقتصـادي، فـالشريعـة وضعت الأسس العقائديـة والأخلاقيـة والتشريعية للنظـام الاقتصادي وقد وضع الإسلام هذه الأسس المرتبطـة بعـدة قواعـد أهمهـا: اعتبـار المال الصـالح قوام الحيـاة. العمل على كل قـادر. الكشف عن منـابع الثـروات. تحريم الكسب الخبيث. التقـريب بين الطبقات والمسـاواة في حق العيش. حـرمـة المال واحترام الملكيـات. تنظيم المعاملات المالية وإيجاد توازن عادل بين رأس المال والعمل.(٩)
٣- من الأهمية بمكان توفير قـاعدة عريضة من المعلـومـات الاقتصـاديـة عن العـالم الإسـلامي. فـالمعلـومـات لها دور كبير في مجالات التنميـة كـافـة ومن ثم في التكـامل الاقتصـادي (لقـد أصبحنا نـدرك اليـوم أن المعلـومـات مـورد مثل الموارد الطبيعيـة من الثـروات المعـدنيـة والأرض والميـاه، أو مثل الموارد البشرية.. فـالمعلـومـات تحول الموارد التي لم نكن نعـرف لها قيمـة إلى مـوارد طبيعية جـديدة عالية القيمـة حقاً. ونحن لم نعـرف إلا في مطلع هـذا القـرن، ان مـادة - البـوكسيت - مـادة خـام نستخلص منهـا معدن الألومنيوم الـذي عم استخدامه في كل مكان تقريبا. والمعلومات كشفت لنا عن قيمة مياه البحـر كمصدر لمعدن المغنسيـوم إبان الحرب العـالميـة الثـانيـة، وعن قيمـة خـام اليورانيـوم في توليد الطـاقة، إن المعلـومات مصـدر قـوة لأي مجتمع يحسن استخدامها)(٩)

مشكلة الديون:

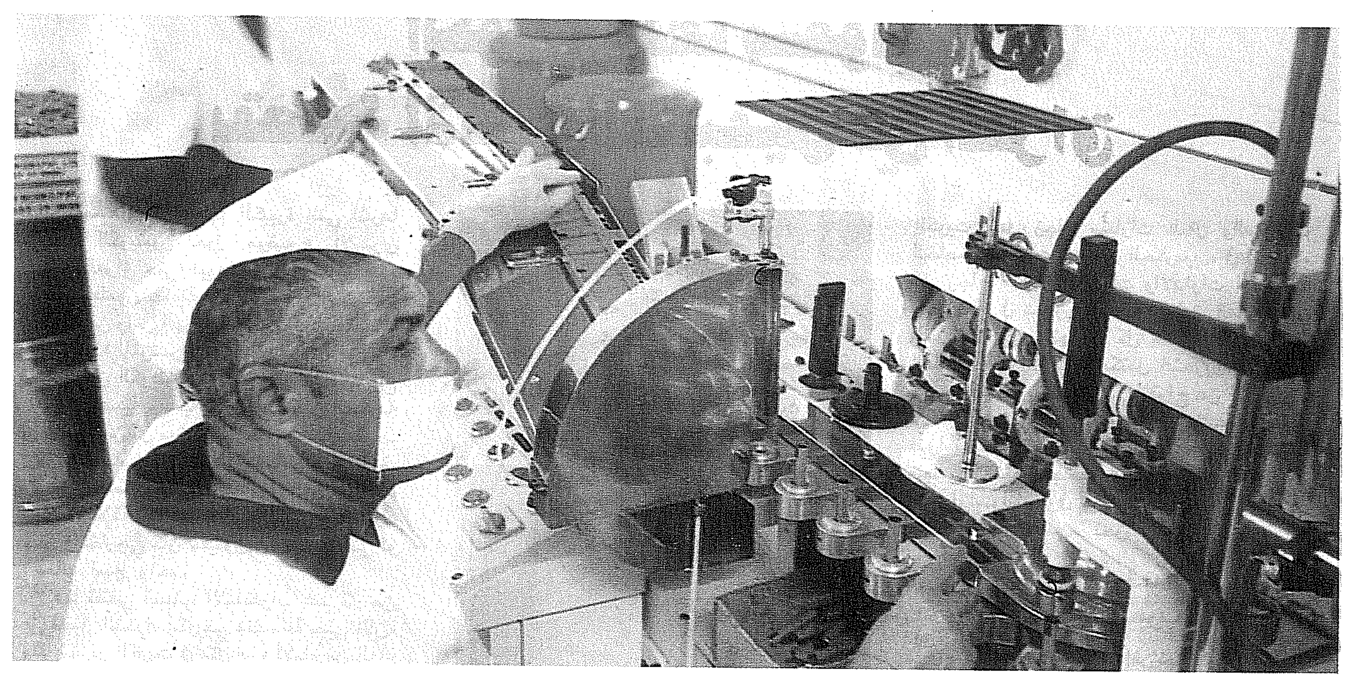
التحدي الثاني الذي يواجه الأمة المسلمة، هو (مشكلة الديون)، فمشكلـة الديون المتراكمة على بعض الـدول الإسـلاميـة، تعتبر عقبـة كبيرة في طريق التنميـة، علاوة على فـوائدها الكبيرة.
ولقد وصلت الديون الخارجية لبعض الدول إلى «منعطف خطير في الآونـة الـراهنـة، وبخاصة بعد أن تطورت أحجامها وأعباؤها إلى المستـوى الذي بلغتـه الآن. وأهم معـالم هذا المنعطف هـو ذلك التناقض الـذي نشب بين قدرة البلاد المدينة على دفع أعباء ديونها الخارجية، وقـدرتها على المحافظـة على الحد الأدنى الضروري لمستـوى معيشـة البشر فيها، حيث أصبحت أعبـاء خدمة الـديون - الفوائد والأقسـاط - تفترس نسبة هـامة من إجمالي حصيلـة صـادراتها، ومن إجمالي المحلي».(١٠)
ومن هنـا بـدأ الفقـر ينتشر في بعض البـلاد الإسلامية، كما يحدث في أفريقيا، فلا يخفى على أحـد المجـاعـات المنتشرة في البـلاد الإسلامية الأفريقية، وتحت ضغط الجوع.. وشبح الموت يتحول أتبـاع محمد -ﷺ- إلى المسيحية بضغـوط معنـويـة ومـاديـة من الكنيسة.

> المعلومات مثل الموارد الطبيعية من الثروات المعدنية والمياه

وعن الأسس والمبادىء التـي نتعامل بها مع مشكلـة الديـون يقول الشيخ عبـدالوهـاب عبـدالـواسـع.. مـوضحـا ذلك في نقـاط محددة:(١١)
١- ضرورة تحديد حجم الـديون الخارجية للعالم الإسلامي.
٢- تصنيف ديـون العـالم الإسـلامي وفق آجالها وفوائدها وتبويبها تنازليا.
٣- المشروعات الإنتاجية والتنموية التي يتم تمويلهـا من تلك الديـون ينبغي أن تسـاهم مردوداتها في رد قيمتها وفوائدها.

٣- المشكلة السكانية:

التحـدي الثالث الـذي تـواجهـه التحديـات الاقتصادية، هو (المشكلة السكانية)، ويمكن النظر لعدد السكـان في مجتمع ما بطريقتين، فهو يمثل عبئـا اقتصاديا واجتماعيـا يحتاج إلى خدمـات، وهو من نـاحية أخرى بمثـابة رأس مال يمكن توظيفه واستثماره، والعنصر الحاكم في هـذا المجـال هـو شكل التنظيم الاجتماعي والاقتصـادي، وهـل يـوفـر للمـواطنين فرصـاً إنتـاجيـة حقيقية أم أنـه يستنـزف مـواردهم في أعمال غير إنتـاجيـة وغير مفيـدة، ومن ثم لا يسهمون في عمليـة التنمية.(١٢)
وبـالتـالي يـؤثـر على النظـام الاقتصـادي، والمتأمل للزيـادة السكانية في العـالم سيجد أن عدد المواطنين العرب يتزايد بوتيرة تعادل ضعفي المعدل الـدولي. وكان يمكننـا أن ندق الدفوف فرحاً بهذه الزيادة، لو كان لها تأثير على قـوة البـلاد الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسية، ولكنهم كثرة كغثاء السيل، فمع زيـادة السكـان، ونتيجـة لعـدم التخطيط السليم نتج عن ذلـك تخلف اقتصـادي أدى إلى انتشـار الأمـراض في ديـار المسلمين، وتـدهور الصحـة نتيجـة لسـوء التغذيـة.. والتخلف الصحي هـو صـورة من التخلف العام، ومكافحته تكون بمكافحة التخلف على مستـويـاتـه كـافة وفي سـائر الميـادين، فلن تتحسن المستـويات الصحية مـا لم تتحسن المستويات التربوية والغـذائية والاقتصادية والبيئية في آن واحد معاً. والجواب على تحدي



الواقع المرضي هو التنمية الشاملة.(١٣)
ولكن علينا فقط أن نتحرك ونعمل بجدية لتحقيق الرخاء والأمن الدولي لبلادنا الإسلامية. وننهض بالإنسان المسلم، ونفخر بتلك الزيادة في الأمة الإسلامية، لأنها زيادة تبني وتزيد القوة قوة، فحل المشكلة الاقتصادية.. والتي ترتب عليها مشكلة الديون نتيجة لزيادة السكان وعدم الاستفادة من موارد البلاد بالصورة السليمة.. الخ.
كل ذلك له الحل الأمثل والفعَّال، وهو الحل الإسلامي، فالمشكلة الاقتصادية حلها يكمن في العمل الجاد، والاستقامة.
إن المعركة القادمة ستكون اقتصادية بكل المقاييس، وعلينا مواجهتها بكل الأساليب والطرق المشروعة، وأمامنا هذه الأساليب كامنة في كتاب الله وشرع الله، فقط علينا التطبيق، لنخرج من بوتقة التوتر الاقتصادي إلى مرحلة الانتعاش، ونستفيد ونفيد من خيرات بلادنا، وخبرات أولادنا، وسواعد شبابنا.
وما أحوج الأمة الاسلامية في عصرها الحاضر، وهي تملك أساسيات العمل الاقتصادي، وثروات متعددة المصادر والمنابع.. ما أحوجها إلى عودة مخلصة لنظامنا الإسلامي، فلعلها إن جربت سعدت، وانه لمن العجب، أن تفسح الأمة الإسلامية صدرها الوطني والاقتصادي لنظريات غربية متعددة ومعربدة، وشرقية فاشلة، وتتلقى مآسي في اقتصادياتها كل يوم، ثم تستمر متمسكة بما أدخلته في بلادها من هذا الشر الوبيل، ولم تفق لنداء الله ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [الأعراف/٩٦] (١٤) ■

هوامش ومراجع

١- ص١١ د. سعاد ابراهيم صالح (مبادىء النظام الاقتصادي وبعض تطبيقاته). الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٢- ص١٣ د.علي السالوس (الاقتصاد الإسلامي ودور الفقه في تأصيله)، هدية مجلة (الأزهر)، جمادى الأولى ١٤١١هـ.
٣- ص١٥ و١٦ عبدالسميع المصري (مقومات الاقتصاد الاسلامي) ط٣ مكتبة وهبة ١٤٠٣هـ.
٤- ص ٥٢ و٥٣ مولاى محمد علي (الإسلام والنظام العالمي الجديد) ترجمة أحمد جودة السحار مكتبة مصر.
٥- ص١٦٥ يوسف كمال (الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة) ط١.
٦- ص٥٧ د.نبيل صبحي الطويل (الحرمان والتخلف في ديار المسلمين) كتاب الأمة.
٧- ص ١٣ د.عبدالحميد بخيت (المجتمع العربي والإسلامي) جزآن، دار المعارف (مصر) ١٩٦٧م.
٨- ص٢٢ عبدالحميد ابراهيم سرحان (الاقتصاد في الإسلام) الهيئة العامة للكتاب (مصر) ١٩٨٧م.
٩- الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع (التحديات التي تواجه العالم الإسلامي)، دار الشعب - مصر - ١٤١١هـ.
١٠- د.سعاد ابراهيم (مبادىء النظام الاقتصادي...) مرجع سابق.
١١- د. رمزي زكي (إلغاء ديون العالم الثالث أو الكارثة) مجلة العربي ع٣٦٣.
١٢- الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع (التحديات التي تواجه العالم الإسلامي) مرجع سابق.
١٣- د.علي الدين هلال (السكان قنبلة موقوتة في عالمنا المعاصر) مجلة الدوحة ع١٢٣.
١٤- ص١٠٥ د. رءوف شلبي (المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف) الاعتصام - مصر.

ديون الدول الإسلامية، عقبة في طريق التنمية

د. حسين شحاته:
هكذا يتعامل المنهج الإسلامي مع الأجور والأسعار

حوار

الإسلام اعطى لكل قضية من قضايا المجتمع حقها في التعامل معها أو بها بين افراد المجتمع.
من هذه القضايا التي تهم كل الافراد قضية الاجور والاسعار فقد منح الاسلام الحرية الفردية للنشاط الاقتصادي في ظل سوق اسلامية نظيفة خالية من الاحتكار والغش والجشع والربا.
د. حسين شحاته استاذ المحاسبة في كلية التجارة- جامعة الازهر- أحد الذين كرسوا ابحاثهم واجتهاداتهم العلمية لهذه المشكلة اليومية الحياتية والاقتصادية المهمة.
من بين هذه الاجتهادات والدراسات مايخص قضية (الاجور والاسعار) في المجتمع المسلم التي كانت موضوع هذا الحوار.

اجرى الحوار: احمد شعبان

• ماتحليلكم لطبيعة المنهج الإسلامي وتدخله في عمليات تحديد الأجور والأسعار؟
– الإسلام يمنح الحرية الفردية للنشاط الاقتصادي في ظل سوق اسلامية حرة نظيفة وخالية من الاحتكار والغش والضرر والجهالة والمقامرة. ولايجوز للدولة الاسلامية ان تتدخل إلا إذا تبين أن الأفراد لم يلتزموا بالقيم الإسلامية والأخلاق وانحرفوا عن المعايير الاسلامية التي تحكم المعاملات.

منح الإسلام الحرية الفردية للنشاط الاقتصادي في ظل سوق خالية من الاحتكار والغش والمقامرة

من هنا فإن مسؤولية الدولة تتركز في حماية النشاط الاقتصادي والمحافظة على حق الله في المال وهو الزكاة، والمحافظة على تطبيق قواعد المعاملات الاسلامية وقد كان نظام الحسبة من بين النظم الإسلامية للرقابة على الأسواق.
وفي هذا الصدد يرى ابن تيمية انه لابد من تدخل السلطات في حالة الاحتكار حتى تمنع الظلم ، ويقول ان المحتكر هو الذي يعمد إلى شراء مايحتاج اليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم وغايته في ذلك رفع السعر عليهم وهو ظالم للخلق المشترين.. ولهذا يحق لولي الأمر ان يكره امثال هؤلاء الناس على بيع ماعندهم بقيمة المثل عند الضرورة .
وخلاصة الأمر أن الأصل في النشاط الاقتصادي في الاسلام هو الحرية وترك المتعاملين وليس هناك جدوى من التدخل مادامت السوق خالية مما يعارض الشريعة الإسلامية.
• متى يجوز للدولة أن تتدخل في تحديد الأجور والأسعار في الإسلام؟
ومامفهوم الأسعار أصلاً وما المبادىء الاسلامية لتحديد هذه الأسعار؟
– الأسعار في المنهج الاسلامي هي أثمان السلع والخدمات الطيبة القابلة للتداول والانتفاع بها في حدود ماأحل الله سبحانه وتعالى، والأصل هو أن تحدد هذه الأسعار بمعرفة إدارة المتعاقدين طبقا للعقود الاسلامية في ظل سوق طاهرة نظيفة وخالية مما يخالف الشريعة الإسلامية.
أما المبادىء الإسلامية التي تقوم عليها سياسة تحديد الاسعار نذكر منها على سبيل المثال:

١- التراضي التام بين البائع والشاري واساس ذلك قوله الله تعالى:﴿ إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم:«البائع والمبتاع بالخيار حتى يتفرقا إلا أن تكون صفقة خيار ولايحل له ان يفارقه خشية أن يستقبله» رواه الخمسة.
٢- الأصل في تحديد ثمن السلعة هو البائع ثم بعد ذلك تتم عملية المساومة.
٣- تحرّم الشريعة الاسلامية بيع الأخ على بيع أخيه وايضا البيعتين في بيعة واحدة وتلقي التجار للركبان، وبيع المزايدة.

تدخل الحاكم

أما بالنسبة لتدخل الحاكم أو ولي الأمر في تحديد الأسعار فإن هناك فريقا من الفقهاء يجيز ذلك في بعض الحالات منها:
أولاً: حالة الاحتكار وهو محرم في الاسلام لانه يؤدي إلى ارتفاع الاسعار وإحداث الضرر بالناس، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:«لايحتكر إلا خاطيء» رواه ابو داود وابن ماجه . وقوله ايضا:«من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطيء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله» رواه أحمد والحاكم/ حديث حسن
ولايقتصر الاحتكار على سلعة دون سلعة أخرى أو خدمة دون أخرى بل إن كل احتكار يسبب ضررا للناس فهو محرّم.
ثانيا: حالة المخمصة.. وهي حالات الأزمات وفيها يجيز الفقهاء التسعير سدا لذريعة الاستغلال وارتفاع الاسعار من دون مبرر.
ثالثا: تكتل المنتجين ضد المستهلكين أو العكس، فقد يتكتل المنتجون ضد المستهلكين لإحداث ارتفاع في الاسعار، واحياناً أخرى يحدث العكس حيث يتكتل المستهلكون ضد المنتجين لإحداث انخفاض في الاسعار، وفي كلتا الحالتين يحدث ضرر، ويستوجب هذا الضرر تدخل ولي الأمر للتسعير والرقابة.
- لكن اذا كان هناك حالات تجيز للحاكم التدخل للتسعير فهل هناك قواعد او ضوابط وضعتها الشريعة ويكون الحاكم مطالبا بالالتزام بها عند قيامه باتخاذ هذه الاجراءات؟
- لقد تضمنت الشريعة الإسلامية عددا من الضوابط التي يجب ان يلتزم بها ولي الأمر من أبرزها:
١- ان يكون السعر الذي يحدد «لاوكس فيه ولاشطط» كما يقول ابن تيمية وابن القيم.. أي لابخس فيه للمنتج ولاغلاء فيه على المشتري.
٢- ان يستعين بأهل الاختصاص وذوي الخبرة في مجال السلعة أو الخدمة واصحاب المعرفة بتكاليف السلعة وهامش الربح المعتاد في مثل هذا النوع من التجارة حتى يصلوا الى السعر العدل.
٣- ان يكون هناك حرص على تحقيق رضا البائع ويبين له أنه ليس في السعر المحدد إجحفاف له.
٤-ان يكون التسعير منوطا بالحاجة إليه فهو ليس واجبا في كل السلع والخدمات ولافي كل الأوقات وانما في حالة السلع الضرورية وفي حالة الأزمة الخانقة.

ارتفاع الاسعار

- هناك بلاد عديدة في العالم الاسلامي تبدو فيها قضية الاسعار غير خاضعة للسيطرة حيث تواصل ارتفاعها بطريقة منهكة للناس... فما رؤيتك لهذه الظاهرة وما المعالجة الاسلامية لها؟

الحاكم يتدخل في تحديد الاسعار عند ظهور الاحتكار وأثناء الأزمات

- السبب في وجود هذه الظاهرة ليس خافيا وهو عدم التزام المتعاملين في الأسواق بالقيم والمثل والاخلاق حيث انتشر الاحتكار والاستغلال والجشع والتدليس وهو ماسبب ظلماً فادحاً للمستهلكين... اضافة لذلك فإن كمية الانتاج والمعروض من السلع والخدمات اقل من الطلب عليها وهو مايعرض السوق للخلل والارتفاع الجنوني للأسعار.
وأرى أن العلاج لهذه الظاهرة يحتم تحقيق الرقابة الفعالة على الأسواق، ابتداء من الرقابة الذاتية التي تعتمد في المقام الأول على الوازع الديني وتمتد الى الرقابة الحكومية ثم الرقابة الشعبية.
وهناك نوع آخر من الرقابة، وهي الرقابة على تكاليف انتاج السلع والخدمات وتكاليف جلبها بحيث لاتتضمن نفقات لاعائد من ورائها مثل نفقات الرشوة والإكرامية ونفقات المظهر والترف، وهي نفقات محرمة شرعاً.
كما أن تقليل عدد الوسطاء بين المنتج والمستهلك يساهم في الحد من هذه الظاهرة لأنه في كل مرحلة من مراحل الوساطة تزداد الأسعار ارتفاعاً.
بالاضافة الى ذلك فإن تشجيع استيراد السلع والخدمات الضرورية مع اعفائها من الضرائب والرسوم، وتطبيق نظام المشاركة الاسلامية في تمويل جلب السلع بدلا من نظام التمويل عن طريق القروض الربوية يساهم في الحد من هذه الظاهرة لأن الربا وقود ارتفاع الاسعار. ■

اخلاق

الفضائل الإسلامية وأثرها على الصحة النفسية

للفضائل تأثير عظيم على صحة الانسان النفسية وتمتعه بالسعادة والرضا والغبطة وحسن تكيفه مع الحياة ومن ذلك الاستقامة.
قال تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾(١)
وقال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلا من غفور رحيم﴾[فصلت/٣٠-٣٢].

بقلم د: عبد الرحمن محمد العيسوي

تأكيدا كريما لقيمة الاستقامة وفضلها. فالاستقامة حماية من الخوف والحزن وهي تبعث على الشعور بالأمن والأمان؟ والاطمئنان والسكينة والتوكل والاعتماد على الله تعالى.
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «قل: آمنت بالله ثم استقم»(٢)
وفي تحريم الظلم والأمر برد المظالم يقول الله تعالى: ﴿وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾(٣ ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(٤)
ولاشك أن شعور الانسان.بوقوع الظلم عليه شعور مر مؤلم قاس يؤدي إلى الإصابة بالمرض النفسي أو الجسمي.
يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته» رواه البخاري

ما ينهي عنه الإسلام

فالإسلام الحنيف ينهي عن الظلم وعن البخل والشح والطمع والجشع ويتوعد الله تعالى الظالمين وإن أمهلهم أخذهم أخذ عزيز

> الاسلام ينهي عن الظلم والبخل والشح والجشع ويحذر من يتمسك بهما ولم يتمسك بالكرم والجود

مقتدر وذلك تشجيعا للمسلم على نبذ الظلم والبخل والشح وتمسكا بالكرم والجود والعطاء والاخاء والمساواة بين جميع أبناء المجتمع الإسلامي لتستقيم الحياة ويسعد الناس.
وفي باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم.
يقول الله تعالى: ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾(٥)
ويقول تعالى: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾(٦)
ويقول تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ (٧) دعوة للتواضع والاخاء واللين والحسنى مع المسلمين.
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا»(٨)
تحقيقا لما يسمى اليوم (بالتماسك الاجتماعي) و(الوحدة الوطنية) والتضامن الاجتماعي والتعاون والأخذ والعطاء ولاشك أن في الاتحاد قوة ومناعة.
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٩)
ولعل الأمراض النفسية تنتشر في المجتمعات الغربية المادية بسبب فقدانها ذلك التلاحم والتساند والتماسك الاجتماعي والأسري.
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة للرحمة والشفقة «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»(١٠)
وعلى الرغم من ارتفاع مستوى المعيشة المادي في المجتمعات الغربية إلا أنها تعاني من الأمراض العقلية التي تصل إلى درجة الانتحار وذلك لفقدان الترابط الروحي والخلقي والإيماني والأسري.
وفي الدعوة إلى الإصلاح بين الناس. قال

تعالى: ﴿والصلح خير﴾(١١)
قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾(١٢)
ذلك لأن جو الخصام والانقسام والصراع هو التربة التي تنشأ فيها الأمراض النفسية والعقلية. فالشعور بالإخاء يوفر السند والتعضد للإنسان بحيث لا يشعر أنه وحده في هذا العالم يقف بمفرده فالفردية والأنانية أسباب الأمراض النفسية والإسلام يحض على حياة الجماعة وعلى الإخاء في الدين.

أهم النوايا

أهمية النية أو النوايا وحسن المقاصد والسلوك الإنساني:
الإسلام يهتم بنوايا الإنسان وخواطره ومقاصده من السلوك ويحاسب على النوايا الطيبة. ففي مجال الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية. يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله.. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١٣)
ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»(١٤) فالعبرة بالنوايا الحسنة وحسن السريرة وصفاء الضمائر ونقاء داخلية الإنسان وليست العبرة بالسلوك الظاهري.
وفي فضل التوبة النصوح يؤكد الإسلام على أثرها في تحرير شعور الإنسان من الخوف والذنب ولوم الذات وتوقيع العقاب.. ويؤكد الإسلام أن التوبة تقود إلى الصلاح والتقوى والورع والخشوع والطاعة.
ـ قال الله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾(١٥)
وفي تطهير الذات من الرجس والدنس والخبث والخبائث ومن الأفكار الشريرة والانتقام.
ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»(١٦)
ـ قال صفوان بن عسال «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب (١٧)
ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب»(١٨) متفق عليه
ـ تأكيدا كريما لمعنى الزهد والقناعة والرضا بما قسم الله لنا من الرزق والعطاء.
وفي ذلك رد على النزعات المادية البغيضة التي تقدس المال وتقتل صاحبها في التكالب على جمع المال وكنزه وتحويل الإنسان إلى عبد رقيق للمال ونسيان القيم الروحية والإنسانية السامية والرفيعة.

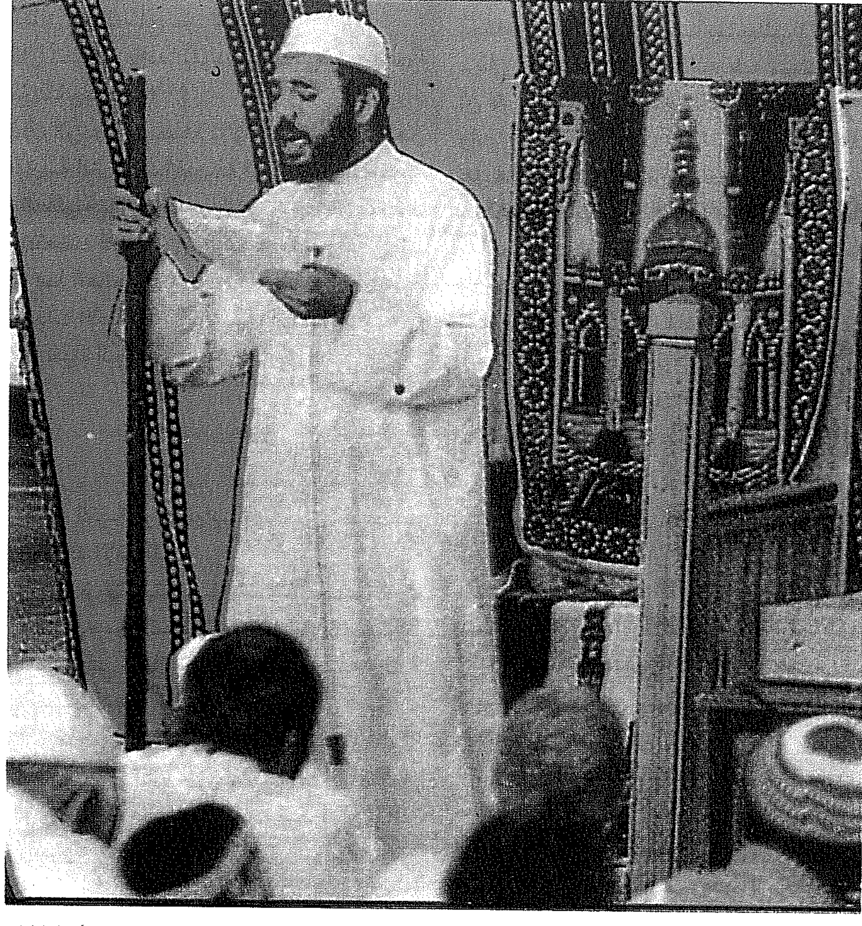
الصدق مع الله

وفي فضل الصدق مع الناس ومع الذات يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾(١٩)
ويقول ايضا: ﴿والصادقين والصادقات﴾(٢٠)
ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الصدق يهدي إلى البر وان البر يهدي إلى الجنة، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وان الكذب يهدي إلى الفجور، وان الفجور يهدي إلى النار، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (متفق عليه)(٢١)
ولو تمسك الناس في عصرنا الحاضر بهذا الهدي الإسلامي العظيم لما ظهرت حالات (السيكوباتية) التي يعاني منها المجتمع الآن.
ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة» رواه الترمذي وقال حديث صحيح(٢٢)

> الاستقامة حماية من الخوف والحزن ويمنح للشعور بالأمن والأمان والطمأنينة والسكينة

ـ قال تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾(٢٣)
واعتقاد المسلم بأن هناك قوة الهية تراقبه وترصد سلوكه يجعله حريصا على الاتيان بالفضائل.
ـ قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾(٢٤)
فالاعتقاد بعلم الله ببواطن الأمور وظواهرها يمنع الانسان من أن تمتلىء نفسه بالأحقاد.
ـ قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾(٢٥)
ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» رواه مسلم(٢٦)
ولاشك أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس ولذلك نلاحظ أن توفر الثراء لا يكفل التمتع بالصحة وحده والدليل على ذلك انتشار الأمراض النفسية والعقلية بين الطبقات العليا.
توفر المادة لا يحل مشكلة الانسان المعاصر لأنه فقد الروابط الروحية وجرفته التيارات المادية وحب المال والتنافس والتباهي وحب البذخ والإسراف والتظاهر والتعالي والتفرنج.
وفي فضل اليقين والتوكل وأثرهما النفسي والأخلاقي والروحي
يقول تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾(٢٧)
قال تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾(٢٨)
قال تعالى: ﴿فاذا عزمت فتوكل على الله﴾(٢٩)
قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(٣٠)
ومن الناحية السيكولوجية: التوكل على الله يريح الانسان من البقاء في حالة صراع تتجاذبه الأهداف المتعارضة فيشعر بالحيرة والألم. أما التوكل ففيه راحة واستقرار.
ويدعو الإسلام إلى أداء الأمانة
قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾(٣١)
وقال رسول الله (ﷺ): «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» متفق عليه (٣٢)
ولاشك ان الإنسان إذا توخى القيم الأخلاقية النابعة من إسلامنا الحنيف مع نفسه ومع من يتعامل شب سويا هو وغيره

ما يدعو إليه الإسلام



ويدعونا الإسلام إلى الإصلاح بين الناس وفض المنازعات وإنهاء الخصومات ليعود الوئام والانسجام والتوحد والتماسك إلى حظيرة المجتمع وفي هذا المعنى البليغ:
يقول تعالى: ﴿والصلح خير﴾(٣٣)
ويقول تعالى: ﴿فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم﴾(٣٤)
ويقول تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾(٣٥)
ويقول تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾(٣٦)
ولذلك الإسلام يعد دعوة نحو السلم والسلام والإصلاح بين الناس والتعايش السلمي والتعاون والإخاء ونبذ الحروب والمشاحنات والخصومات والعداوات والأحقاد والأطماع سواء بين الأفراد أو الدول.
ويحض الإسلام على تحريم العقوق وقطيعة الرحم
قال تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾(٣٧)
وقال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾(٣٨)
ويمثل هذا الهدي القرآني العظيم دستورا عظيما للأسرة المسلمة والحفاظ على صلة الأرحام واحترام الوالدين وإعطائهما حقهما المقدس.
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» متفق عليه(٣٩)
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «لا يدخل الجنة قاطع» قال سفيان في روايته: يعني قاطع رحم» متفق عليه(٤٠)
فللإسلام فضل السبق في وضع أسس وقواعد بناء الأسرة المسلمة السوية قبل أن يهتدي إلى ذلك علم النفس الحديث في أحد فروعه الحديثة وهو (علم النفس الأسري)(٤١)
شتان بين هذا الهدي الإسلامي العظيم وبين ما نشاهده اليوم من جرائم الاعتداء على الأقارب بما فيهم الآباء والأمهات.
ويحث الإسلام على الخوف من الله تعالى ومن عقاب الآخرة حتى يستقيم سلوك الإنسان في هذه الحياة الدنيا الحاضرة.
قال الله تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾(٤٢)

الاسلام
يهتم بالنوايا
والخواطر
وحسن المقصد
والسلوك الانساني

ويقول تعالى ﴿إن بطش ربك لشديد﴾(٤٣)
ويقول تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾(٤٤)
وعلى كل فمن الناحية الفلسفية يمتاز منهج الإسلام في التوجيه والإرشاد والتوعية والتربية والتنشئة بالتوازن والجمع بين الترغيب والترهيب.
قال تعالى في الأمل والرجاء والثقة:
﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾(٤٥)
ومبدأ المغفرة من المبادىء العلاجية من ناحية الصحة النفسية لأن إيمان الإنسان بأن الله سوف يغفر له ذنوبه يجعله يتمتع بالصحة. قال تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾(٤٦)
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض

خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة»(٤٧)
هذه المبادىء السامية تفتح أبواب الأمل والرجاء أمام المسلم ولا تدفعه للاستسلام أو القنوط أو اليأس والاستمرار في الشرور والخطايا. ـ يدعونا الإسلام لتحريم الكبر والإعجاب. وفي هذا المعنى البليغ يقول الله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾(٤٨)
ويقول تعالى ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾(٤٩)

الدعوة للتواضع

والدعوة للتواضع تؤدي إلى التمتع بالسواء النفسي والصحة النفسية.
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسناً قال: إن الله جميل يحب الجمال» رواه مسلم(٥٠)
فالتكبر والتعالي من السمات الذميمة ويعبر عنها في علم النفس (بتضخم الأنا) لدى الفرد والشعور بالغرور.
وفي الدعوة إلى حسن الخلق يقول تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(٥١)
ويقول تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾(٥٢)
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذيء» رواه الترمذي وقال حديث صحيح(٥٣)
ومعروف في إطار الفكر السيكولوجي الحديث أن الغضب من الانفعالات السلبية التي تضر بصاحبها وتسبب له الأمراض «السيكوسوماتية» كالذبحة الصدرية.
ولذلك يدعونا الإسلام إلى التحلي بالحلم والرفق ونبذ الغضب والعنف
قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾(٥٤)
قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾(٥٥)
قال تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور﴾(٥٦)
قال رسول الله (ﷺ) لأشج عبد القيس «إن فيك خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة» رواه مسلم
ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» متفق عليه. ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه» رواه مسلم.
وفي فضل الرفق قال رسول الله (ﷺ) «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم، وقال كذلك «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» رواه مسلم.
وعن أبي هريرة أن رجلا قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) أوصني قال: «لا تغضب» فردد مرارا قال: لا تغضب» رواه البخاري■

الدعوة للتواضع تؤدي إلى التمتع بالسواء النفسي

المراجع:

١ـ سورة هود ١١٢
٢ـ رياض الصالحين ص ٥٢
٣ـ غافر/١٨
٤ـ أوردها محي الدين النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. وكالة المطبوعات بالكويت، ودار القلم ببيروت (ب.ت)
٥ـ سورة الحج ٣٠
٦ـ سورة الحج ٣٢
٧ـ سورة الشعراء ٢١٥
٨ ـ رياض الصالحين
٩ـ المرجع السابق
١٠ـ نفس المرجع
١١ـ سورة النساء ١٢٨
١٢ـ الحجرات ١٠
١٣ـ المرجع السابق ص ١١
١٤ـ المرجع السابق ص ١٣
١٥ـ سورة النور ٣١
١٦ـ المرجع السابق ص ١٨
١٧ـ المرجع السابق ص ١٩
١٨ـ المرجع السابق ص ٢٧
١٩ـ التوبة ١١٩
٢٠ـ الأحزاب ٣٥
٢١ـ المرجع السابق ص ٣٩
٢٢ـ المرجع السابق ص ٣٩
٢٣ـ الفجر ١٤
٢٤ـ غافر ١٩
٢٥ـ الطلاق ٢ و٣
٢٦ـ المرجع السابق ص ٤٦
٢٧ـ الفرقان ٥٨
٢٨ـ آل عمران ١٢٢
٢٩ـ آل عمران ١٥٩
٣٠ـ الطلاق ٣
٣١ـ النساء ٥٨
٣٢ـ المرجع السابق ص ٦٥
٣٣ـ النساء ١٢٨
٣٤ـ الأنفال ١
٣٥ـ الحجرات ١٠
٣٦ـ النساء ١١٤
٣٧ـ محمد ٢٢ و٢٣
٣٨ـ الاسراء ٢٣ و٢٤
٣٩ـ المرجع السابق ص ١٣٨
٤٠ـ المرجع السابق ص ١٣٨
٤١ـ عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الأسري، دار النهضة العربية، بيروت، ودار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٩٤.
٤٢ـ البقرة ٤٠
٤٣ـ البروج ١٢
٤٤ـ الرحمن ٤٦
٤٥ـ الزمر ٥٣
٤٦ـ الاعراف ١٥٦
٤٧ـ المرجع السابق ص ١٦٤
٤٨ـ الاسراء ٣٧
٤٩ـ لقمان ١٨
٥٠ـ المرجع السابق ص ٢٢٥
٥١ـ القلم ٤
٥٢ـ آل عمران ١٣٤
٥٣ـ المرجع السابق
٥٤ـ الاعراف ١٩٩
٥٥ـ فصلت ٣٤ و٣٥
٥٦ـ الشورى ٤٣

أخـلاق

فوائد التقوى كما نطق بها القرآن الكريم

التقوى وصية الله للأولين والآخرين قال الله تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ (١) ولا غنى للفرد ولا للجماعة عنها.
وكلما تمسك بها الفرد وعاش عليها المجتمع تحقق ثمة أسباب حفظ الحقوق وأداء الامانات والتناصر والتعاون النافع مع الآخرين، وفي ذلك خير الدنيا وسعادة الآخرة، ولقد ورد ذكر التقوى في كتاب الله سبحانه وتعالى في (١٥٣) موضعا منه، ولا يعد ماجاء من ذكرها في سنة رسول الله ﷺ

بقلم: أحمد الأمين محمد رشدان

للتقوى فوائد عديدة لا تحصى نطق بها القرآن الكريم منها:
معية الله تعالى لعبده المتقي بالحفظ والرعاية والتأييد والنصرة قال تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾(٢).
وكم كان الله سبحانه وتعالى ولا يزال مع أهل التقوى من عباده بكشف الغموم وتفريج الكروب والرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلاء وقضاء الحاجات واليسر بعد العسر. وانكم لتذكرون الشدة التي أصابت المسلمين يوم الأحزاب يوم غدر يهود بني قريظة برسول الله ﷺ وحالفوا المشركين عليه فرد الله تعالى كيد اليهود بقولة نعيم بن مسعود — رضي الله عنه — لهم ورد كيد المشركين بريح باردة شديدة خلعت خيامهم واكفأت قدورهم وكان ماقال الله: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾(٣)

الإعزاز والإكرام

العزة والكرامة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٤) وكم من أناس عزوا بغير تقوى الله تعالى من مال ومنصب وجاه وقوة فلما زالت زال ماكان لهم من صور العز وانكم لتذكرون فرعون وغطرسته وغروره.. ماذا كانت نهايته. لقد غرق في البحر الذي لا تغرق فيه بطة ولولا ان الله أراد أن يحفظ جسده ليعتبر من كتب الله له أن يعتبر لأضحى طعاما للسمك) قال تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوما آخرين. فما بكت عليهم السماء والأرض وماكانوا منظرين﴾(٥).
وتذكرون خطبة العز بن عبدالسلام على منبر مسجد بني أمية ضد الملك اسماعيل الذي صالح الروم، وكيف أقام الدنيا على ذلك الظالم الذي أخذته العزة بالإثم فطرد العز من وظائفه.. ثم لما لم يجد هذا شيئا وسَّط اليه من يقول له ان الملك ليرضى أن تدخل مع الناس فتقبل يده وينتهي كل شيء وتعود اليك الوظائف فقال رحمه الله تعالى (والله ما أرضى أن يقبل قدمي). وترك الشام إلى مصر حيث ولي قضاء القضاة دون طلب منه. وكان منه هناك ماكان من بيع الامراء المماليك مما ذكره الرافعي في وحي القلم. قال داود بن نصر الطائي: (ما خرج عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى الا أغناه الله بلا مال واعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا جليس، وكل زاد ينفد ويفنى وكل لباس يتمزق ويبلى، سوى تقوى الله عز وجل).

محبة الله عز وجل

الدرجة العليا والمرتبة القصوى التي هي محبة الله يقول جل شأنه: ﴿إن الله يحب المتقين﴾(٦) ولو لم يكن للتقوى ومزاياها غير هذه الخصلة لكفت في حث الانسان على تحصيلها والتزود بها والمولى تبارك وتعالى يقول: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾(٧).
كتب أمير المؤمنين — عمر بن الخطاب رضي الله عنه - إلى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه — حين أرسله لقتال إحدى دولتي العظمة والقوة في ذلك العصر وهي دولة الفرس: (آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله تعالى على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى في المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وألا ننصر عليهم بفضلنا ولم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم من الله حفظة في سيركم يعلمون ماتفعلون،

فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر لنا ولن يسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا المعاصي كفار المجوس وكان وعدا مفعولا واسألوا الله تعالى العون على أنفسكم كما تسألون النصر على عدوكم واسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم). أ. هـ. من العقد الفريد.

البشرى في الدنيا والآخرة

البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة يقول تعالى: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾(٨).
وأيضا قال: ﴿وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ (٩) ومن لا يشعر ان الانسان والناس كلما بعد وبعدوا عن تقوى الله تعالى ومراقبته زاد القلق في قلوبهم والفوضى في حياتهم وتبددت الاخلاق التي بها يتحاجز الناس فزادت الإحن والعداوات وزادت الأمراض والاسقام وارتفع من حياة الأفراد والجماعات الحب الصادق والخلق الفاضل واضحوا لا يعيشون إلا للمصالح والأهواء أكبر همومهم هموم الفرج والبطن يستبيحون في سبيل ذلك ما لا يباح حتى عند الحيوان كإدمان الخمور والمخدرات والتقاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء (وإنا لله وإنا إليه راجعون). قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(١٠) ومنْ من العقلاء يبيع الدنيا بالآخرة؟ اللهم لا أحد. كان من كلام أحد الزهاد: (لو كانت الدنيا من ذهب وكانت الآخرة من خزف لكان حريا بالعاقل أن يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني) وكيف والدنيا على ما نرى دار الهموم والمخاوف والأحزان يباغت فيها المكروه دون انذار، ويفاجيء فيها الموت دون مرض.

الفراسة

الصحبة والفراسة لدى اشتباه الأمور ووقوع التردد فيها فقد يتردد المسلم في صحبة فلان أو مشاركته في عملة، وقد يرى الأب ولده يرافق ولدا مثله وهو لا يعرف من اخلاق رفيق ولده شيئا، ان التقوى تعمل عملها في هذه الحالات وأمثالها فيلقى في قلب المتقي صلاح ذلك الرجل أو فساده وانتفاع ولده بصحبة فلان أو تضرره وذلك هو النور الذي ينظر به المؤمن من نور الله تعالى وإلهامه قال عز وجل: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾(١١). وقد قرأتم عن صالحين اتقياء أخبروا عن رياء أفراد ونفاقهم ورياء جماعات ونفاقهم وكان الأمر وفق ما اخبروا به فضلا من الله يؤتيه من يشاء يقول ﷺ «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل»(١٢) مغفرة الذنوب وتكفير السيئات وعظيم الأجر من الله تعالى ومن منا لا ذنب له أو لم تبدر منه سيئة ومن منا لا يرجو عظيم الأجر على قليل العمل؟ قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾(١٣) الخروج من الشدائد والنجاة من المحن واليسر في الأمر والرزق من حيث لا يظن المتقى ولا يحتسب﴾ [الطلاق/٢و٣] قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق/٢و٣] ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ [الطلاق/٤].

نصيبان من الرحمة

إعطاء المتقي نصيبين من الرحمة والنور يوم القيامة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾(١٤).

علو المنزلة في الجنة

علو منزلة المتقي في الجنة يقول عز وجل: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾(١٥).

النجاة من النار وقبول العمل

النجاة من النار عند الورود عليها يقول سبحانه وتعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾(١٦).
قبول العمل مصداقا لقوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾(١٧).

كلما تم التمسك بالتقوى حفظت الحقوق وعم التناصر

الحفظ من الأعداء

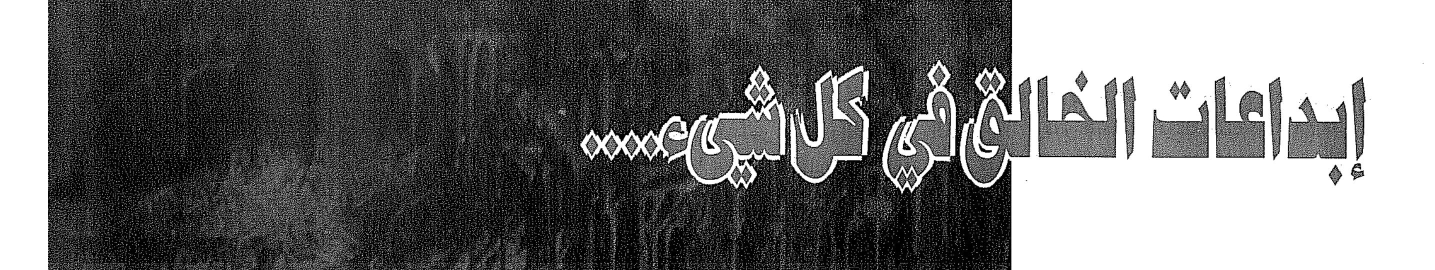
الحفظ من الأعداء كما وعد سبحانه وتعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا﴾(١٨) اصلاح المولى تبارك وتعالى لعمل المتقي ومغفرة ذنوبه يقول سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾(١٩).
ان التقوى كما قال الامام الغزالي: (كنز عظيم ان ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر ورزق كريم وملك عظيم لأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت فيها). والتقوى تقي الانسان وتحفظه من كل ما يغضب الله تعالى عليه ففعل الطاعات تقوى وتجنب المعاصي تقوى.. وما أحسن ماقال أحدهم:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقي
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثله
وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

أكرمنا الله جميعا بالتقوى وزودنا بها على كل حال وحين■

الهوامش

١- [النساء/١٣١].
٢- [النحل/١٢٨].
٣- [الأحزاب/٢٥].
٤- [الحجرات/١٣].
٥- [الدخان/٢٥-٢٩].
٦- [التوبة/٧].
٧- [البقرة/١٩٧].
٨- [يونس/٦٣و٦٤].
٩- [ق/٣١/].
١٠- [طه/١٢٤].
١١- [الأنفال/٢٩].
١٢- (رواه البخاري في التاريخ والترمذي).
١٣- [الطلاق/٥].
١٤- [الحديد/٢٨].
١٥- [الزمر/٢٠].
١٦- [مريم/٧١و٧٢].
١٧- [المائدة/٢٧].
١٨- [آل عمران/١٢٠].
١٩- [الأحزاب/٧٠و٧١].



إبداعات الخالق في كل شيء.....

علـوم

الكهـوف
عـالـم مجهول تحت الأرض!

خلق الله الإنسان من نطفة ثم سواه إنساناً يسمع ويبصر ويتحرك ويفكر ويأكل، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، ثم أمره بالتدبر والتأمل في نفسه وفي الكون الشاسع من حوله، فقد جاء الأمر الإلهي يدعو الإنسان لأن يسير في الأرض ويتعرف بنفسه على دلائل قدرة الله على خلقه. وفيما يخلق، قال الله تعالى في سورة آل عمران/١٣٧ ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾.

بقلم: حنان إبراهيم عبد الهادي

وإذا كان التعامل مع الطبيعة والحياة بصورة مباشرة، يعتبره بعضنا المصدر الوحيد والأساسي للمعرفة، فإن دليل قدرة الله في خلقه وإبداعه فيما يخلق، يتمثل في الظواهر الطبيعية التي توجد في الكون الشاسع من حولنا..

وتعد الأرض - وما تحويه من ظواهر إحدى الظواهر الطبيعية، التي أمرنا الله بالسير فيها. ورحلتنا هذه لاكتشاف دليل قدرة الله التي لن تكون فوق الأرض فقط، بل ستكون تحت الأرض أيضاً. إلى حيث توجد الكهوف.

■ الكهوف - كما يعرِّفها علماء الطبيعة - هي انحناءات ظهرت خلال صخور صلبة، وذلك تحت سطح الأرض بمئات الأمتار. وهذه الانحناءات — كما يتصورها الناس — فيها غموض وظلام وخطورة تصل إلى درجة الرعب.

تعال معنا نصطحبك في رحلة إلى داخل هذه الكهوف لنتعرف على أحد دلائل قدرة الله فيما يخلق. فالكهوف تمثل ركناً ساحراً في عالم الطبيعة، واكتشافها يعد نوعاً من التحدي، لكنه يمثل جائزة عظيمة لمن يرتادها، حيث يمكنه معرفة أنواع مختلفة من الكهوف، فمنها الوعرة، التي يصعب اجتيازها، ومنها كهوف مختلفة الأحجام، ذات زخرفة معدنية جميلة، فمرتاد الكهوف لديه الفرصة لاكتشاف الكهوف المجهولة. وهذا - في حد ذاته - يعد مغامرة لإنسان لم يذهب إليها من قبل، بالإضافة إلى أن ارتياد الكهوف يعد رياضة عظيمة ومختلفة عن أي رياضة أخرى.

قصة الشق

إذا أردنا معرفة مفتاح أي كهف، فإننا نجده قد تشكل تحت المجرى المائي، فالكهف تكوين طبيعي، صنعه المجرى المائي منذ آلاف السنين، وذلك من خلال شقوق في الصخر، أذابت الحائط ببطء، فصنعت الكهوف في الحجر الجيري.

أما الحجر الجيري، فهو احد الصخور المعروفة التي أذابتها المياه ببطء، لتحكي لنا في النهاية قصة هذا الشق - الكهف — ذو الشرفات المتسعة، والقاعات الكبيرة المصمتة، التي نحتتها المجاري المائية، وبذلك نشأت تحت الأنهار، لتضيف لنا واحدة من أجمل لمسات الطبيعة الرقيقة.

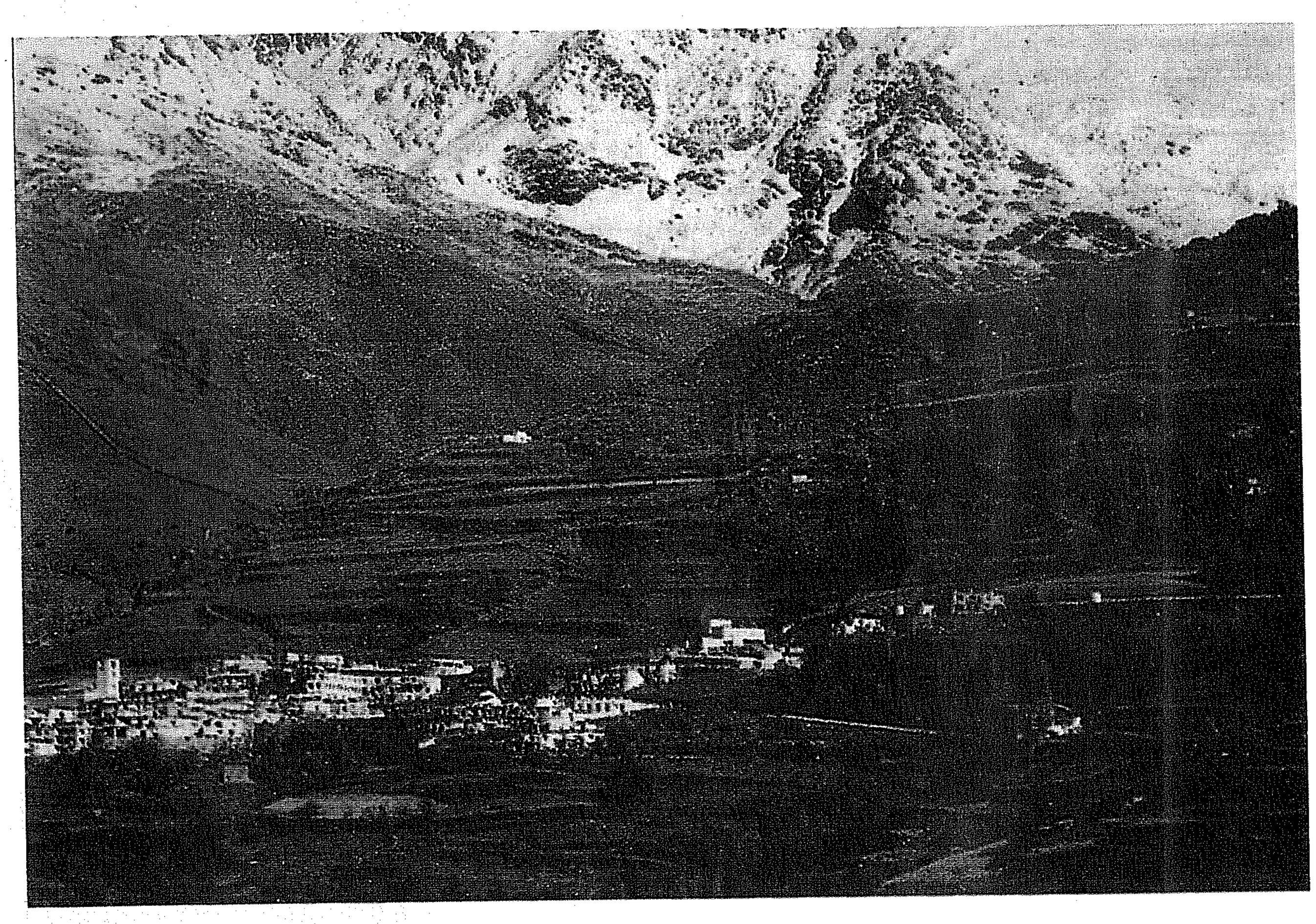
وحكاية هذا الشق تؤكد أن المياه قد أشبعت الحجر الجيري ذوباناً، فأذابت الصخر في مكان واحد، وأعادت ترسيبه في مكان آخر، محدثة تكليلاً غالباً ما يتلألأ، صانعاً أشكالاً لا نهائية مدلاة كقطعة مدببة من الثلج، مربوطة من أعلى وأسفل الكهف.. بالإضافة إلى وجود عدد من التركيبات البنائية الأخرى ذات الأشكال الجميلة.

أما إذا ما نظرنا إلى ممر الكهف، فإننا نجده مغطى بتكلسات مترسبة، وقد تكون هذه التكلسات من أعظم عجائب الكهوف الطبيعية تحت الأرض، وعلى درجة كبيرة من الجمال، بشكل لا يمكن تصديقه.

وكما نعلم فإن المجرى المائي هو الشريان الرئيسي لشق الكهف، لذا فمكتشف الكهف يحاول — دائما — تتبع مجرى المياه لأبعد درجة ممكنة، وقد تكون ممرات بعض الكهوف ميسرة للسير فيها، ويكون على مرتاد الكهف - فقط — أن يحضر معه كشافاً للإضاءة، ليبدو الطريق أمامه واضحاً، فبعض الكهوف تحتوي على عوائق أساسية، قد تكون عمودية، هذه العوائق تمثل نوعاً من التحدي عندما يصنع الشلال تجمعاً للمياه تحت الأرض.

أما مرتاد الكهف - حالياً - فيستخدم الحبال للممرات الرئيسية، حيث ينزلق إلى أسفل مستخدماً أجهزة الاحتكاك، للتحكم في نزوله، ويتسلق - مرة أخرى — مستخدماً خطافاً وممسكاً بحبل بسيط وأمين، يضعه مرتاد الكهف — الخبير — في يديه، ليس هذا فحسب بل إن مرتاد الكهف يمكن أن يستخدم بعض المعدات اللازمة كالخوذة - التي دائما ما - يستخدمها لحماية رأسه،

> - الكهوف ليست كثيرة بالبلاد العربية، وكهف حوتي يخترق الانحدار بالجبل الأخضر



وهذه الخوذة تحمل كشافاً للإضاءة، لتصبح بذلك يده حرة تساعده على التسلق والنزول، وعلى مرتاد الكهف أن يستخدم أيضاً ملابس تمنع دخول المياه إلى جسده، وتجلب إليه الدفء، لأن هناك بعض الكهوف باردة ومبتلة.

أما معدات الاستكشاف فتكون عادةً قارباً مطاطياً،، وذلك لعبور البحيرات التي تحت الأرض، ويمكن الاستعاضة عن القارب بالسباحة إن كان المكتشف يحسنها جيداً، كما يحتاج مرتاد الكهف إلى حقيبة فيها أمتعة للنوم، لأن الكهف قد يكون طويلاً جداً، وهذا مما يستغرق بعض الأيام للوصول إلى نهايته، بالإضافة لمعدات المعاينة التي تستخدم لهذا الغرض، ويفضل أن يرسم المرتاد خريطة لممرات الكهف التى اكتشفها.

تيه الممرات

وللكهوف أنواع لانهائية.. فهي ـ دائماً ـ تحتوي على حواجز، يمكن أن تكون عائقاً في وقف الاستكشاف، لذا يجب التغلب عليها، إذ يمكن أن تسد ـ هذه الحواجز ـ الممرات بالطين أو الرمال أو حتى ربما تكون كومة من التكلسات، التي قد تكون جميلة، لكنها غير محتملة.

وربما يحتوي الكهف على جزء مغمور على سطح الماء، وقد يظهر من خلال معدات الغوص، وربما يحتوي الكهف أيضا على تيه من الممرات، التي هجرتها المجاري المائية لفترة طويلة، وبذلك يأخذ مرتاد الكهف فترة طويلة ليجد طريقا من خلالها، وهناك ـ دائما ـ احتمال لوجود قاعات ضخمة أو أنفاق جميلة مزينة، وهذه المشاهد تعد مكافأة كافية لفريق العمل الذي يذهب إلى هذه الأماكن.

> ـ حكومة سرواك في ملايو تمنح مصدرا طبيعيا هاماً باكتشاف الكهوف في ميلانوا

ويعد ارتياد الكهوف نوعاً من الرياضة، التي بدأت في أوربا، حيث توجد كهوف الحجر الجيري في أغلب الأقطار الأوربية تقريباً، تبدأ من مرتفعات «بن نيفن» الباردة شمال انجلترا. إلى سلسلة المرتفعات الدينارية الدافئة في يوغسلافيا ـ سابقاً ـ فالأحجار الجيرية في جبال الألب تحوي أجمل الكهوف، وتستحوذ فرنسا على النصيب الأكبر من هذه الكهوف الجميلة، حيث يزداد ارتياد الجبال في إطار رياضة جماعية.،

ويعتبر «جوفر برجر» في مرتفعات فركورمل في الجنوب الفرنسي من أمتع الأماكن لمغامرات ارتياد الكهوف في العالم، فعمق ودرج البئر الداخلي للمنجم يبلغ نحو(٥٠٠) قدم، تفصلها ممرات وادٍ عميق

ضيق، هذه الممرات تقود إلى قاعة كبيرة نادرة بالنهر، باتساع ٣٢ قدما وارتفاع ٦٥ قدماً، ويضم الكهف أيضاً عددا من القاعات الرحبة، التي لا مثيل لها، بالاضافة إلى وجود عروض تكوينية جميلة وبحيرات عميقة، يظهر فيها هدير الشلالات، وكهف برجر - دائماً - يستغرق التجوال فيه حوالي ثلاثة أيام مع معسكر الرحلة، حيث يأخذ مرتاد هذا الكهف خبرة لا يمكن نسيانها.

أعمق الكهوف

وكل كهف يصرف مجرى مياهه داخل وادٍ، وليس هناك كهف يمكن أن يكون أعمق من التلال التي تغطيها إلى أعلى، فأعمق الكهوف توجد أعلى جبال الحجر الجيري، أما أعمق كهف في العالم، فهو في فرنسا، لكن الروس قد اكتشفوا — حديثاً — سلسلة من الكهوف في الحجر الجيري تقع في سلسلة جبال القوقاز، منها ثلاثة كهوف يصل عمقها إلى ٣,٩٣٦ قدماً، وهم يقولون إنهم سيحصلون بهذا على الرقم القياسي العالمي في هذا الإطار، محققين ٥,٠٣٥ قدماً، وبذلك يتفوقون على اكتشاف عمق كهف جان برنارد الفرنسي، مما جعلهم يحثون على زيادة التحدي الرياضي في ارتياد الكهوف، ويتبع مرتادو الكهوف الروس البحث العلمي في اكتشافاتهم تحت الأرض، فالكهوف الأصلية ونموذج نظام التصريف لها مادة تستحق الدراسة، فالخبير فقط هو الذي يتمكن من فحصها، وارتياد الكهوف يعد مزيجا فريدا من الرياضة والعلم.

بينما تكون معظم الكهوف العميقة في مرتفعات الجبال بفرنسا واسبانيا وروسيا، لكن أطول الكهوف تكون على امتداد الحجر الجيري في الولايات المتحدة الأمريكية، وتقع إلى أسفل الغابات والأراضي الزراعية الدائرية غرب كونتكي، والتيه الموجود تحت الأرض - من الكهوف النهرية ذات المستوى المنخفض - يعد كبيراً بشكل يصعب تصديقه، وهناك أيضا عدد لا نهائي من الأنفاق الجافة التي هجرتها الأنهار لفترة طويلة، وهي مرتفعة وتتصل ببئر المناجم الطبيعية.

أما البلاد العربية فلم يكتشف فيها - حتى الآن — عدد كبير من الكهوف إلا في سلطنة عمان، فقد خرق كهف «حوتي» انحدار الحجر الجيري في الجبل الأخضر، فأوسع ممر به يبلغ طوله ٢,٥ ميل، وهو - في الواقع - يعد وادياً تحت الأرض، يحتوي على بحيرة طولها ٢,٦٢٤ قدماً، حيث تختفي اسفل الصحراء وفي جنوب شرق مسقط يختفي سلما بلاتو — كهف مجلس الجن - وهو ذو قاعة وحيدة ضخمة قطر دائرتها ٨٢٠ قدماً، حيث يمكن أن تدخل من خلال فتحات يخترق سطحها جبل يزيد على ٣٢٨ قدماً.

تكلسات ضخمة

وبما أن الرياضة والعلم هما السبب وراء اكتشاف الكهوف في أوربا وروسيا، إلا أن الداعي الأكبر هو اكتشاف المصادر المحتملة للكهوف في اليابسة والجزر في منطقة جنوب شرق آسيا، فالأحجار الجيرية لهذه الأراضي الاستوائية، كونت آلاف الكهوف، ذات الأحجام المختلفة، فقد نتج عن الطقس الدافىء معدلات ضخمة من الحجر الجيري، ومن ثم فقد شقت الكهوف الطويلة الصخور، في وقت جيولوجي طويل نسبياً، أما خصوبة التكلسات المترسبة فتعتبر مذهلة، فقد وجد الإنسان - منذ وقت طويل - أن هذه الكهوف تحتوي على تكلسات ضخمة تتكون من بقايا تجمعات الخفاش الساقط المتحللة، وهذا أدى إلى تكوين تربة خصبة ذات قيمة، فترسبات بقايا الطيور توجد في بعض الكهوف الاستوائية، مثل كهف تيه العظيم الواقع في مرتفعات بورنيو في ماليزيا والذي اكتشف منذ عدة سنوات.

وهناك أيضاً منتزه جينونج ملايو الوطني، وهو لا يبعد كثيراً عن كهف تيه، وهذا المنتزه ظهر حديثاً بسبب أمطار غابات سرواك، حيث ضم تلال الحجر الجيري، واكتشفه مرتادو الكهوف البريطانيون، وقد اكتشفوا أيضا بعض الكهوف الأسطورية، حيث تم تطوير ثلاثة كهوف منهم حتى الآن، ليصبحوا فيما بعد مزاراً سياحياً، وبذلك اسهموا في إنماء اقتصاد المنتزه، فمستقبل الكهوف في ملايو عظيم جداً، حيث يوجد كهف النهر الصافي الواسع - والذي يعد أطول كهوف آسيا — واكتشاف هذه الكهوف في ملايو قد أعطى حكومة سرواك مصدراً طبيعيا ذا قيمة، والمصدر الأساسي الذي منحه الكهف هو الماء، الذي يعد ذو أهمية خاصة في المناطق التي يعتمد الاقتصاد فيها على الزراعة، فكهف الأنهار يمثل خط الحياة، حيث لا توجد سطوح للأنهار.

أما في الجنوب الصيني، حيث توجد الأحجار الجيرية الواسعة، فقد اتحدت خبرة مرتادي الكهوف البريطانيين وبلاد الغرب الأخرى مع خبرة المهندسين الصينيين، ليتمكنوا من معرفة مدى الروابط التي تقع تحت الأرض، أي في تلال الحجر الجيري بالصين، وقد أظهرت اكتشافاتهم الطاقة النهرية والقاعات الضخمة والأشكال الساحرة التي تزينها، والتي تعتبر جزءا طبيعيا من كهوف الصين العظيمة.

ويقول العلماء إن قصة شق الكهوف قد جاءت في حلقات متكاملة، فمجاري المياه الطبيعية قد شكل هذه الكهوف، والآن اكتشفت هذه الكهوف تحت الأرض، لإعادة اكتشاف نفس هذه المجاري المائية.. والكهوف هي الجزء الساحر والشكل المنظور للعالم الطبيعي، لذلك يسمح الظلام بإعطاء الهواء لهذا السر الغامض، وهذا — بالتأكيد - يسهل فهم السحر الذي يجده الناس في اكتشاف الكهوف.

قصة شق الكهوف قد جاءت في حلقات متكاملة.

إن دلائل هذه الكهوف تبين أن قدرة الله كثيرة وكبيرة وعظيمة وتعد الكهوف التي تكتشف تحت الأرض إحدى دلائل القدرة، وهي تمثل إعجازاً إلهيا، في سلسلة لا نهاية لها من إبداعات الخالق، التي لا يمكننا معها إلا أن نقول «سبحان الله» ■

علوم

التسمم بأول أكسيد الكربون

يعتبر التلوث البيئي من أهم مشكلات وسمات العصر الذي نعيش فيه، وتختلف كل بيئة في نوعية وخطورة هذا التلوث. ولذلك كان الاهتمام بدراسة تأثيراته والوسائل المستخدمة في الحد منه أو تقليل آثاره. وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الصناعية من أولى الدول تأثرا وتعرضا لهذا التلوث، وبالتالي ارتفاع نسبة الوفيات بسبب التعرض الإجباري لهذا التلوث على مدار السنة. ولن نخوض في الحديث عن قضية التلوث البيئي كقضية عالمية معقدة، ولكننا سنتناول الآثار السلبية الناتجة عن الاصابة بإحدى هذه الملوثات الخطيرة وهو غاز أول كسيد الكربون CO.

بقلم: د. أحمد عبدالمنعم عربود

ينتج غاز أول أكسيد الكربون عن احتراق غير كامل للكربون في أي مادة عضوية. ويتسبب غاز أول أكسيد الكربون في حدوث أكبر نسبة وفيات مقارنة بأي نوع آخر من الغازات. ولقد استخدم الإغريق أول أكسيد الكربون كمادة سامة في التخلص من المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام!.

وهو غاز عديم اللون والرائحة، وقد قل استخدامه في كثير من الدول المتقدمة وبخاصة أمريكا بعد ظهور الغاز الطبيعي الذي حل محل الغازات الصناعية مثل غاز الفحم الذي يحتوي على أول أكسيد الكربون.

وعلى الرغم من هذا فإن العادم الناتج من احتراق آلة تستخدم «الجازولين» كوقود يحتوي على ٦٪ من أول أكسيد الكربون أو أكثر وهذه نسبة كبيرة للغاية.

ولأن الغاز ــ كما أسلفنا ــ عديم اللون والرائحة فإنه قد يتسرب ويقتل دون أن يشعر به الإنسان.

والتسمم الحادث بالغاز قد يكون عرضيا مثل التسمم المهني حين يتعرض العمال في قمائن الطوب والمناجم وعمال كراجات السيارات سيئة التهوية. وكذلك رجال إطفاء الحريق وعمال المصانع والمعامل.

وقد يتعرض الفرد العادي للإصابة بتسمم غاز أول أكسيد الكربون في المنزل نتيجة لتسرب الغاز من الأنابيب الناتج من احتراق الفحم (المستخدم في التدفئة) أو من مواقد الغاز وكذلك في الحمامات وذلك لعدم وجود تهوية جيدة كافية. وأكثر ما تحدث الإصابة إذا أدرت محرك السيارة وبخاصة إذا كانت حظيرة السيارات مغلقة وليس ثمة تهوية جيدة للتخلص من العادم فهنا تكمن الخطورة.

استخدامه

وفي عالم الجريمة قلما يستخدم الغاز في الانتحار، وإن كان قد استخدم في حالات القتل العمد. فقد سجل بوليس لندن حالات قتل استخدم فيها أحد السفاحين والذي كان يدعى (كريستي) الغاز في تخدير ضحاياه حتى فقدان الوعي ثم يقوم بإذابة أجسادهم بعد ذلك بحمض الكبريتيك المركز! وترجع خطورة أول أكسيد الكربون لاتحاده بهيموغلوبين الدم مكونا ما يسمى بـ «كربوكسي هيموغلوبين» وهذا الأخير مادة شديدة الثبات بحيث لا يقبل الانفصال مرة أخرى بسهولة وبالتالي تفويت الفرصة على الهيموغلوبين للاتحاد مع الأكسجين فيحرم الجسم من الاستفادة من عنصر الحياة الضروري.

وإذا علمنا أن قابلية «الهيموغلوبين» وهو المادة الملونة في الدم أو شراهته للاتحاد بأول أكسيد الكربون التي تفوق قابليته للاتحاد بالأكسجين ٢١٠ مرات) لأدركنا مدى الخطورة الكامنة في التعرض لذلك الغاز الخطير.

ولو فرضنا أن شخصا ما فقد نصف كمية الهيموغلوبين الموجودة في جسده في حادث ما مثلا، لوجدناه غير قادر على أداء كثير من الوظائف الحياتية خلافا لما لو شغلت نفس النسبة باتحادها مع أول أكسيد الكربون في حالة التسمم بالغاز، وذلك لأن الهيموغلوبين في هذه الحالة الأخيرة لا يملك التخلص من أول أكسيد الكربون وبالتالي عدم قدرته على دفع الأكسجين إلى الخلايا.

وتزداد قابلية الهيموغلوبين للاتحاد بأول أكسيد الكربون وبالتالي ازدياد درجة التسمم كلما زاد ضغط الغاز المستنشق في الحويصلات الهوائية الرئوية وكذلك ازدياد مدة التعرض للغاز ودرجة التهوية. ومن أعراض الإصابة بالتسمم بغاز أول أكسيد الكربون ــ مثله في ذلك مثل مظاهر قلة الأكسجين في هواء التنفس ــ الشعور بالصداع والغثيان وتلون الجلد بلون أحمر كلون (الكرز) وكذلك تبدو الأظافر والأغشية المخاطية المبطنة للفم والعينين. وتنتج الوفاة إذا تحول ٧٠-٨٠٪ من الهيموغلوبين في الدورة الدموية إلى أول أكسيد الهيموغلوبين أحادي الكربون. وقد تحدث الإصابة بصورة مزمنة حين يتعرض الإنسان للغاز على فترات طويلة متقطعة ولكميات أقل من

الغاز فإن تسمم الحادث في مثل هذه الحالة يكون مزمنا وذلك مثل ما يحدث مع عمال المناجم أو ساكني البيوت سيئة التهوية أو عمال صناعة الفحم وقمائن الطوب. والإصابة هنا نتيجة استنشاق كمية من أول أكسيد الكربون دون المميتة مما يتسبب في تدهور مستمر واعتلال في خلايا المخ وبالتالي تحدث تغيرات عقلية ووظيفية وقد تؤدي إلى الإصابة بمرض يشبه مرض «باركنسون».(١)

درجة التسمم

وعلى حسب تركيز غاز أول أكسيد الكربون في الجو تكون درجة التسمم فالتعرض إلى (واحد من مائة جزء في المائة) تسبب ٢٠٪ كربوكسي هيموغلوبين وحينها يشعر المصاب بالإجهاد وضيق في التنفس وطنين في الأذنين وانتفاض في شرايين الجهة الصدغية من الرأس، وزيادة مدة التعرض يصيب الانسان بالصداع والقيء والغثيان.

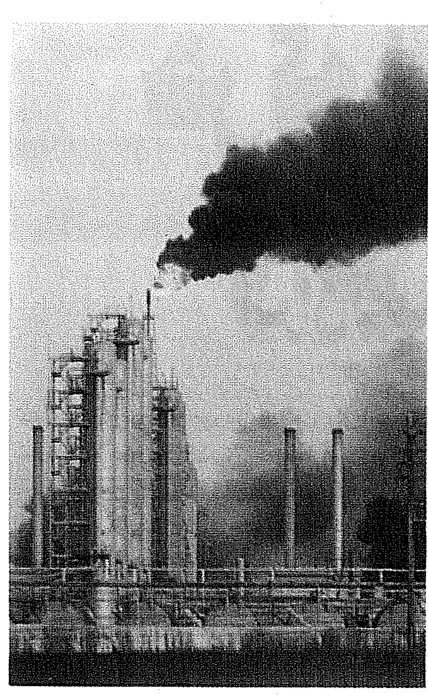
أما التعرض لنسبة (واحد من عشرة أجزاء في المائة) تسبب ٥٠٪ من الهيموغلوبين ليتحول إلى كربوكسي هيموغلوبين وهذه النسبة كافية لقتل المصاب خلال ساعتين. ويصاحبها الإعياء الشديد (بحيث لا يتمكن المصاب من إنقاذ نفسه بالخروج من مكان الإصابة) وفقدان القدرة على الإبصار واعتلال السمع ثم يصاحب ذلك غيبوبة وانخفاض في ضغط الدم وانخفاض ملحوظ في درجة حرارة الجسم وازدياد النبض مع ضعفه واختلال في التنفس ثم الوفاة.

والتعرض لنسبة (واحد في المائة) من الغاز تسبب ٦٠-٧٠٪ من الهيموغلوبين إلى كربوكسي هيموغلوبين وهو كاف لقتل المصاب فور التعرض له.

عواقبه

وإذا قدر للمصاب أن يسعف من إصابته إثر تعرضه للغاز فإنه سيعاني من الدوخة واستسقاء الرئتين ومظاهر اعتلال عصبية كثيرة، وذلك لأن الجهاز العصبي المركزي حساس للغاية لفقد أو نقص الأكسجين.

فيفقد المصاب الذاكرة للأحداث السابقة مع اختلاط ذهني واعتلال دماغي. وما يشبه مرض «باركنسون» وشلل نصفي. وقد يتسبب نقص الأكسجين أثناء الإصابة إلى



تآكل أو تفتت العضلات (نكروز أو موات تفتتي) وهذا الأخير يتسبب في ترسبات كلوية مما ينتج عنه فشل كلوى حاد.

ولعلاج حالات التسمم الحاد بالغاز المذكور: يجب إبعاد المصاب فوراً عن مكان الإصابة ونقله إلى مكان جيد التهوية وإذا لزم الأمر إجراء تنفس صناعي، ويفضل استخدام اسطوانة أكسجين بدلا من هواء الجو، وذلك ليساعد على انفصال أول أكسيد الكربون من الهيموغلوبين، وللأطباء طرق في استخدام الأكسجين تحت ضغط عالٍ أو الـ hyper-baric O2 للإسراع والمساعدة في انفصال أول أكسيد الكربون وإحلال الأكسجين مكانه. ويستخدم الأطباء كذلك عقار hel-thione في الزرق الوريدي للمساعدة على إمداد المخ والقلب بالأكسجين.

هذا ويجب تدفئة المصاب وإعطاؤه مضادات

أول أكسيد الكربون غاز يساعد على زيادة نسبة الوفيات مقارنة مع الغازات الأخرى

حيوية مناسبة لتجنب حدوث الإصابة بالالتهاب الرئوي. ويمكن نقل دم طازج(٢) للمصاب مع بقائه مستريحا في الفراش لمدة عشرة أيام على الأقل.

ويعتمد التشخيص لحالة التسمم بغاز أول أكسيد الكربون في الدرجة الأولى على الصورة الأكلينيكية مع معرفة ملابسات وظروف الاصابة من أقارب المصاب. وكذلك يمكن الكشف عن أول أكسيد الكربون المتحد بالهيموغلوبين عن طريق عدد من الاختبارات والتحاليل المعملية وكذلك دراسة الطيف البصري للدم.

الوقاية منه

وللوقاية من الإصابة لا بد من معرفة مصدر الإصابة ومحاولة تجنبها قدر المستطاع بالتوعية المستمرة، وبالنسبة للعمال المعرضين للاصابة بالغاز كعمال المناجم وقمائن الطوب وغيرهم يجب أن يحملوا أجهزة قياس دقيقة لتحديد كمية أول أكسيد الكربون في الهواء المستنشق، وأقصى كمية مسموح بها يجب ألا تزيد عن خمسين جزءاً من المليون.

وإذا قُدر لنا أن نطلع على جثة المتوفى من التسمم بالغاز السابق، وهذه ضرورية للأطباء الشرعيين ورجال القضاء - للتعرف على أسباب الوفاة، فسنجد الميت قد تلون جلده باللون الأحمر وكذلك الأحشاء الداخلية، ويمكن أن نرى الرئة مصابة بالالتهاب مع نزيف دموي تحت أغشية القلب الداخلية وتآكل وتورم في مهاد المخ والعقد القاعدية وكذلك نزف دموي في كل أنسجة المخ وتبدو الكلى مصابة بتآكل الأنابيب البولية■

الهوامش

١- مرض «باركنسون» ويعرف بمرض الشلل الرعاش وهو مرض شائع في كل الأجناس ويصيب كلا الجنسين، ويتميز بحركات غير إرادية مع تيبس العضلات وعدم القدرة على الوقوف بشكل ثابت بصورة طبيعية وقد يصاحبه تغيرات في الجلد وكذلك في الوظائف العقلية. وأشهر أنواعه غير معروفة السبب وغالبا ما يصيب الإنسان في سن ٤٥-٦٥ سنة من عمره.

٢- الدم الطازج: ويقصد به الدم المأخوذ لتوه من متبرع متوافق في زمرة دمه مع المصاب وخالٍ من الأمراض المعدية دون أن يحفظ في ثلاجات بنوك الدم المعتادة.

حركة الأرض والبروج

فلك

اعتبر علماء الفلك اكتشاف حركة الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس من أروع ما اكتشفه علماء الفلك، وكان أول من قال بحركة الأرض هو ـ العالم المسلم الجليل أبوالحسن علاء الدين الأنصاري المعروف بابن الشاطر (٧٠٤-٧٧٧هـ)، ثم جاء كوبرنيكس العالم البولندي (١٤٧٣-١٥٤٣م) وانتحل نظرية ابن الشاطر وللأسف الشديد ظلت هذه النظرية مدة طويلة تنسب إلى كوبرنيكس ظلما وتطاولاً. أما الآن فإن معظم علماء الفلك المنصفين يعرفون أن مكتشف هذه النظرية هو ابن الشاطر.(١)

كتب ـ د.مجدي يوسف أمين

تدور الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق بسرعة مقدارها ٢٧كم في الدقيقة فيتولد من دورانها الليل والنهار، قال تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ [الزمر/٥]. من هذه الحركة تولد لدى الإنسان الإحساس بالزمن وقد ابتدع الإنسان اليوم الذي يمثل الوحدة الأساسية في علم الفلك لقياس الزمن، ويمكن حساب اليوم عن طريق قياس الزمن الذي تأخذه الشمس من وقت الغروب في يوم ما إلى الغروب في اليوم الذي يليه، سنجد هذه المدة تساوي ٢٤ساعة.

والحركة الثانية للأرض تكون حول الشمس حيث تدور الأرض حول الشمس مرة واحدة كل عام بسرعة مقدارها ٢٩,٨كم في الثانية في مدار بيضاوي تكون الشمس في إحدى بؤرتيه. وقد لاحظ القدماء المصريون توافق فيضان النيل مع بداية رؤيتهم لنجم الشعرى اليمانية أول مرة ناحية الشرق قبل شروق الشمس مباشرة. فعلى امتداد شهرين يظهر نجم الشعرى مع الشمس ويظل غير مرئي إذ يضيع ضوؤه بين أشعة الشمس. وفي شهر يوليو يظهر هذا النجم قبل الشمس وينطبق هذا اليوم مع بداية فيضان النيل، وبمتابعة هذا الحدث وجدوا أنه يتكرر كل ٣٦٥ يوما فاتخذوا من هذه الفترة طولا للعام، وتسمى هذه السنة بالسنة الميلادية. ولا يشعر الانسان بحركة الأرض لأنها تتحرك بسرعة منتظمة حول محورها وحول الشمس لأنه كما تقول نظرية النسبية إننا لا نستطيع أن نشعر بالحركة ذاتها ولكننا نشعر فقط بأية تغيرات في الحركة ومثال ذلك لا يشعر الانسان بحركة الطائرة إلا إذا مرت بمطب هوائي.

دورانها حول الشمس

وأثناء دوران الأرض حول الشمس لاحظ القدماء أن أشكال النجوم الواقعة خلف مدار الأرض حول الشمس تتغير من فترة إلى أخرى، فقاموا بتقسيم هذه الأشكال إلى اثنتي عشرة مجموعة وسموا كل مجموعة بالبرج أو منزل الشمس حيث تسير الأرض في كل برج منها مقدار شهر واحد خلال دورانها حول الشمس وأطلقوا على مسار الأرض حول الشمس اسم دائرة البروج.(٢) وأسماء هذه البروج، الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، العذراء، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، والحوت.

ويمكن للمتصفح قبة السماء أن يرى أكثر من برج في وقت واحد. ويختلف عدد الأبراج التي تظهر في صفحة السماء باختلاف خط عرض المشاهد.. ففي القاهرة يمكن أن نشاهد في ليلة صافية، بعيدا عن أضواء المدينة، في النصف الأول من شهر أبريل الأبراج التالية: العذراء، الأسد، السرطان، الجوزاء، الحمل، والحوت، وذلك يبدأ من اتجاه الأفق الشرقي حتى الغرب من اتجاه الأفق، وكلما غاب منها واحد (أي غرب) يطلع رقيبه (أي يشرق) فمثلا رقيب الحوت هو الميزان.

وقد أقسم الله تعالى بهذه البروج في قوله تعالى: ﴿والسماء ذات البروج﴾ [البروج/١].

ودائرة البروج ليست موازية لمستوى خط الاستواء وليست متعامدة عليه أيضا ولكنها تميل عليه بزاوية قدرها ٢٣,٥ درجة وبالتالي فهي تميل بنفس الدرجة على محور دوران الأرض حول نفسها، وكان العالم المسلم أبو الريحان البيروني من أوائل العلماء الذين استطاعوا قياس هذا الميل.(٣)

النجم السماوي

ومن المعروف أن الشمس هي النجم السماوي الرئيس المؤثر في حياتنا، فالطاقة الشمسية تخزن في النبات عن طريق عملية البناء الضوئي الذي ينتج عنه الغذاء الملائم للإنسان وللحيوانات آكلة

العشب، حيث يتم تمثيل السكر والنشا والبروتين النباتي في أنسجتها وتتحـول إلى بروتين حيواني، والحيـوان العشبي يمثل بـدوره غذاء لـلانسـان وللحيـوانات آكلـة اللحوم وكما تـوجد حيـاة على سطح الأرض توجد حياة داخل البحار التي تعتمد هي الأخـرى على أشعة الشمـس وتؤثـر الشمس أيضا على طبقـات الغلاف الجوي فينتج عن ذلك الظواهر الجوية.

وللطـاقـة الشمسيـة تأثير حيـوي مبـاشر على الانسان إذ تحول جزءا من الدهون المختزنة تحت الجلـد إلى أنواع من الفيتـامينـات تفيـد في وقايـة الانسـان من بعض الأمـراض، مثل فيتـامين(د) الذي يفيد في علاج لين العظام.

أما نجـوم السماء فهي شموس كشمسنـا، لكنها تبعد عن الأرض في الفضـاء مسافـات كبيرة جدا، ويكفي لتصور بعد النجوم عنا أن نعرف أن ضوء الشمس يصل إلينـا بعـد ثماني دقـائق في حين يصل ضـوء أقرب النجـوم إلينا في أكثـر من أربع سنوات، وهناك من النجوم مـا يصل ضوؤه إلينا بعد آلاف السنين.

وعلى هـذا فمقدار مـا يصل إلى الأرض من أشعـة الشمس كبير جـدا، أمـا ما يصل إلينـا من ضـوء النجوم فيعتبر كماً ضئيلا جدا وليس له أي تأثير على تغير الطقس والمناخ على سطح الأرض. إذن ما سبب تغير الطقس والمناخ؟

الطقس والمناخ

يرجع سبب تغير الطقس والمناخ على سطح الأرض إلى ميل محـور دوران الأرض حـول نفسهـا على مسـار دورانها حـول الشمس (دائرة البروج) بزاوية مقـدارها ٢٣,٥ درجة، وهـذا يجعل شدة الطاقة الساقطة على سطح الأرض تتغير من فصل إلى فصل حيث يتغير اتجاه تعـامـد الشمس على سطح الأرض من منطقـة إلى أخرى، فنجـد أنه في فصل الربيـع والخريف تكون الشمس متعـامدة على خط الاستـواء وفي فصل الصيف تكـون الشمس متعـامـدة على مدار السرطـان وأخيرا في فصل الشتـاء تكون متعـامدة على مـدار الجدي وهـذا من فضل اللـه لأنه لـو كـان محور دوران الأرض عموديا على مدارها حول الشمس لأصبح اتجاه الشمس عمـوديـا فقط على خط الاستـواء، وفي المنـاطق الأخـرى يكون ميل الشمس ثـابتـا طوال العام ويتساوى الليل والنهار طولا في جميع أنحاء الأرض وتصبح شدة الطـاقة السـاقطة على كل جـزء من الأرض لا تتغير خلال العـام وهذا لا يتلاءم مع طبيعة حيـاة الانسان والحيوان، وهذا هو الصـواب عما ذكره د.عبـدالعليم عبـدالرحمن خضر في كتـابـه الظواهـر الجغـرافيـة بين العلم والقـرآن ص١٧٦ مـا نصـه: (بأن البروج هي منـازل الكـواكب في السماء والتي ينشأ عنهـا الفصول الأربعة، وما فيها من حرارة وبرودة).

والمسافة بين الأرض، والشمس ليس لها أي تأثير على تغير الطقس والمنـاخ على سطح الأرض لأنـه ثبت علميا بأن فصل الصيـف يبدأ عندمـا تكون الأرض أبعـد مـايمكـن من الشمس أي على بعـد ١٥٢,١مليون كم. أما فصل الشتـاء فيبدأ عندما تكون الأرض أقرب ما يمكن من الشمس، أي على بعـد ١٤٧,١مليون كم، وهـذا بالنسبـة للنصف الشمالي من الكرة الأرضية.(٤).

وميل محور دوران الأرض حـول نفسهـا على دائرة البروج يسبب اختـلاف طول مـدة كل من الليل والنهار من فصـل إلى فصل في مكان محدد ومن بلـد إلى أخـرى، ففي فصل الصيف تكـون البلاد الواقعة في مدار السرطان طول نهارها أكبر من البلاد الـواقعة في المنطقة الاستوائيـة ويكون النهـار غير منقطع شمال خط عـرض ٣/١ ٦٦° فعند خط عرض ٢/١ ٦٦° تستمر الشمس فوق الأفق مدة ٢٤ ساعة في السنة.

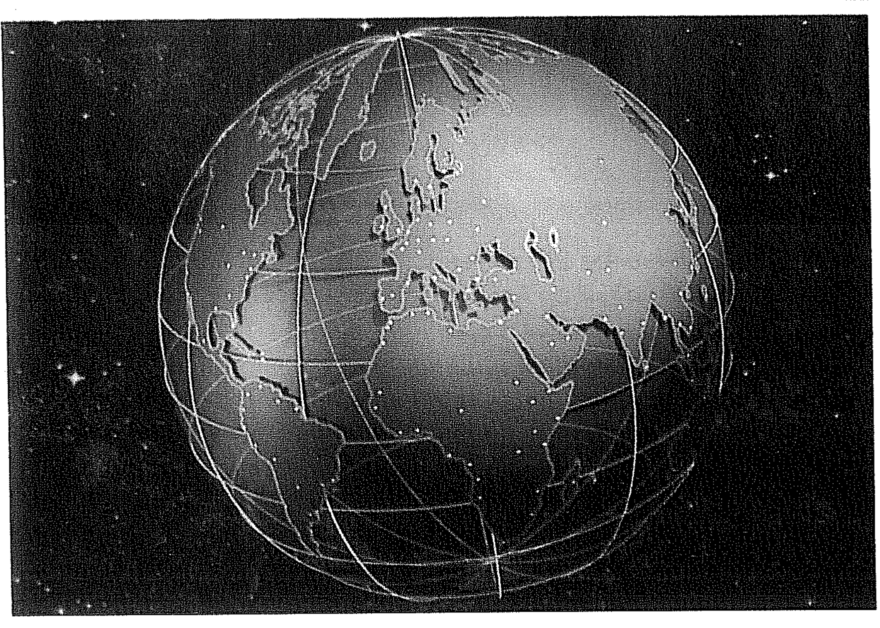
وعلى خط عرض ٣/١ ٦٧° تستمر الشمس فوق الأفق مدة شهر في السنة.

وعلى خط عرض ٦٨° تستمر الشمس فوق الأفق مدة شهرين في السنة.

وعند القطب تماما تستمر الشمس فوق الأفق مدة ستة شهور في السنة.

أمـا في فصل الشتـاء فتكـون البلاد الـواقعـة في المنطقة الاستوائية طول النهار بها أكبر من البلاد الواقعـة في مدار السرطـان. وكذلك يستمـر الليل دون انقطاع شمال خط عـرض ٣/١ ٦٦° مُـددا متساوية كالمبينـة آنفا، إلا أن الشفق طويل المدى والقمـر الـذي لا يكاد يغيب عن آفـاقهـا فيما بين الربع الأول والأخير أثناء شهـري ديسمبر ويناير كلاهما يخفف من حدة الظـلام في هذه المناطق في تلك الأوقات.

والعكس صحيح بالنسبـة لنصف الكرة الجنوبي فما يحدث في فصل الشتـاء في النصف الشمالي يحدث في فصل الصيف في النصف الجنوبي ■



الأرض تدور حول محورها بسرعة ٢٧ كيلو متراً في الدقيقة

الهوامش

١- علي عبدالله الدفاع، رواد علم الفلك، نادي أبها الأدبي.

٢- د.مجدي يـوسـف أمين، مـوسـوعـة سفير الإسلامية.

٣- القانون المسعودي للبيروني.

٤- عبدالقوي عياد، مبادىء علم الفلك، مطبوعات علوم القاهرة.

هذه صورة أبي

قصة العدد

كثرت الافتراءات والأكاذيب والادعاءات على الإسلام والنيل منه ومن أهله كما كثرت أيضا الاتهامات الباطلة من أعداء الإسلام عليه، وتكالبوا على اضطهاده وتقليله في كل البلدان حيث انهم يتخوفون منه باعتباره الخطر الذي يهدد كيانهم وعقيدتهم الباطلة كما يحدث في الشيشان والبوسنة والهرسك و في القدس المحتلة وهذه القصة كمثال لذلك.

بقلم: جابر عطية سركيس

مهموم كان يجلس، تنظر إليه حفيدته الصغيرة بين الوقت والآخر ثم تعود إلى لعبها، أمامه صحف كثيرة مكتوبة بحبر أسود وعليها (مانشيتات) سوداء كبيرة، يقلب فيها، يأخذ صحيفة، يلقيها، وثانية يقذف بها. تنظر إليه حفيدته الصغيرة ثم تعود إلى لعبها.

يدير مؤشر المذياع الذي اشتراه في يوم ذكرى النصر العظيم، يحس بالوجع يدق قلبه كلما تذكر ذلك اليوم، يوم خرج ابنه في العفو الذي صدر بهذه المناسبة، كان مهزوما مكسوراً، سار معه إلى البيت، كان ذابلا، ذاهلا وكان يبصق بين الوقت والآخر.

لم تكن عنده هذه العادة من قبل، كان يقول دائما: (لا يليق بشعب مثلنا صاحب حضارة عريقة أن يبصق أفراده في الشوارع..).

ـ ألا تذكر يا محمد؟!

لا يرد. كان ينظر ذاهلا ويبصق.

وعندما دخلنا الشارع، لم يلتفت إلى محمد أحد!

ـ هل نسيتم محمداً؟

أنسيتم يوم عاد من الحرب؟

ألا تذكرون كم كنتم في شوق إليه وشغف لحكاياته التي كان يحكيها لكم عن أحداث الحرب؟

...احك لنا يا محمد.

ماذا فعلت باليهود يا محمد؟

هل نسيتم محمداً؟!

نسوك، لم يعد يذكرك أحد حتى الشيخ سالم

الهموم تثقل كاهل الشباب وتحولهم إلى كهول

يا شيخ سالم.. هذا محمد، ألا تذكره؟ أنت من ربيته يا رجل، حكايات كثيرة حكيتها له هو وأولاد الشارع: سيرة بني هلال والأميرة ذات الهمة وزرقاء اليمامة وسيرة صلاح الدين... لماذا لم تعد تحكي؟ لماذا لم تحك أيضا سيرة محمد وحربه لليهود حتى لا ينسى الناس؟!

هل تذكر يا شيخ سالم (الأرض يا محمد لمن يحميها، لمن يدافع عنه).

ألا تذكر يا شيخ سالم. لقد حارب محمد ودافع ثم ماذا يا شيخ.. دخل السجن لأنه طالب أن يعيش كريما بين الناس؟

لماذا نظراتك دائما شاردة؟!

لماذا لا ترد؟

لماذا تبعد نظراتك عني وعن محمد؟

يا محمد هذا هو الشيخ سالم.

ينظر محمد إلى الأرض ويبصق.

ينظر إلى صورته على الجدار ويبصق.

هذه صورتك يا محمد وأنت تحمل (آر.بي.جي) عندما جئت في اجازة قبل الحرب، قلت: (بهذا سأذيق اليهود مرارة الهزيمة، بهذا سأقتل اليهود).

وهذه صورتك يا محمد.. ألا تذكر. وأنت فوق دبابة إسرائيلية.. انظر السعادة على وجهك؟

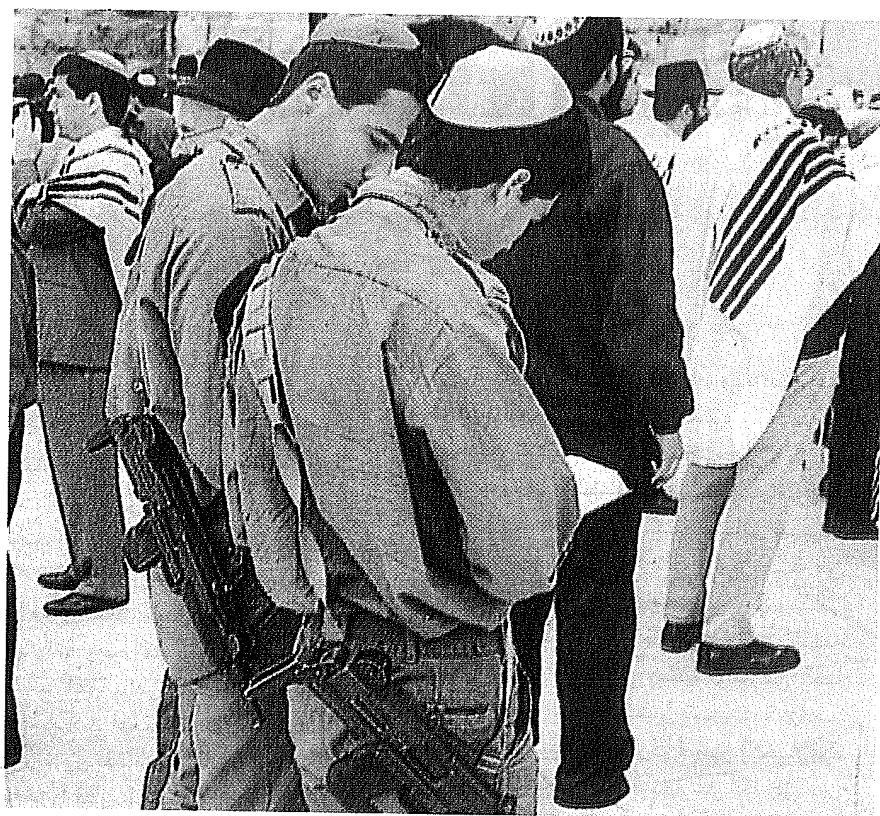
وهذه صورتك وأمامك اليهود أسرى أذلاء تتدلى رقابهم على صدورهم في خجل.

هل يخجل أولاد الزواني، أولاد الأفاعي كما تحب أن تطلق عليهم؟!

اضحك يا محمد.

وأضحك.. أضحك ولا أحس إلا بيديك تمسح دموعي من فوق وجهي، وتجلس حزينا، نتحدث كصديقين ثم تتركني بعد كل نقاش وتخرج أكثر حزناً.

يوم خرجت آخر مرة عرفت بعدها أنه تم القبض عليك وأودعت السجن مع شباب كثيرين في مثل سنك، اشتركوا في مظاهرة ضخمة، بعدها خرجت الصحف بمانشتات حمراء وكتابات سوداء تقول: (تم قمع انتفاضة اللصوص).



قـالوا عنك «لص»! محمـد ابني الذي حـارب اليهود لص! لا تحزن يـا بني سيكذبـون هذا الكلام.
ابني ليس لصاً.. ابني ليس..
لم أستطع مواصلـة الكلام يا محمـد، سرعان ما خفت صوتي أنا يا بني جهير الصوت الذي يجلجل صـوته في المنـاقشات، صـار صوتي خافتا فجأة، ذهبت إلى أطباء كثيرين ولم يزل صـوتي خافتـا، انتظـرتك عندمـا تخرج من السجن، كـان أملي كبيراً أن استعيـد صـوتي معك.
أنت الآن لا تتكلم، فقط تبصق على الأرض.
يا محمد.. يا محمد.. يا محمد.
تتنبه الصغيرة، تترك لعبها، تقترب من جدها، يحتضنهـا، تغمـر دمـوعـه خـدهـا الصغير ورقبتها.
محمد من يا جدي؟
محمد أبوك يا أمل.
إنه ليس هنا يا جدي.. إنه غائب!.
شرد الجد ثانية..
استمر ذاهـلاً شهوراً كثيرة بعد خـروجه من السجن، وعندما أفاق من شروده قرر السفر.
(كلهم يسافرون يـا أبي، لا بقاء لي هنا، هناك قد أجد عملا).
تلتفت الصغيرة وبيـديها الصغيرتين تجذب وجه جـدها وتسأله وهي تمسح دمـوعا على وجهه.
هل سيعود أبي يا جدي؟
نعم سيعود لابد أن يعود يا أمل.
تجمع الصغيرة الصحف المتناثرة، وتنظر إلى الخطوط السوداء الكبيرة، وتسأل جدها.
- ماذا كنت تقرأ في الصحف يا جدي؟
ودون أن تنتظر رداً، تقرأ الصغيرة..
(استشهاد ثلاثة وستين فلسطينيا وإصابة ثـلاثمائة في مذبحـة إسرائيليـة أثناء صـلاة الفجر) (١)
(مستوطن يهودي يقتحـم الحرم الإبراهيمي بـالخليل ويفتـح النـار على جموع المصلين). (٢)
وتجلس الصغيرة، وتقرأ
(يـوم الجمعـة ٢٥ فبرايـر ١٩٩٤ تخضبت أرض الحرم الإبـراهيمي الشريف بـدمـاء طاهرة ذكية.. ألفان من المصلين قدموا في تلك الساعـة المبكرة من منتصف شهـر رمضان المبارك ليؤدوا صلاة الفجـر.. شيوخ وأطفال وفتيـات وفـدوا إلى الحرم الإبـراهيمي غير مسلحين إلا بكتاب اللـه وسنة رسـوله صلى الله عليه وسلم.. ويحملـون في قلوبهم إيمانا عميقـا بـوطنهم المغتصب، عنـد لحظـة السجود.. والابتهـال إلى الله.. جـاءهم الغدر من الخلف وعلى غير ما يحتسبون) (٣).
يغمر الحزن وجـه الصغيرة، تبكي الصغيرة، تنهمـر الدمـوع من عينيهـا، تسيل الدمـوع غـزيـرة على وجههـا الصغير ولا تمسح يـد جدهـا على شعرهـا وعلى خديها حـزناً غطى وجهها.
تنهض الصغيرة، تمسح دمـوعها، تعـود إلى لعبهـا، تجمعهـا في علبـة، وتضعهـا فـوق (الـدولاب) وتجلس على مكتب أبيهـا، تمسك قلما وتـرسم على ورق أبيض، تنظـر إلى الصـورة على الجدار وترسم، تـرسم جنديـا مثل أبيها يحمل مدفعاً وعلى وجهه تصميم.
تضحك البنت، وتقول لجدها:
ـ سـأتزوج هـذا يـا جدي، سأطلب منـه أن تكون هدية زواجي الانتقام من اليهود.
يبتسم الجد، يحتضن حفيدته، يشعر بنشاط يـدب في جسـده، يقـوم يجمع كل الصحف، يضعها فوق (الدولاب)، يغلـق المذياع، ترفعه الصغيرة فـوق (الـدولاب)، يسقط المذيـاع، يصير قطعـاً صغيرة. يضحـك الجد، يلقي بـالقطع الصغيرة في سلـة القمامـة، ويمسك قلما ويرسم على ورق أبيض.
سعيد وهـو يرسم أطفالاً صغاراً، تنظر إليه حفيـدتـه الصغيرة بين الـوقت والآخـر ويبتسمان■

> الأطفال أحباب الله لا يتحملون الغباء ولا يعرفون الهموم وذووا قلوب بيضاء

هوامش:

(١) صحيفة الجمهورية ٢٦ رمضان ١٤١٤
(٢) ص. الأهرام ٢٧ رمضان ١٤١٤
(٣) ص. الشعب القـاهـريـة ٢٧ رمضـان ١٤١٤

الآثار الضارة لسوء البث الإعلامي إسلاميا وسيكولوجيا

اعلام

لا شك أن وسائل الاعلام تؤدي دورا مهما في غرس القيم الأخلاقية وتنمية الوعي الديني وفي الإسهام في مجال التربية غير المقصود، تلك التي لا تتم داخل المؤسسات التربوية بل تمتص من وسائل الاعلام، ومن الآباء وجماعة الرفاق، وهي أشد تأثيرا، وأكثر خطورة في تشكيل السلوك. إذ إنها تقدم ضمن بعض القصص أو المسلسلات مما يجعلها أكثر جاذبية وبخاصة لدى الصغار والشباب.

بقلم الدكتور:
محمد محمد عيسوي الفيومي

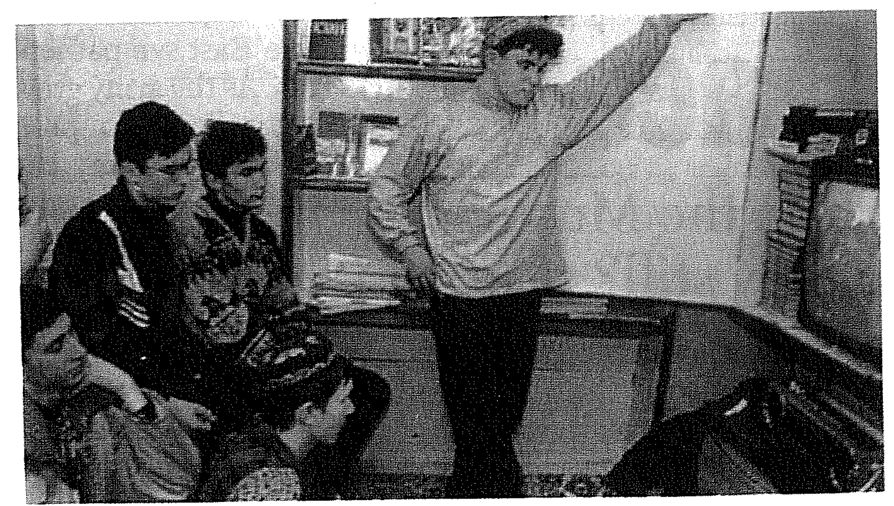
غير أن وسائل الاعلام لا تؤدي رسالتها المرجوة فتنحرف عن جادة الطريق متأثرة بالأغراض التجارية فتركز صحافة الخبر على الإثارة والتهويل، وتضخم الأحداث حتى تلفت أنظار القراء فيهرعون إلى شراء النسخ وتعد الصحافة مدرسة الشعب، حيث يطالعها المثقفون، غير المثقفين ممن لا يتيسر لهم سبل العمل فيطالعون الصحف في سهولة ويسر كما تقوم الصحافة الحرة بكشف النقاب عن الانحرافات في المجتمع.

أما المجلات المصورة: فإن معظم قصصها تدور حول المغامرة والجريمة والجاسوسية وبعض أعمال العنف والاعتداء.إن المجلات المصورة تحتل الأهمية الثانية بعد التلفاز، وقد أكدت الدراسات والأبحاث أن الأطفال يقلدون ما تعرضه عليهم وسائل الاتصال الجماهيرية من أنماط للسلوك، وبخاصة وسط صغار السن من الأطفال الذين لا يدركون تماما مغزى ما يشاهدونه في سلوك رجل الشرطة ورجل القانون عندما يلكم أحدهما المجرم أو يطلق عليه الرصاص فيرديه قتيلا أو جريحا.

فكل الذي يفهمه الطفل أن رجل الشرطة يفوز لأنه قوي وعنيف. أما الأطفال الأكبر سنا وبخاصة في الأوساط محدودة الثقافة والدخل فإنهم يجدون العنف والعدوان وسيلة لاشباع ميولهم وخصوصا إذا كانوا على حافة الطريق إلى الانحراف فإن مشاهداتهم هذه الوسائل تدعم انحرافهم،ويصبح العنف والجريمة من أنماط سلوكهم بعد أن يشاهدوها في وسائل الاعلام الجماهيرية خاصة أنها تشبه مجريات الأحداث في بيئتهم وأسرهم. أما أبناء الأسر المثقفة الذين تدعمت قواعد السلوك لديهم واستقرت قيمهم الأخلاقية فإنهم يكونون أكثر قدرة على التفريق بين السلوك الطيب والسلوك السيء، فلا ينظرون إلى العنف والعدوان على أنه بطولة، بل هو سلوك غير مقبول في المجتمع. (الصراع القيمي بين القديم والحديث) نتيجة للفروق الاجتماعية التي تتمثل في واقعية الكبار ومثالية الشباب، فالشباب بحكم تكوينهم النفسي والاجتماعي إلى رفض المعايير والمسئوليات والتوجيهات التي يمارسهاالكبار، ذلك أن الشباب مولع بالبحث عن كل ما هو جديد.

ووسائل الاعلام الحديثة تفتح تطلعات الشباب وطموحاتهم إلى مدى لم يألفه آباؤهم. بل إن سلطة الآباء في المجتمعات النامية تشكل عائقا يحسه شباب هذه البلاد، إذ يعتقدون أنهم يفتقدون حرية ينعم بها شباب البلاد الغربية ويشاهدونها في وسائل الاعلام، وهذا بدوره يؤدي إلى نوع من القلق والتشاؤم أو التحدي الناتج عن الحيرة بين التمسك بالتقاليد الوطنية أو النقل عن الدول الغربية المتقدمة صناعياً. فضلا عن أن الثقافة المتخصصة المعقدة أصبحت في يد المتخصصين المهنيين عادة كأساتذة الجامعات والمدرسين في المدارس، وهم يزودون الشباب بمعارف متقدمة.

والطلاب بحكم تكوينهم العلمي ومرحلتهم



الدراسية يرون العالم من خلال مثل عليا يجدونها سارية في ما يدرسونه، وبذا يكون الطالب أسرع من غيره حبا للحديث، ومن ثم يعاني الشباب من القلق والحيرة بين الحديث والمألوف لآبائه فيعاني من التناقض. ومن هنا تزيد الفجوة الفكرية بين الأب والابن أو جيل الشباب وجيل الشيوخ.

آثار الغرائز:

تؤدي الوسائل الاعلامية والاعلانية المختلفة إلى إثارة الغرائز باستخدام الآثار الجنسية كهدف ترويج بضاعة أو استغلال الغرب الحاجات النفسية والجنسية لشعوب لم يكن لديها الوعي الكافي بالتربية الجنسية مستخدمين ازدواجية غريبة: فهم يتظاهرون بتشجيع الشعوب على التمسك بالقيم الدينية وفي نفس الوقت يستخدمون الاعلانات التي تهز هذه القيم من أجل أن يصرفوهم عن الأخذ بهذه القيم مستهدفين تصريف بضاعتهم. كما يستخدمون المشاكل النفسية،والجنسية الأخرى من عنف وعدوان وانحراف خلقي من أجل ترويج تلك البضائع. وهذا ما يلاحظ من تعرض الشباب لكم كبير من انتاج التلفاز والمجلة والصحيفة والكتاب مما يثير الغريزة ثم يحتال بالتصريح والتلميح ليؤدي رسالته في خلخلة القيم الدينية واحلال أنماط السلوك الإباحية مكانها، والتي تتعارض مع قيمنا الدينية والأخلاقية وللنيل من شباب الشعوب التي تستند إلى قيم دينية راسخة.

التناقض بين تعاليم الدين وما تقدمه وسائل الاعلام

إن مثيرات الصراع القيمي في المجال الديني كثيرة، أهمها:

* ما يرجع إلى التناقض بين ما تفرضه تعاليم الدين والمثل الأخلاقية المتعارف عليها والرغبة في إشباع حاجات الشباب،وخاصة ما يتعلق منها بالجنس، ومن ثم يلاحظ تذبذب السلوك بين التدين وعدمه. وما يعود إلى روح الدين المتأصلة في الشباب، والمشكلة إذن صراع يعيشه الشباب إثر ما يتفاعل في نفسه وإحساسه، وتناقضات تنهال على عقله وفكره وبخاصة في البلاد التي تنبهر بالحضارة الغربية، أما حياته اليومية فهي لا تساعده في تأكيد احساسه الديني بل تناقضه وتشده إلى صراعات ومتاهات وما ينتج عنها من حيرة واضطراب.

فهو في الشارع يرى تبذلا أو يسمع فحشا دون أن يرى رادعا أو موقفا حازما، كما يحدث في البلاد التي تتمسك بالقيم الدينية سلوكا ومنهجا كالسعودية وغيرها.

ويرى في جانب آخر أجهزة اعلام تتحدث عن الشباب المنحرف أو المتطرف أو المتعصب أو الإرهابي من غير أن يقابل ذلك توجيه رشيد.

إلى جانب مثالية الشباب: وقد زاد في مثاليتهم عرض بعض المؤسسات للإسلام في أسلوب الماضي وحده وهو أسلوب يرتبط بتفكير هذا الماضي واتجاهات الحياة فيه،وبذا يبدو الإسلام غريبا أو في عزلة عن حياة الشعوب المعاصرة، ويزيد الأمر تعقيدا محاولة البرهنة على بهاء الدين ومجده بتصوير الواقع الإسلامي في عهد ازدهاره بصورة تقربه من الفكر الأسطوري دون النظر إلى الواقع نظرة شاملة تبدو فيها قوى البناء وقوى الهدم معا في آن واحد، وبغير ذلك تزداد الفجوة بين الشباب وواقعه، إذ ان تشويه الماضي والحاضر بتكبير أو تصغير يعني اضطراب العمل ومعاداة الحاضر والانصراف عنه، ومن منطق المثالية وهذا العرض المشوه تعلو الصيحات الشبابية لإقامة حكومات دينية.

مشكلة التغيير الاجتماعي

لقد أدى التقدم التكنولوجي إلى هجرة بعض الظواهر الاجتماعية وانتقالها من مجتمع إلى آخر على أثر تقدم وسائل الإعلام المختلفة، ومنها ما يتعلق باللغات أو الديانات أو النظم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية المختلفة، مما كان له أثره على كثير من المتغيرات في المجتمعات الإنسانية.

ووسائل الاعلام الحديثة تفتح تطلعات الشباب وطموحاتهم إلى مدى لم يألفه آباؤهم

وتعتبر التكنولوجيا دراسة للوسائل الفنية التي تشتمل على مجموعة كبيرة من الأشياء المادية، ولهذا فإن مضمونها يتجه إلى الثقافة المادية ولكن حقيقة الأمرأن التقدم التكنولوجي له آثاره على أساليب التفكير وعلى العلاقات الاجتماعية وعلى تنظيم المجتمع وعلى تطور القانون... وهكذا فإن التأثير التكنولوجي يؤدي إلى آثار مصاحبة أو مشتقة على هيئة سلسلة مترابطة الحلقات .

فالتقدم التكنولوجي بعد اكتشاف القوى المحركة كانت له آثاره على حياة الناس وحياة المجتمع، فانتقل الناس بفضل ذلك من البيئة الطبيعية إلى البيئة الصناعية مما أدى إلى تغييرات كثيرة في أنظمة الحكم والتشريعات المختلفة والعادات والتقاليد وغير ذلك مما يحكم علاقات الناس بعضهم ببعض وما ينتج عن ذلك من وسائل حضارية وثقافية مختلفة انعكست على المجتمع في جزئياته وفي كلياته فتأثر بها بناء المجتمع وتأثرت بها أنماطه المختلفة متمثلة في هيئاته ومؤسسات وعلاقات أفراده وارتباطاتهم وحدود أنظمتهم الاجتماعية وما تقضي به قواعد حياتهم المكتوبة منها وغير المكتوبة.

المشكلة الثقافية التي حدثت في المجتمعات العربية والإسلامية نجمت عن الاحتكاك سواء عن طريق الغزو أو الاقتباس.

يعتبر اقتباس التربية الغربية دون ربط كافٍ لهذه التربية بالقواعد والأسس التربوية القومية التي تشمل دين الشعب ولغته وتاريخه القوميين والفنون والآداب المحلية، السبب الرئيسي في قيام ثنائية في الكيان الاجتماعي والفكري للشعب.

إذ من الواضح أن وجود جماعة من أبناء الشعب يفكرون ويتحدثون بلغة غربية أجنبية وبأساليب جديدة وسلوكيات دخيلة لتأثرهم بالمسلسلات الأجنبية وتقمصهم لشخصياتها ثم وجود ـ في نفس الوقت ـ فئة من الشعب ذاته تفكر وتتحدث بأساليب جديدة مما يؤدي إلى فقدان الوحدة، والانسجام الفكري والثقافي بين أبناء الأمة العربية.

أثر التلفاز على أوقات القراءة

إن التلفاز له الأثر الأكبر على القراءة والاطلاع حيث البحوث التي أجريت في هذا الشأن تؤكد أن التلفاز قد أدى إلى نقص ساعات القراءة

بوجه عام فينبغي أن تراعي الأسر ذلك والمؤسسات التربوية.

وسائل الإعلام وأزمة المعلمين:

إن القرن العشرين حافل بمجموعة من المتغيرات جعلت الظروف كلها ضد المعلم، وأول هذه المتغيرات ذلك التقدم العلمي التكنولوجي الهائل الذي جعل التربية عاجزة عن ملاحقته في الوقت الذي يجب أن تكون هي «رائدة» له مما جعل المعلمين يحسون (بالعجز وبالدونية) معا ذلك التعقد السريع الذي أدى (إلى ارتفاع أسهم) وسائل أخرى بديلة كالإذاعة والصحافة والتلفاز التي صارت بالفعل مؤسسات تربوية بالدرجة الأولى وهي تفعل اليوم السحر في كل البلاد المتقدمة والمتخلفة على السواء، وإن تباينت رسالتها حسب ظروف كل بلد مما يجعل أساليبها تختلف باختلاف ظروف كل بلد.

ومازالت بعض البلاد العربية ليس لديها فلسفة واضحة للتربية مما أدى إلى ظواهر مرضية جسيمة وفقدان المعلم فاعليته لوجود الهوة والفجوة والتناقض بين ما يقال وما يمارس فالمعلم يعلم طلابه قيما وتقاليد بالإضافة إلى ما يكسبه المجتمع للأفراد، ذلك التعلم الذي يتم مع وقت غير قليل في نفس الوقت تقوم وسائل الإعلام بفعلها الساحر بمحو هذه القيم.فمثلا بينما تنمي المدرسة قيمة الوقار والاحترام تقوم وسائل الإعلام بشتى وسائلها بدحض هذه القيمة وبث قيم بذيئة.

فالمعلم يعد فاقدا لدوره الفعال خصوصا مع غياب فلسفة تربوية مشتقة من تراثنا الروحي الخالد المستمد من الإسلام السمح.

سبل تحديث الإعلام

ينبغي ترشيد وسائل الإعلام والدفع بها كي تكون بمثابة النبع التربوي الأصيل للمساهمة في بناء جيل يتميز بالولاء والانتماء للدين والوطن عن طريق: أسلحة البرامج الإذاعية المرئية والمسموعة على السواء وفي نفس الوقت حتمية إتاحة المساحة الأكبر للبرامج الدينية الهادفة والتي تبث تأصيل القيم الدينية والإنسانية الفاضلة مما يشير إلى وسائل التربية الإسلامية في العصر الذهبي للإسلام عن طريق وسائل الإعلام حيث يتم تبليغ الدعوة بأسلوب يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة.

أجهزة الإعلام والقيم الدينية:

وقد دأبت أجهزة الإعلام على مناقضة الدين والتشكيك في قيمه تصريحا أو تلميحا أو سلوكا باسم (الفكر المفتوح) فشجعت به استيراد ايدلوجيات أجنبية وضعت لمشاكل لا توجد في مجتمعاتنا الإسلامية ودلت التجربة في تطبيقها هناك في بيئتها وظروفها على إفلاسها في علاج ما وضعت له بالإضافة إلى ما تخلفه من مشاكل جديدة اجتماعية واقتصادية. وعلاج هذه السلبيات أن ترتدي هذه الأجهزة — إن أرادت خيرا وإصلاحا ـ المنظار الإسلامي وتنظر به من خلاله إلى جميع القضايا والموضوعات والأخبار التي تقدمها، ومن خلال المقاييس الإسلامية الصحيحة ـ بدعم وسائل الإعلام بالكوادر العلمية المتخصصة ذات الأرضية الإسلامية الصحيحة والقادرة على إصلاح وإحداث التغيير المطلوب — بتخطيط علمي وهدف واضح واستراتيجية محددة ونظرة شاملة، ومن هنا: تتحول وسائل الإعلام من وسيلة لمضيعة الوقت وغرس أنماط سلوك غير مرغوبة إلى منبه يفتح العيون والأحاسيس على الحقيقة ويدعو كل قارىء ومستمع ومشاهد إلى ساحة الرأي، ويدعو كل عقل معطل إلى مائدة الفكر وإلا لن يفيد وعظ ولن يجدي تعليم إذا أرخى العنان لوسائل الإعلام المختلفة أن تلهو بالقيم فتهدم في ساعات ما يبنيه التوجيه في شهور.

دور الأسرة في مواجهة سلبيات وسائل الإعلام:

لاشك أن مهمة الوالدين اليوم أشق بكثير منها بالأمس، فقد زاد شعورهمابجسامة المسئولية الملقاة على عاتقهما، كما اتسع نطاق هذه المسئولية فلم تعد التربية مجرد اطعام الطفل وتعويده الطاعة العمياء، لما يقوله الكبار، بل أصبحت تكوين شخصيات وتزويد الفرد بالأساليب الناجحة للكفاح في الحياة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أصبح الأطفال المراهقون أكثر تحررا وجرأة نتيجة تعرضهم لمؤثرات خارجية لم تكن معهودة بالأمس مثل: الإذاعة والسينما والتلفاز والصحف وزيادة الاختلاط وهذا يتطلب مزيدامن الرقابة لحمايتهم مما قد تنطوي عليه هذه المؤثرات من نواحٍ خارجية، وعلى الإسرة تنمية الحوار والنقاش المفتوح الذي يساعد على تكوين فكر مرن لدى أبنائها وتقوم بمساعدتهم في تنمية القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ والحلال والحرام عن طريق الاقناع لا عن طريق الفرض.

أدى التقدم التكنولوجي إلى هجرة بعض الظواهر الاجتماعية وانتقالها من مجتمع إلى آخر

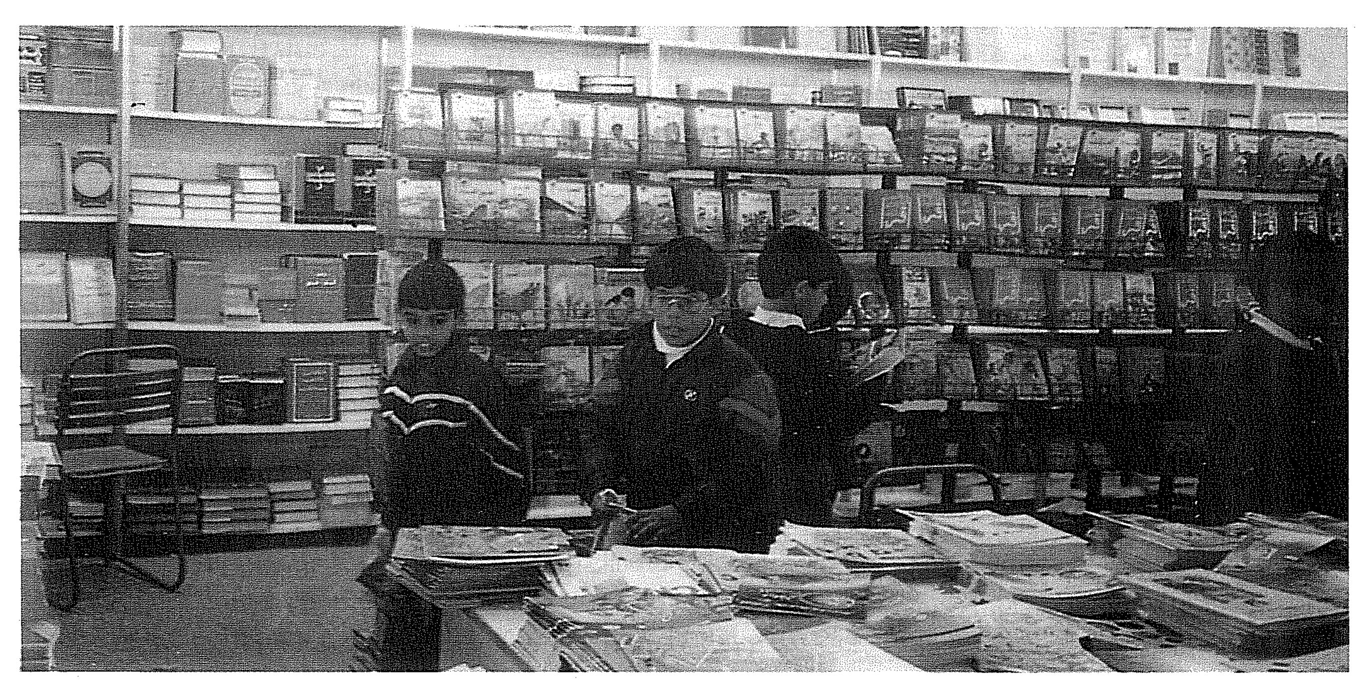
يجب أن يكون الوالدان الذين هم ربان الاسرة بمثابة القائد الذكي الذي يستطيع أن يسيطر على أفراد جيشه حتى يكسب المعركة. كما ينبغي أن تحمي الأسرة أبناءها من معركة الصراع والتطور السريع المشوب بالأشياء الدخيلة التي تفسد عقول أبنائها وتقودهم إلى الانحراف والانحلال.

لذا يجب أن نراقب الأبناء وقت مشاهدة التلفاز وأن نوجههم بالاقناع بأن هذا الشيء مفيد لذا نشاهده وأن هذا الشيء خليع ولا يتعلق بالعقيدة والمعتقدات فنجعلهم يتركونه ولا يشاهدونه..

هكذا تنمي الأسرة الضمير الواعي المتقد لدى أبنائها ومن ثم بعد ذلك يقوم الأبناء بتوعية الآخرين.

دور التربية:

إن وسائل الإعلام في عصر (التقدم التكنولوجي) ساعده على وجود التغير الثقافي ـ لذا يجب أن توجه التربية مسيرة هذا التغيير، فالتربية المدرسية يجب أن تكون وثيقة الصلة بالقوى التي تحدث التغير الاجتماعي بالحاجات التي تنبثق عن التغيير فيجب أن تسهم بإيجاد التكيف المنشود مع هذا التغير وصولا به إلى بناء اجتماعي جديد، ولكن هذا التغير وهذا البث في الدول النامية يجب أن يكون دور التربية فيه مضاعفا



حيث نأخذ القدر الذي يتناسب مع طبيعة المجتمع وأفراده وما يفيدهم في تنمية خبراتهم ومهاراتهم التي تثير فيهم نوعامن التطلع إلى مستويات حياتيةمماثلة، فإن على التربية أن تقوم بتبصير الأفراد وتوعيتهم بمقومات التغيير في الدول الأخرى كي يتفهموا طبيعته ويقوموا بمقارنة واقعية بين ظروف مجتمعهم وظروف المجتمعات الأخرى. فيتمكنوا من تقويم أوضاعهم ومشكلاتهم في ضوء الموضوعية المحيطة بها ويحاولوا إيجاد حلول لها وصولا إلى التكيف المنشود.

ـ ولابد من وجود فلسفة تربوية واحدة من التراث الإسلامي والمجتمع لكي تبني على أرض الوطن العربي حضارة كحضارته القديمة الرائعة. وكالحضارات المعاصرة لم تبن واحدة منها بمعزل عن الدين برغم الشعارات التي صدروها إلينا عبر وسائل الإعلام وغيرها لنظل متخلفين كما يمكن أن تقهر التخلف في قلوبنا فيقهر على أرضنا.

ـ فالتخلف إذا خيم على القلب فإنه يلقى بثقله على الأرض وتكشف لنا التجارب والتاريخ ووقائع العصر ذلك:

لأن الإنسان إذا كان لديه الإحساس بأنه قادر على فعل الشيء ولديه الدافع فإنه سيفعله، وبذلك نستطيع مواجهة السموم التي تغزونا داخل عقولنا وأن نفيق من غفلتنا لحل مشكلاتنا كالأمية سواء أكانت علمية أم حضارية أم ايدلوجية أم أبجدية وغيرها من المشكلات. لذلك نستطيع بحق أن نقدم حلولا تساهم في قهر التخلف وبلوغ التقدم المنشود.

إن أي تغيير في أي جزء من النظام لا يعطي ثمارا مرجوة إلا إذا صاحبه تغير وتطور في بقية جوانب النظام، فالعمل التربوي كل متكامل ومن دون هذه الفلسفة التربوية الواضحة المشتقة من الإسلام سنظل نتقهقر لأن مشكلاتنا التعليمية والعامة ستتفاقم، يضاف إلى ذلك أننا نعيش في عصر لا مكان للمتخلفين فيه.

دور المعلم العربي في مرحلة التطور:

لاشك في أن تقدم الدول التي قطعت شوطا كبيرا على طريق النمو والارتقاء كان سبيلها إلى ذلك اهتمامها بالتعليم، كان ولا يزال طريقا للتقدم، وبخاصة في أعقاب الحروب والثورات وفي عالمنا المتغير، يتطور التعليم بصورة مذهلة، الأمر الذي يقتضي أن تتصدى الأمة العربية لتطوير إعداد المعلم من أجل بناء مجتمع عربي وعصري، وإذا كان التعليم يعتبر طريقا للتقدم فإنه ينبغي أن يتأثر باتجاهات العصر وبأهداف المجتمع الذي يتحمل مسئولية توجيهه، وكذلك بالنسبة للمعلم فإن إعداده من أجل تحمل مسئولية التوجيه في التعليم لابد من النظر إليه وإلى وسائل نموه على ضوء أهداف هذا المجتمع وخصائصه وتطلعاته العصرية.

وغنى عن البيان أن المعلم يعتبر من أهم العوامل الذاتية في تطوير التعليم وتمكينه من أن يكون أداة من أدوات التقدم والارتقاء في المجتمعات، ومن أجل ذلك:

أصبح التعليم من أهم الأمور التي تعني بها الدول وهي تندفع إلى طريق التقدم، الأمر الذي يقتضي أن نوجه اهتماما خاصا لقضية إعداد المعلم وتدريبه ومساعدته على توفير أفضل الظروف الممكنة لرفع مستوى الأداء في عمله.

وفي هذه المناسبة يتردد أمامنا سؤال عن مدى تصورنا لمعالم المجتمع والعصر الذي نعد المعلم له وبالتالي للأسس التي يمكن أن نستند عليها في إعداد المعلم ويمكننا تحديد هذه المعالم والأسس على ضوء الأمور الآتية:

> ينبغي ترشيد وسائل الإعلام والدفع بها كي تكون بمثابة النبع التربوي الأصيل

● أنه مجتمع يهدف إلى المحافظة على أفضل ما في تراثنا الثقافي والفكري والروحي والاجتماعي والقومي والديني.

● انه مجتمع يتبنى منهج البحث العلمي فيما يصادفه من مشكلات، متحررا من جميع القيود وخاليا من الأحكام الذاتية أو التحيزات أو الآراء العشوائية.

● انه مجتمع يحيا حياة تكنولوجية تتراوح فيها النظرية مع التطبيق والفكرة مع العمل، ويستطيع بفضلها أن ينهض باقتصاده وأن يضاعف من إنتاجه..

● انه مجتمع منطلق ومنفتح على غيره من المجتمعات.

● انه مجتمع يقوم على التخطيط الشامل لجميع نواحي الحياة ومناشطها

● انه مجتمع يعتمد على الطاقات البشرية الخلاقة لأن التقدم والارتقاء في صورته الأساسية ما هو إلا نتاج عقلي ومحصلة فكرية، تأتي عن طريق تخطيط دقيق.

-للتوجيه التعليمي والمهني للطاقات البشرية، بما يحقق الافادة منها وتنميتها إلى أقصى الحدود.

● والعالم العربي بحكم موقعه الجغرافي لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن العالم الذي يحيط به بل لابد وأن يتأثر بما حوله، وأن يؤثر فيه، وهذا يقتضي منه البحث عن وسائل المواكبة لهذا العصر واتجاهاته وإلا عانى من التخلف وسط مجتمع يتسم بسرعة التطور.

● لن نستطيع مواكبة العصر الذي نعيش فيه إلا إذا سعينا وراء الارتقاء بالتعليم على ضوء اتجاهات العصر ومتطلباته، وعلى الإنسان في العالم العربي أن يجابه تحديات العصر التي يعيشها الآخرون في مجتمع التكنولوجيا الحديثة.

ولاشك أن سيادة العلم والتكنولوجيا الحديثة تعني سيادة الاتجاه العلمي عند البحث في جميع المشكلات المرتبطة بالإنسان بل إن الصراع الدائر الآن بين المعسكرات المختلفة يتضمن صراعا علميا بين كل منها سعيا وراء تحقيق انتصار بفضل استخدام أحدث الأساليب العلمية.

● يواجه العالم العربي وسط هذا التطور السريع أعظم التحديات، فهو مازال يعاني من بعض مشكلات التخلف التي ورثها عن الماضي، من أمية إلى بعض الجمود في مستوى التعليم إلى غير ذلك ومازال هذا المجتمع يقف في مواجهة التقدم المذهل الذي حققته المجتمعات المتقدمة وإن كانت هناك بعض المحاولات للسير في طريق التطور إلا أنها تتعثر نتيجة لظروف اقتصادية أو اجتماعية تواجهها بعض البلدان العربية.

كما يمكن القول بأن محتوى التعليم في الوطن العربي لا يمكن التلاميذ من ممارسة التفكير العلمي السليم أو التطبيق العملي للمعرفة بينما التلاميذ في الدول المتقدمة يستمتعون بثمار التكنولوجيا الحديثة والتطبيق العملي في حياتهم اليومية، ومن هنا يأتي التناقض بين التعليم كنظام والحياة كواقع.

- لذلك كان لابد للتعليم في الوطن العربي من أن يوجه توجيها علميا وعمليا يمكنه من تنمية القدرات العملية والعقلية لدى التلاميذ ويجعله قادرا في الوقت نفسه على توجيه التلاميذ الى الأعمال الإنتاجية والابتكارية وبث الروح العملية فيهم وتدريبهم على التفكير العلمي لأن التقدم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع العصري يقوم أساسا على استغلال العلوم واستغلال المنهج العلمي واستغلال الموارد البشرية والاستفادة من القدرات المبدعة.

ولابد كذلك أن يقوم التعليم في الوطن العربي على نظرة شاملة لوظيفة ولمكانة القوى الاجتماعية والاقتصادية، كما لابد أن يقترن بالاتجاه العلمي وأن يكون وظيفيا وفعالا في حياة الأفراد والجماعات، وقادرا على مواجهة مطالب التغيير واحداثه ومشكلاته.

ولذا فإن التعليم في الوطن العربي يحتاج إلى هزة عنيفة لاستيعاب جميع الراغبين في التعليم كما يحتاج إلى نظرة شاملة تحقق له الجودة والفاعلية لمواجهة تحديات العصر، من تغير سريع إلى تقدم علمي إلى انفجار في شتى المعارف.

والتعليم في أشد الحاجة قبل كل شيء إلى المعلم الكفء الواسع الثقافة.. المعلم الذي تمتد معارفه إلى التغييرات الواسعة والمفاجئة في العالم المتطور، وهو أيضا في أشد الحاجة إلى المعلم الذي يستطيع أن يستخدم الخطط والمناهج والبرامج والوسائل أكبر استخدام لتحقيق أعظم عائد وهو أيضا في أشد الحاجةإلى المعلم الذي يستطيع بما أتيح له من فرص الاعداد والتدريب إحالة ما يخصص للتعليم من إنفاق إلى نوع من أنواع الاستثمار المباشر والعائد المجزي.

أي تغيير في أي جزء من النظام لا يعطي ثمارا مرجوة إلا إذا صاحبه تغيير وتطور في بقية جوانب النظام

ولاشك أن تحقيق التربية لوظائفها المتعددة وتحقيقها لجودتها وأهدافها لا يمكن أن يأتي إلا بكفاءة القائمين على توجيهها وحسن اعدادهم وتدريبهم على أساس من التخطيط العلمي السليم فرغم ما يستحدث في مجالات التعليم من وسائل وآلات وبرامج فإنه لم يتمكن بعد من تحقيق الغاية المرجوة منه ولن يتمكن من ذلك إلا بتوفير المعلم الكفء ويمكن الاسترشاد بما يصلح مما سلكته اليابان في هذا الشأن حيث يمكن الاستعانة بالوسائل السمعية والبصرية كاستخدام التلفاز كوسيلة تعليمية وتربوية لإثراء العملية التربوية ولتحقيق مجموعة من الأهداف المحددة وهي:

أ- جعل التعليم أكثر نجاحا في المدارس التي تعاني من ازدحام فصولها وعجز مواردها المحدودة

ب - مساعدة مدرس العلوم في التغلب على العقبات المختلفة وخاصة في الأجهزة والتسهيلات المختلفة التي لا تتوافر لديها.

ج - تدريب المعلمين داخل الخدمة وتوجيههم للاستخدامات الجيدة للوسائل السمعية والبصرية.

د- توجيه وتدريب الفلاحين وعمال المصانع وغيرهم من الشباب حتى يزداد إنتاجهم.

ويعتمد ذلك على توسيع الخدمات والإستعانة بممثلين من وزارة التربية ومديري المدارس والمعلمين. أما البرامج التي تتناول موضوعات دراسية معينة فتخططها لجان فرعية من وزارة التربية ومديري الجامعات والمعلمين والممثلين لاتحادات المشاهدين، على أن تخصص لجنة ثقافية للاذاعة والتلفاز حيث تقوم بعمليات تقويم وفرز للمعلومات التي ترد من المراسلات والاستبيانات وتتخذ ترتيبات معينة بوساطة هذه اللجنة واعداد مختارة من المدارس الابتدائية والمتوسطة والتي وافقت على

التعاون مع هيئة الإذاعة على المشاهدة المنظمة للبرامج وتقويمها وإعطاء تقرير من رد الفعل لدى التلاميذ ثم مناقشة منتجي البرامج.

نوعية البرامج وأهدافها:

أ) برامج رياض الأطفال:

وتعطى هذه البرامج مجموعة متنوعة من الموضوعات وبطرق مختلفة من حيث الإنتاج «فالبرامج الموجهة لمدارس الحضانة مثل: دعنا نلعب معا، ومسرح العرائس، واللعب مع الأنغام، تهدف إلى إثارة قوة الملاحظة والإبداع عند الطفل ــ كما تهدف بصفة عامة إلى الإسهام بالطرق المختلفة في الجوانب العاطفية والفنية لدى الأطفال مستخدمة في ذلك العرائس ومسرح الأطفال والأفلام والمسرحيات القصيرة.

ب) برامج للمدرسة الإبتدائية:

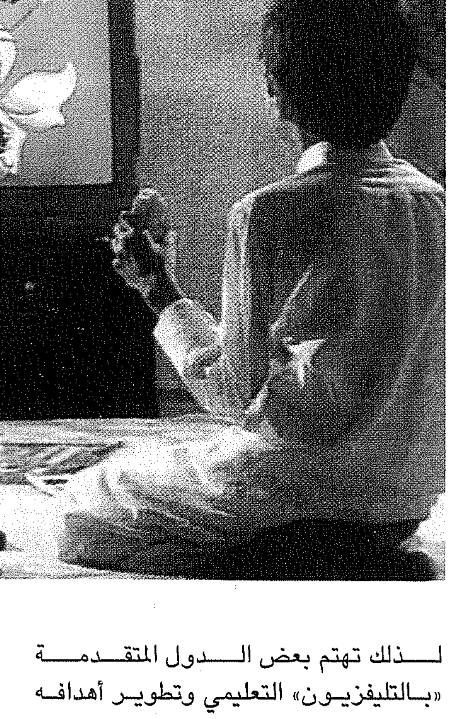
وهي تهدف إلى اتساع خبرة الأطفال العلمية وتنمية الذوق الموسيقي وتعطي معلومات تاريخية عن العلوم الاجتماعية في مجال التجارة وإنتاج البضائع مستخدمة في ذلك (برامج شيقة) مخططا لها على أسس علمية سليمة مثل برامج ــ ماذا، ولماذا، وكيف، وتسمع، وعن ــ وطرق حياتنا ومكتبة «التليفزيون» لتعليم الأدب الألماني.

ج) برامج المدرسة الثانوية:

وتهدف هذه البرامج في المقام الأول الجانب التعليمي الدقيق مثل برنامج رحلات «التليفزيون» الذي يتكون من سلسلة الدروس في الجغرافيا والتي تأخذ الطفل في رحلات بين الأقاليم العربية المختلفة على أن هناك أيضا عناية كبرى بخصوص الأدب الكلاسيكي العربي حيث تعرض حياة الكتاب الكبار بطريقة التمثيلية لتجسم للأطفال البيئة التي عمل فيها هؤلاء الكتاب، وكذلك المسرحية لتعريف التلاميذ باللغة العربية الأصيلة.

وتنتهي البرامج للمدارس الثانوية بسلسلة من الإذاعات عن الأعمال المستقبلية مما يرشد التلاميذ إلى ميادين العمل التي تقع أمامهم وتقدم جميع هذه البرامج بدقة حتى يمكن للإذاعيين العرب تلافي الجوانب السلبية للبرامج أولا بأول.

فالتلفاز في رأي بعض المربيين وسيلة لانعاش العملية التعليمية، وزاد من كفاءتها لاحضاره المادة التعليمية الحية إلى داخل الفصول.



لذلك تهتم بعض الدول المتقدمة «بالتليفزيون» التعليمي وتطوير أهدافه بصفة مستمرة وبتخطيط دقيق.. وتعقد آمال كبيرة على التوسع في التليفزيون المدرسي وخاصة مع تزايد استخدام أجهزة «الفيديو»، كما نحاول تحقيق أهداف جديدة في مجال «التليفزيون» التعليمي بصفة عامة مثل التدريب المهني الزراعي ونشر المقررات الجامعية بين الكبار فما أحوج الوطن العربي إلى الأخذ بأحدث هذه التطورات لتحقيق الطموحات التعليمية لأبنائه■

المراجــع

١ــ إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية (ط١). دار المعارف بمصر ١٩٧٩.

٢ــ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس (ط ١١). دار المعارف بمصر ١٩٧٧.

٣ـ أميمة منير جادو: القيم التربوية في بعض برامج الأطفال الإذاعية في مصر ماجستير ـ كلية التربية ـ طنطا ١٩٨٤.

٤ــ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس ـ المكتب المصري الحديث ـ اسكندرية ١٩٧٣

٥ـ السيد الشحات أحمد حسين: الصراع القمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية ـ دار الفكر العربي بالقاهرة.

٦ـ بيير البير: الصحافة ـ ترجمة فاطمة عبدالله محمود والألف كتاب (الثاني ٤٤ ط ١٩٨٧ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٧ـ سمير صبحي: كشكول الصحافة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢.

٨ـ سهير محمد بسيوني خلف: القيم المتضمنة في بعض برامج التليفزيون الموجهة إلى الأطفال في مصر ـ ماجستير ـ جامعة طنطا ـ ١٩٨٧.

٩ـ عبدالغني عبود: التربية ومشكلات المجتمع (ط١) ـ دار الفكر العربي.

١٠ــ فتحي الأبياري: الرأي العام والمخطط الصهيوني ــ دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية.

١١ـ محمد سمير حسانين: نظرات في مشكلات المجتمع من زاوية التربية (ط١) بمؤسسة سعيد للطباعة ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦.

١٢ـ محمد علي إبراهيم الأسود: تخطيط وتنفيذ وحدات تلفزيونية تربوية عن بعض أعلام العرب دراسة وصفية تحليلية* رسالة دكتوراه مع الفلسفة جامعة طنطا ١٩٨٠.

١٣ــ منصور حسين، كرم حبيب: التغير الاجتماعي والتعليم ــ مكتبة الوعي العربي بالفجالة.

١٤ـ منير المرسي سرحان: في اجتماعات التربية (ط٢) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨.

الصحافة الغربية وحملاتها ضد الاسلام

اعلام

يبدو أن حملات الإعلام الغربي ضد الإسلام لم تنته بعد ولم تخف وطأتها على الرغم من محاولات إظهار التسامح الديني والتأكيد على عنصر الحوار الإسلامي - المسيحي، وتبقى تغطية الإسلام في الإعلام الغربي ذات توجه عدواني يمس كل مجالات الدين الإسلامي ومختلف مقومات الحياة الإسلامية. وإذا كان الإعلام المرئي يشكل خطورة قصوى في مجال الدعوة على الغرب، فإن الإعلام المكتوب المستهدف للإسلام لا يقل خطورة عن ذلك نظرا لما يعرفه هذا الحقل الإعلامي من تطور كبير على مستوى النشر والتوزيع بشكل واسع.

بقلم: د. حسن عزوزي

في هذا السياق قامت الصحافة الغربية منذ بضع سنوات بحملات واسعة ضد الإسلام والمسلمين أشعلت فتيل الحقد والبغض الدفينين، وتم استنفار كل ما أمكن إعداده للتهجم على القرآن الكريم، والسنة النبوية والسيرة العطرة وغيرها، في سبيل إصابة المسلمات والبداهات ـ التي يؤمن بها المسلمون ـ بالجروح والكسور.

ولم يكن أولئك المغرضون لينتقدوا فرص القيام بذلك، فقد أتيحت لهم على مدى ست سنوات خلت مناسبات عدة استغلوها لإطلاق العنان لشتى طرائق التهجم والطعن وإثارة الشبهات(١)، فمن بداية صحوة إسلامية عارمة بالديار الغربية إلى قضية سلمان رشدي وكتابه الشيطاني، ومن تفاعلات قضية الحجاب بفرنسا إلى قضية استقبال المارقة البنغالية تسليمه نسرين بالسويد والتمكين لها فوق ترابه، وما رافق ذلك من حملات تشويهية ضد الإسلام والمسلمين.

والجدير بالتنبيه أن الصحافة الغربية لم يكن ليفتر نشاطها العدائي حيال الإسلام أثناء فترات غياب مثل تلك المناسبات، بل كانت بين الفينة والأخرى دائبة على تقديم وجبات إعلامية إضافية للقارىء الغربي تزوده من خلالها بما جد من محاولات الطعن والتشويه في حق الإسلام، وذلك من أجل الحيلولة بينه وبين كل أشكال الاستعداد لتقبل دعوة الإسلام.

> حملات الإعلام الغربي ضد الإسلام لم ولن تنتهي على الرغم من الحوار الإسلامي المسيحي

حملات مغرضة ومواقف معادية

في هذا الصدد كان من أبرز القرارات التي تمخضت عنها القمة الإسلامية السابعة التي انعقدت في الدار البيضاء منذ بضعة أشهر الدعوة إلى إبراز الصورة الحقيقية مع التصدي للحملات الإعلامية الغربية المكثفة والتي ما فتئت توجه ضد الإسلام والمسلمين، ومما لا شك فيه أن الإعلان عن مثل هذا القرار كان نتيجة لما عرفته الساحة الاعلامية في الأوساط الغربية من تغطية مشوهة لقضايا إسلامية تمس المعطيات الجوهرية لديننا الحنيف.

ولعل من أبرز الامثلة على ذلك الضجة الإعلامية الصاخبة التي اعقبت قرار طرد مجموعة من الفتيات المحجبات من المدارس الثانوية الفرنسية، حيث استغلت الصحافة الغربية وبخاصة الفرنسية منها هذا الحدث لكي تقدم الإسلام وحياة المسلمين في أبشع صورة وأكثرها قتامة. ومنذ بضعة أشهر تم بالسويد استقبال الكاتبة البنغالية تسليمة نسرين التي تهجمت على القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، وهو التهجم الذي استدعى ـ بشكل طبيعي ـ غضب جماهير المسلمين البنغال الذين دفعتهم حميتهم على الدين الإسلامي إلى المطالبة بمحاكمتها، مما جعل الكاتبة تفر خارج وطنها إلى السويد التي رحبت بها وعرضت عليها الجنسية السويدية.

والذي يهمنا في هذه القضية الطريفة، التي استغل الغرب بها الحدث من طرف الصحافة الأوربية والإعلام الغربي بصفة عامة(٢)، حيث إنه بمجرد أن وطئت أقدام

الكاتبة البنغالية أرض السويد تسارعت وسائل الاعلام المختلفة لاجراء استجوابات متعددة معها، وتقاطر مراسلو الصحف عليها كي تعبر لهم عن مدى انشغالها بالظلم والحيف الذي تعاني منه ـ حسب زعمها ـ المسلمات في شتى بقاع العالم الإسلامي.

ولقد استغل رجال الصحافة والإعلام هذا الحدث كي يعيدوا النظر من جديد في طرائق ومناهج حديثة من أجل تقديم وجبات إعلامية صاخبة وجذابة في الصحف والمجلات، يتم من خلالها توظيف أقلام ومواقف وآراء ثلة من الكتاب ينتسبون إلى الإسلام لما في ذلك من تأثير أقوى على القارىء الغربي الذي لن يتردد في الاقتناع بصدق مثل تلك الأحاديث والآراء مادامت صادرة عن أبناء الملة الإسلامية أنفسهم، خاصة إذا علمنا أن الصحافة الغربية توهم بأنها تضفي على مثل تلك الاستطلاعات والتحقيقات التي تجريها بخصوص تغطية الإسلام طابع الجدية والأمانة والموضوعية، ناهيك عن تشدقها بكونها تهدف إلى تنوير الرأي العام وتثقيفه من خلال مواد صحفية يحاول واضعوها أن يتقمصوا شخصية الباحث الأكاديمي الذي يتوخى استقصاء المعلومات والأفكار والإلمام بالمادة التاريخية المتعلقة بموضوع الملف أو الاستطلاع الذي يراد تحقيقه.

الصحافة الفرنسية

وفي هذا الصدد طلعت علينا الصحافة الفرنسية في الآونة الأخيرة بمجموعة من التحقيقات الصحفية والملفات الاستطلاعية ملؤها الحقد والكراهية وتشويه الحقائق الإسلامية الثابتة، فقد أنجزت مجلة (لوبوان le point) في عددها رقم ٥٠ لشهر أكتوبر الماضي ملفا عن السيرة النبوية جاء على صفحة الغلاف كعنوان جذاب (حياة محمد صلى الله عليه وسلم الحقيقية)(٣)، وقد حاول كتّاب الملف من خلاله إثارة وتشويه الوقائع الإسلامية ذات الارتباط العميق بعالم الغيب وأسباب الوحي مما يند فهمه عن قدرات العقل الغربي المادي ويستعصي عن التحليل المنطقي الاعتيادي المألوف لدى الغربيين، وهو ما يجعل القارىء الغربي لا يتردد في إبداء نظرة استغراب واستهتار، وقد تعمّد محررو الملف استقصاء كل الشبهات الواهية التي سبق أن نسجها المستشرقون ـ قدامى ومحدثون ـ في حق كيان السيرة النبوية. وإذا كان المستشرق لا يورد الشبهة إلا بعد أن يمهد بها لما يبرر النتيجة المبيتة التي يرمي إليها بكثير من المراوغة والتحايل وليّ أعناق النصوص، فإن الصحفيين الذين ينجزون مثل تلك الملفات والتحقيقات عن الإسلام يكتفون بإيراد تلك الشبهات مجردة من كل دليل مهما كان متهافتا، مما يجعل (التحقيق الصحفي) يبدو أشبه ما يكون باستعراض لحلقات ووقائع متناثرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يربط بينها أي رابط سوى كونها جميعا تمثل أهم محطات المستشرقين في كتاباتهم المغرضة عن السيرة النبوية.

ولا يتوانى محررو التحقيقات الصحفية عن الإسلام في تعزيز استطلاعاتهم باستجواب ثلة من الكتاب والمفكرين المسلمين ذوي الاتجاهات العلمانية والإلحادية بشكل يلبي رغباتهم من حيث الحصول على تصريحات ومواقف تشكل مغالطات وتأويلات فاسدة توافق وتؤيد ميولات وتوجهات الخطاب الإعلامي الغربي المناهض للإسلام، وتتسابق المجلات والصحف الغربية في سبيل استضافة أشهر هؤلاء الكتاب والمفكرين للتعبير بكل وقاحة عما يجيش في نفوسهم من امتعاض شديد وكراهية عميقة تجاه تعاليم الإسلام السامية ومبادئه السمحة. ولا نغفل في هذا الصدد التنبيه إلى كون المنابر الإعلامية التي تفسح لهؤلاء المنتسبين إلى الإسلام تعتبر أخطر المواقع تأثيراً وفعالية إن على مستوى الانتشار الواسع الذي تعرفه المجلات والصحف الغربية أو على مستوى طبيعة القراء الذين هم في غالبيتهم العظمى غربيون يحال بينهم وبين كل استعداد فطري لتقبل دعوة الإسلام.

وقد نشرت مجلة (لونوفيل أوبسرفاتور) (٤) الفرنسية ـ في عددها ٢٢٢٨ ديسمبر ١٩٩٤ ـ ملفا عن الإسلام تضمن لقاء مثيراً ومفتعلاً بين تسليمه نسرين في أثناء زيارتها الأخيرة لفرنسا وبين ثلاث فتيات محجبات من أصل مغربي استطعن بالرغم من صغر سنهن إفحام الكاتبة البنغالية أثناء مناظرتهن لها في قضايا تتعلق بالمرأة المسلمة، حيث استطعن إبراز تهافت ما تدعيه وتتهم به الشريعة

المستشرقون لا يعنيهم إلا الكتابة عن الإسلام وإثارة الشبهات والافتراءات حوله

الإسلامية.
إلى جانب هذا اللقاء الذي نظمته المجلة الفرنسية، تمت أيضا استضافة تسعة كتاب ومفكرين مسلمين انبروا (لدق ناقوس الخطر)، ولم يكن الخطر المزعوم في نظر هؤلاء سوى تلكم الصحوة الإسلامية العارمة التي ما فتئت تكتسح مواقع جديدة في عالم الغرب. ومن أجل الإثارة والتمويه لم تتردد المجلة في أن تعزز غلافها بعناوين براقة خادعة تثير فضول القارىء الغربي مثل (الإسلام ومقاومة الأصولية) و(تسعة كتاب مسلمين يدقون ناقوس الخطر).
ولعل في التكثيف الإعلامي من أجل الدعاية لهؤلاء الكتاب العلمانيين وفرضهم كمجتهدين - بل مجددين في إطار الإسلام يعتد بهم كمرجعية أساسية تستفتى في مسائل وقضايا الدين الإسلامي كلما حزب بدولة من تلك الدول الغربية أمر يدعو إلى ذلك - مصلحة كبرى لأعداء الإسلام من أجل توجيه أنظار الرأي العام المحلي والدولي إلى صيغة جديدة للتعامل مع تشكيلات الإسلام كدين ما فتىء يتغلغل داخل أوربا وأمريكا متجاوزا إطاره الجغرافي القديم.
ولعل هذا ما تروم أوربا تحقيقه حين نجد جل الدول الأوربية تدعو إلى (أوربة) الإسلام أو إلى ما أسمته جريدة لوموند الفرنسية في أحد أعدادها الأخيرة (٥) (Un Islam a la Franaise) أي (إسلام على الطريقة الفرنسية) مثلا.

ظاهرة الاستشراق الصحافي

إن الذي يهمنا بشكل أساسي من خلال هذا المقال الطرق التي تم بها عرض قضايا جوهرية مختلفة تتعلق بروح الإسلام وشريعته، وهي طرق متنوعة ومتعددة يجمع بينها عامل التحايل على النصوص التاريخية الصحيحة ولّي أعناقها وتقديمها بالتالي في شكل مثير وجذاب يجعل من كل قضية تمت إثارتها محطة للتأمل والاستغراب من طرف القارىء الغربي الذي سرعان ما يستنتج من كل ذلك صورا مشوهة عن الإسلام ومعطياته الخالدة.
قد يتساءل القارىء الكريم وبحدة عن هوية الكتاب الصحفيين الذين جندوا وراء كتابة ملفات وتحقيقات متنوعة عن الإسلام، وكذا عن طبيعة تكوينهم المعرفي وثقافتهم العلمية، وهل يمكن اعتبارهم مستشرقين ماداموا يظهرون للجميع أنهم باتوا يفهمون الإسلام ومادامت كل الشبهات والافتراءات المثارة هي عين تلك التي طالما رددها المستشرقون التقليديون للإجابة عن هذه التساؤلات تثير الانتباه إلى أن بعض المستشرقين المعاصرين كانوا أول من استغربوا ظهور تيار جديد من الصحفيين المختصين في تحرير المقالات والتحقيقات ذات الطابع الإسلامي، إنه (استشراق صحافي) يعتمد كثيرا على عامل الإثارة، ويهدف إلى إنضاج أبحاث تتسم بالطابع التجاري لتحقيق أكبر مستوى من الانتشار السريع بشكل واسع. إنهم صحافيون تخصصوا في منطقة الشرق بصفة عامة وفي الإسلام بشكل خاص، ولا يترددون في تغطية كل الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية الكبرى ذات الطابع الإسلامي على وجه السرعة والاستعجال مستنفرين كل الامكانات المتاحة مثل الاعتماد على كتب المستشرقين واستجواب كتاب مسلمين وذلك من أجل إضفاء أكبر قدر ممكن من المصداقية والواقعية على تحقيقاتهم واستطلاعاتهم.
وتميل دراسات القوم وأبحاثهم إلى كثير من السطحية والتعميم بالرغم من أن مستندهم الأساسي في إثارة الشبهات والافتراءات هو ما يكتبه المستشرقون المتخصصون.
ويعتبر الاستشراق الصحافي أحد افرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة التي ينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحافيين المختصين في شؤون الإسلام والمسلمين والذين يزودون مختلف المؤسسات والشبكات الإعلامية التابعين لها بمواد إعلامية يتم إنجازها وانضاجها بدقة متناهية لتلائم الأحداث السياسية والاجتماعية الراهنة، ولتناسب حاجيات القراء الذين لم تعد تستهويهم سوى المحطات الإعلامية الساخنة المعتمدة على الإثارة والجاذبية، ولم يع أولئك المستشرقون الأكاديميون الذي يشتكون ويتبرمون من ظاهرة الاستشراق الصحافي التي أصبحت تزاحم معاقلهم أنهم ساهموا بشكل أو بآخر في تكوين وتأهيل أولئك الصحافيين الذين ما فتئوا يقتاتون على موائدهم ويتزودون بأفكارهم وطروحاتهم المتهافتة، وهذا ما يتبين من خلال معظم التحقيقات والملفات التي ينجزها هؤلاء والتي يشيرون في ثناياها إلى أبرز مصادرهم الاستشراقية، وجل مؤلفيها ممن عرفوا بتعصبهم وحقدهم على الإسلام وتعاليمه(٦). ويبقى أولئك الصحفيون أبعد ما يكونون عن معرفة حقيقية بالإسلام ومجتمعاته، فهذا الصحفي الفرنسي الشهير بول بالطا (Paul Balta) الذي عمل طويلا في بلدان إسلامية مراسلا لجريدة (لومند) يقول وهو الأستاذ المحاضر في (مدرسة اعداد الصحفيين) بباريس (إن طلاب هذه المدرسة من حملة الإجازة في العلوم الإنسانية، وكم يؤسفني أن معظمهم لم يسمع بابن خلدون... فهم يقطعون مسافات في حياتهم من دون أن يلتقوا بالإسلام أو بالعالم العربي»)(٧).

الدور المشبوه لمراكز البحث الغربية

إن معظم هؤلاء الصحفيين يعززون مواقعهم الثقافية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول العربية، وهي دراسات تكون مقترحة وممولة من طرف محافل الاستشراق الحديثة ومراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية، ومن أشهرها بفرنسا مركز الأبحاث حول العالم العربي والإسلامي (IRAMAM) والذي يعتبر أكبر تجمع للمستشرقين الصحفيين المهتمين بدراسة المجتمعات الإسلامية.
والجدير بالذكر هو أن معظم تلك الدراسات يطبعها خطاب استشراقي ذو توجه جديد، ذلك أنه يرتكز بالأساس على البحث الميداني المبني على فهم تأويلات فاسدة متعمدة وعقد

أوروبا تدعوا الى أوربة الاسلام على الطريقة الفرنسية؟!!

مقارنات خاطئة. وهؤلاء الدارسون الصحفيون إنما يبحثون ويكتبون أساسا طبقا لمقاييس ومواصفات ومناهج صاغها المستشرقون في كتاباتهم المغذية للأبحاث والمقالات الصحفية. ومما يلفت الانتباه أن مراكز البحث هاته تحرص على تقديم منح دراسية مغرية لطلبة الدراسات العليا من أبناء المسلمين من أجل استغلال الكفاءات العلمية المقتدرة وترشيحها للقيام ببرامج البحوث الميدانية المشتركة في الدول الإسلامية، وهكذا شاء الباحث أم أبى فإنه يتم تحويله — رغم أنفه — إلى (خبير منطقة) يخدم أهداف ومصالح الاستشراق الصحفي من حيث يشعر أولا يشعر، ومن أجل ذلك فإنه لا يتم ابتعاثه إلى الدولة الإسلامية موضوع البحث والدراسة إلا بعد أن يلقن ويشحن بجهاز من الأفكار المسبقة والمقولات الخاطئة في حق الشريعة الإسلامية، وكثيراً ما يرسل المستشرق الصحفي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أي إعداد أو خبرة تؤهله للمهمة المنوطة به، بل يكمن المؤهل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء بسرعة. ومما يلاحظ أن دراسات وأبحاث هؤلاء تعتبر الأصل والركيزة الأساسية التي تعتمدها وتستغلها مختلف وسائل الإعلام الغربية التي لا تتوانى في أن تضفي على الصورة المشوهة عن الإسلام والتي كونها أولئك الصحفيون نوعا آخر من التضليل والتعمية والتمويه. وهكذا تزود الصحافة الغربية مستهلكي الأخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الإسلام وواقع المسلمين دون أن تشعرهم بأن القسط الأوفر من تلك التغطية إنما تقوم على مادة إعلامية هي أبعد ما تكون عن الموضوعية والنزاهة. وهكذا تتم تغطية الإسلام في الصحافة الغربية عن طريق اعتماد حفنة من الكليشهات البالغة التعميم والرائجة الانتشار.



ضرورة الجهاد الإعلامي

يبقى التساؤل عن موقفنا إزاء هذا التحدي الإعلامي الصحافي الصاخب الذي يمس أعز مقدساتنا وقناعاتنا، وهو تحد خطير أصبح يطال في الآونة الأخيرة جوانب كثيرة تتعلق بحياة المسلمين ونشاطاتهم السياسية والفكرية وغيرها التي ما فتىء الإعلام الغربي يوصمها بالإرهاب والعنف والأصولية والتطرف وغيرها من المصطلحات القادحة التي يتم تعميمها والترويج لها قصد التهويل والتحريش.... إنه تحدٍّ فرض علينا المواجهة والتصدي من جهة قصد الحد من تلك الحملات الإعلامية الخطيرة التي لا تكاد تفتر عن محاولات تشويه الإسلام وحياة المسلمين بشتى الطرق، من جهة أخرى علينا ألا نبقى دوما في موقع الرد والدفاع، بل لابد من القيام بأعمال وأبحاث ودراسات بنائية تهتم بتلميع صورة الإسلام الناصعة. والكشف عن أصوله وتعاليمه ومبادئه السامية، وإبرازها للرأي العام الدولي بشكل يلائم التطور الإعلامي الحديث، عسى أن يحقق ذلك نوعا من التأثير على صناع القرارات الإعلامية الغربية في سبيل الحد من ذيوع تلك الحملات المغرضة والتعديل من أسلوب التهجم والاستفزاز الذي يطبعها. ذلكم إذاً جهاد إعلامي واجب، بل هو فرض كفاية يتحمل مسؤولية القيام به كل من أوتي بسطة من القدرة على ذلك، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه البخاري ■

> الاستشراق الصحافي يعتبر أحد افرازات المؤسسة الحديثة للاستشراقية الخاصة بشؤون المسلمين

الهوامش

(١) انظر على سبيل المثال:
Noy 1989) ٨٩٣, ،le point (N –
Mai 1989) ١٩٧٥, ،- L'Express (N
– ١٢٧٢ ،- Le Nouvel observateur (N
١٣٠٣ – ١٣٠٤)

(٢) انظر مقالنا: (قضية نسرين والموقف الغربي) بجريدة (المسلمون) العدد ٥٠٥، أكتوبر ٩٤.

oct 1994): La ١١٥٠, ،(3) Le Point (N
vraie vie vie de Mahamet.

٢٢٢٨, ،(4) Le Nouvel observateur (N
سيsistance ضرDec 1994): ISLAM: La r
grisme.ضرl'int

(5) Le monde (14 oct 1994).

(٦) من أبرز هؤلاء المستشرقين الذين يذكون فتيل الحقد والتشويه عبر الصحافة الغربية: مكسيم رودنسون الفرنسي وبرناردلويس البريطاني وبرونواتيان وجيل كيبل الفرنسيان.

(٧) جريدة المحرر الباريسية عدد ٢٧٦.

الوحدة الوطنية بين الواقع والمأمول

قضايا اجتماعية

من قال ان الدين لله والوطن للجميع «قصرت أبصارهم وبصائرهم عن إدراك ماهية الوحدة، فأبت ألسنتهم وأفئدتهم إلا شطر الحقائق» لأن الدين لله وللوطن معا.. كما أن الدين والوطن كلاهما لله، ففي الوطن تنصهر قلوب أهل الديانات جميعا في معين التوحيد ـ الله.. الرب.. الإله ـ ليحتضنهم في النهاية «الإسلام» فيظلهم بروحه، ويسبغ عليهم سماحته بما حواه من رحمة إلهية، ليستحيل أصحاب الديانات بها للمسلمين إخوة في الإنسانية، فاتحدت الأفئدة على كلمة (الحق) وتشابكت الأيدي، وتلاقت العقول لتحقيق هدف الخلق، فكانت عمارة الأرض، وكان الصالح العام، والخير الشامل، والعدل المطلق.

بقلم: د. نزهة طلعت

وحدة اللاعصبية

قامت الحياة الإنسانية في بدايتها على الغلبة عن طريق (العصبية) في الأسرة والقبيلة والكثرة العددية في الجماعة، حيث درج بعض الناس في أوضاعهم البشرية المختلفة على اتخاذ العصبية ـ سواء أكانت عرقية أم دينية ـ الأساس الأول في تكوين الجماعات، وهذه العصبية ماهي إلا وليدة نزعات خاصة تودي بالبشرية إلى مهاوي الردى، فيها يذوى الضمير العالمي وينسى الرحم العام، ومن ثم تدرك دعائم التعاون والسلام والوحدة ويقضي على المصلحة العامة ويستحيل أفراد الإنسان وجماعاته مجرد كائنات غابية يفتك بعضها ببعض.

وجاء الإسلام فنهى عن العصبية وغيرهامن المبتدعات البشرية وما يسمى بالتجمع الإنساني ودفع كل ما من شأنه بث روح التفرق والعداوة وكل ما يقضي على روح الوحدة والأمن والاستقرار، لتدور الإنسانية، مهما كانت اتجاهاتها في فلك الدين الإلهي الواحد... فتسري إليها وحدته ويقوم الوطن على عمار لا خراب، وإصلاح لافساد، وعدل لا ظلم.

وحدةالأديان قبل وحدةالأوطان

لقد أدى اختلاف عقول الناس في تفهم ماهية الدين،وتعرف هدفه ومصدره إلى حدوث الفرقة فيما بينهم،وتعدد الأديان في الوطن، والدين الذي ارتضاه الله لعباده منذ أن خلق الخلق إلى يوم البعث.. دين واحد لا يهودية فيه ولا نصرانية ـ وهو الإسلام: ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾ [آل عمران: ١٩] وهو ليس دينا مستحدثاً دعا إليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحده، بل دعا إليه جميع الأنبياء والرسل على اختلاف العصور والأزمنة والأمكنة وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء، ولقد أوضح القرآن الكريم هذه الوحدة الإيمانية بين الرسل والأنبياء جميعا فبين أن طريقهم وغايتهم واحدة: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[البقرة: ١٣٦]

وهذا نبي الله يعقوب يوصي بنيه: ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾: البقرة/١٣٢ وأبناؤه يجيبونه ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾.. البقرة/١٣٣ولقد بينت السنة النبوية هذه الوحدة العقيدية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون:هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة،وأنا خاتم النبيين»(١)

فإذا كانت كلمة «الإسلام» قد أصبح لها في عرف الناس معين هو مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، أو التي استنبطت مماجاء به ـ كماأن كلمة اليهودية أو الموسوية تخص شريعة موسى وما اشتق منها، وكلمة النصرانية والمسيحية تخص شريعة عيسى وما تفرع عنها(٢).. إلا أن الرسالة الإلهية في لبها واحدة، واختلافها هو اختلاف في جزئيات تختص بالأحكام، ولا تؤثر في تلك الوحدة الكلية(٣).

كما أن تعدد الأنبياء لم يكن لتعدد الأديان التي جاءت من عند الله، وإنما كان تعددهم يدور وجوداً وعدماً مع بقاء الدين الحق بين أيدي الناس واندثاره من بين

أيديهم(٤)..ولـذا كانت وحدة الدين عنـد الله عقيـدة أسـاسـيـة عنـد كـل مسلم. يقـول الـرسـول ــ صلى الله عليـه وسلم ــ: «إنـا معاشرالأنبيـاء إخوة لعلات واحـدة، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد». متفق عليه.

حقوق وحريات تحت ظلال الإسلام

احترم الإسلام الإنسان وكرمه من حيث كونه إنسـانـا، ولكي يكون هـذا التكـريم حقيقـة واقعة.. وأسلوبا في الحياة، فإنه كفل له جميع الحقـوق والحريات،وأوجب حمايتهـا بغض النظـر عن جنسـه ولـونه، ودينـه، ووطنـه، وقـوميته.. وشملت هـذه الحقوق إلى جـانب المسلمين كل أصحـاب الديـانات السماويـة الأخرى،حيث كـان من حق غير المسلمين من رعـايا الـدولـة الإسلاميـة ــ بعد أن يـؤدوا ماعليهم مـن حق الاعتراف بسلطان المسلمين وأداء الجزية ـ الوفاء بعهدهم فلا يؤخذ منهم زيـادة على ما عـوهدوا عليـه ــ يقول عليـه الصـلاة والسـلام:«لعلكم تقـاتلون قـومـا فتظهـرون عليهم فيتقـونكم بأمـوالهم دون أنفسهم وذراريهم فيصـالحونكم على صلح، فـلا تصيبوا منهم فـوق ذلك،فإنـه لا يصلح لكم» رواه أبو داود ويقول أيضا: «وإن الله تعـالى لم يحل لكم أن تـدخلـوا بيـوت أهل الكتـاب إلا بإذن ولا ضرب نسـائهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوا الذي عليهم» رواه أبو داود ـ كما يقول عليـه الصلاة والسلام: «من ظلم معاهـدا أو انتقصه أو كلفـه فوق طـاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسـه فأنا حجيجه يوم القيامـة» بالإضافة إلى عـدم إجباره على تغيير دينــه، وألا يجادل إلا بـــالتـي هي أحسن»(٥)

حقوق غير المسلمين في أرض الإسلام

على ضـوء هـذه الحقوق العامة وتبعـا للواقع المعاش.. فإنه يمكـن تحديد أهم حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية كما يلي:

١ــ حـريـة العقيـدة: إن الحريـة الفـرديـة بمفهومها المعاصر، لم تعرف في العالم القديم الذي خضـع لأسـاليب من الحكم استخدمت القوة والقهـر لإخضاع الشعـوب والإنسان لسيطرتها ونفوذهـا ومصـالحها(٦) وتشمل حـريـة الإنسـان فيما تشتمل على حـريـة العقيــدة والتي تعنـي حق الأفـــراد في أن يعتنقوا ما يطيب لهم مـن المبادىء والعقائد دون تـدخل من الـدول، وتستعمل عـادة مـرادفا للحـرية الـدينيةوتمتـد لتشمل حق إقامة الشعائر الـدينية داخل أماكن العبادة وخارجها.(٧)

والحرية يحدهـا إطار اجتماعي يمنـع تعدي الناس على بعضهم بعضـاً، لأن هذا العدوان يعـد هضما لحريـة الآخـرين.. ولهذا قـرر الإسلام المساواة بين الذميين والمسلمين فلهم مـا للمسلمين وعليهم مـا عليهم، وكفل لهم حريتهم الدينية التي تتمثل في عدم إكراه أحد منهم على تـرك دينـه أو إكراهـه على عقيـدة معينة..يقول الله تعالى: ﴿لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغـي﴾ [البقرة الآية ٢٥٦] ـ وتاريخ الإسـلام في عهوده كافـة يشهد بأن المسلمين بهدى القـرآن الكريـم لم يفرضـوا دينهم على أحد في البلاد التي فتحـوها، وأنه كـان من حق أي إنســان أن يظل على دينـه مهما كان هذا الدين، وتقوم الدولة بكفالة هذا الحق والدفاع عنـه(٨) ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس الآية ٩٩].

أما بـالنسبة لموقف الرسول صلى اللـه عليه وسلم الـذي بعث داعيـا إلى الله. فإن القـرآن الكـريم يؤكـد أن رسالتـه لا تتجه إلى القهـر والضغط لفرض الدين،ولكن دوره يقوم على تنـويـر النـاس، وحثهم على التفكير في أمـر الحياة، ليختاروا لأنفسهم أي اتجاه يتجهون إليـه في مجال الاعتقاد، فـاللـه تعالى يقـول لرسوله الأمين: ﴿ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبـادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشـورى الآيـة ٥٢] ثم يقـول تعـالى تأكيـداً لهذا المبدأ: ﴿فـذكـر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر﴾ [الغاشية الآية ٢١ و٢٢] ثم يقـول لـرسولـه: ﴿وجـاد لهم بـالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥] ويقـول أيضاً: ﴿ولـو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمـران: ١٥٩] والتزم النبي بتـوجيهات ربـه وعرفـه أهل الكتاب سمحـا عـادلا. فلقـد أراد وفد نجـران أن يـدخل على رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم وكـان دخولهم عليه بعد العصر، وحانت صلاتهم، فاتجهـوا إلى الشرق، فأراد بعض المسلمين أن يمنعهم من الصــلاة على حسب عقيــدتهم النصرانية داخـل مسجد رسول اللـه.. ولكن النبي السمح الكـريـم قـال لهؤلاء: دعـوهم. فصلوا مطمئنين، ثم بدأ حـوارهم مع رسول الله(٩)؟

> الحياة الإنسانية في بدايتها قامت على الغلبة عن طريق العصبية في الأسرة والقبيلة والكثرة العددية في الجماعة

٢ـ حق الأمن والحيـاة: ففي مختار الصحاح نجـد أن الأمن ضد الخوف (واستأمن إليـه) دخل في أمـانـه ــ وقولـه تعالى: ﴿وهـذا البلد الأمين﴾ قال الأخفش: يريـد البلد الآمن وهو من الأمن (١٠) ويصـح أن يقـال إن كلمـة المسلم أو الإسلام المتعارف عليه هو الأمن من وقوع الحرب.

ويفسر الشيخ «عبدالرحيم فودة» ذلك بقوله: «لأن معنى الإسـلام لم يعـد مقصـوراً على الصلح أو السـلامــة من أذى الحرب، وانما يشمل كـــذلك السكينــة والطمـأنينــة والاستقــرار»(١١) ومن هنـــا يـأتي حق الإنسان في الأمن على حياته وماله وعـرضه، وهـو مـا عبر عنــه ميثـاق الاطلنطي بمبـدأ التحرر من الخوف، والأمن في الإسلام غرض من أغراضـه العامـة ومقصد من مقـاصده، ويفهم من قولـه تعالى: ﴿لا ينهـاكم الله عن الذين لم يقـاتلوكم في الـدين ولم يخرجوكم من ديـاركم أن تبروهم وتقسطــوا إليهم﴾ [الممتحنـة: ٨] إن الإسـلام يتـوخى العـدل والخير حتى فيما يكون بين المسلمين وغيرهم ممن لا يدينـون بدينهم، ولـذا كانت عـلاقة المسلمين بغيرهم من أهل الكتـاب قائمـة على مبـدأ «الأمن»، لأن الحيـاةحق للبشر جميعـا ولقد أكد الإسـلام هذا الحـق.. واعتبر الاعتداء على حياة الأفراد بغير حق كالشرك بالله.

حيث إنـه لا يحل الاعتداء عليهـا إلا في حالـة واحـدة إذا قتل الفرد غير عـامداً متعمـداً أو فسد في الأرض يقـول الله تعـالى: ﴿من أجل

ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾ [المائدة: ٣٢] (١٢) وعلى ذلك نجد أن الإسلام لا يطلب من غير المسلمين إلا أن يكفوا شرهم عن دعوته وأهله، وألا يثيروا عليه الفتن والمشاكل، فإذا احتفظوا بحالة الأمن أو السلم هذه للمسلمين فإنهم يكونون إخوانا لهم في الإنسانية يتعاونون على تحقيق الخير والصالح العام.

٣- حق الجوار: يتسع حق الجوار في الإسلام ليشمل إلى جانب أخوة الدين بين المسلمين أخوة الإنسانية بينهم وبين غيرهم من أهل الكتاب. فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما» وقال أيضا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه» - رواه البخاري.
وليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى مع الرفق وإسداء الخير والمعروف قال هشام: (كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك)، وقال أبو ذر رضي الله عنه «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال: «إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها» رواه مسلم(١٣) وإلى جانب ذلك فإن للذمي الحق في أن يأوى إلى أي مكان وأن يسكن في أي جهة، وأن ينتقل في الأرض دون حجر عليه، أو وضع عقبات في طريقه، ولا يجوز نفيه أو سجنه، الا في حالة الاعتداء على غيره، أو الإخلال بالأمن وإرهاب الأبرياء.(١٤)

٤ - حق العمل والتملك: يمثل حق العمل والتملك لأهل الكتاب أحد الحقوق الأساسية وهو ما يطلق عليه في هذا العصر «بالحرية الاجتماعية» ويعني بها تحرر الإنسان من العوز والحاجة التي تشكل ضغوطا اقتصادية عليه وتؤثر على حريته في مجالات الفكر والرأي والتعبير، وتسلبه كرامته، وتخضعه لألوان من الضغط تشل إرادته(١٥) وإذا كان الإسلام يدعو إلى العمل والكسب والاستمتاع الطيب بثمراته: ﴿ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ [البقرة: ٢٦٧] فقد حفظت هذه الدعوة لغير المسلمين ممارسة هذا الحق، حيث أباح الاسلام مبادلة أهل الكتاب بالبيع والشراء وغيرها من المعاملات فمن الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي في دين له عليه.. قال صاحب البدائع: «ويسكنون في أمصار المسلمين، يبيعون ويشترون لأن عقد الذمة شرع ليكون وسيلة إلى إسلامهم وتمكينهم من المقام أبلغ في هذا المقصود، وفيه أيضا منفعة المسلمين بالبيع والشراء».. وإلى جانب حق العمل فلقد أقر لهم الإسلام حق الملكية الخاصة، وأقر حق المالك في مواريث أبنائه ما كسب من مال في حياته.
وفي الميراث سوى بين الذمي والمسلم فلا يرث الذمي قريبة المسلم ولا يرث المسلم قريبه الذمي(١٦) وكما أن النفس معصومة فكذلك المال. هذه هي تعاليم الإسلام في تقرير بعض حقوق أهل الكتاب، وهي تعاليم فيها الخير والصلاح للوطن جميعه، وأعظم ما فيها أنها سبقت جميع المذاهب التي تحدثت عن حقوق الإنسان.

على هامش القضية

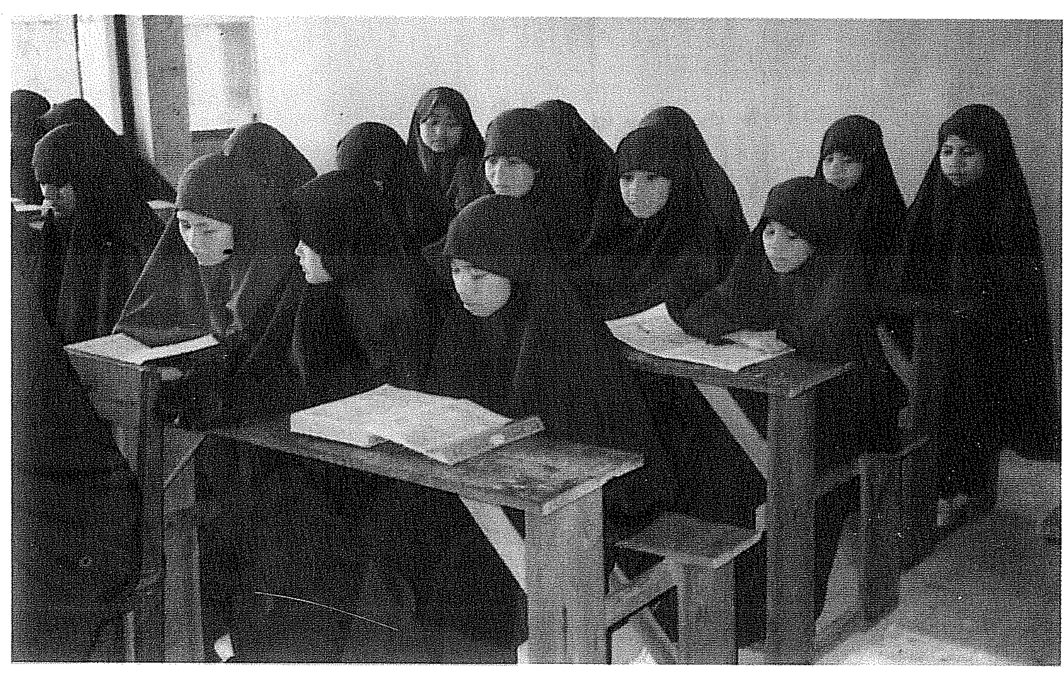
العنف.. وواقع الوحدة الوطنية: يعيش العالم الإسلامي اليوم واقعا مرا، حيث تشهد بعض دوله اضطرابات ونزاعات قومية ودينية كما تتجرع ويلات حروب أهلية وطائفية وهي صراعات غذاها «التطرف الفكري والعقائدي» فأثمرت عنفا وإرهابا أدى إلى ارتداد الإنسانية إلى عصر الجاهلية وحياة الغاب، حيث سيادة منطق الهمجية واللاعقلانية - والذي به ذاق الوطن مرارة ضيق أفق بعض الأشخاص الذين يرون أنه لاحق لغير المسلمين في الإقامة على أرض إسلامية، إلا إذا اعتنقوا الإسلام ديناً - وخلاف ذلك يكون السلاح والقتل والموت.وكذا يرى بعض أهل الكتاب ضرورة إبادة المسلمين وتصفيتهم من على أراضيهم، واستنادا إلى كتاب الله ثم كتب السيرة والتاريخ الإسلامي، نجد أن الحق في هذه القضية يتمثل في التالي:

> الدين الذي ارتضاه الله من بداية الخليقة دين واحد، لا يهودية فيه ولا نصرانية بل هو الإسلام

١- أن حرية التدين جاءت لتؤكد سلامة الإسلام وبعد تعاليمه عن التناقض، فلقد خلق الله الناس أحرارا في التفكير، ولم يكرههم على الإيمان به وعبادته، لأن معنى العبادة والتكليف لا يتلاءم مع الإكراه الذي يصير به الإنسان قطعة من حجر بلا إرادة أو فكر: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩].
٢- عندما قرر فقهاء المسلمين حرية العقيدة بشكل سمح فكان ذلك منبثقا عن فكرة صحيحة وهي أن من له دين خير ممن لا دين له - لأن من له دين له ضمير ديني يزجره، كما أن العقيدة التي تنبع من الإيمان بوجود الله الخالق بغض النظر عن ملابسات التفكير الخاطئة التي طرأت عليها من بعض البشر، هي في نظر الإسلام عقيدة يصان أهلها عن الإكراه والقتال ما داموا لم يشهروا السلاح في وجه المسلمين - وعلى هذا عومل أهل الكتاب والمجوس من عبدة الأوثان: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ [النساء: ٩٤].
٣- عدم قبول استمرار الشرك في الجزيرة العربية مع الإسلام وأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان» شيء حتمي استلزمته سياسة الدولة لوجودهم في الأرض التي ظهرت فيها الدعوة، تماما كما ترى دولة أن سلامتها في ألا يسكنها رعايا دولة معادية لها حفاظا على أسرارها السياسة والحربية وبمنأى عن موضوع الإلحاد والإيمان.
٤- إن مشروعية القتال للمسلمين - وفقا للتاريخ الإسلامي لم تكن إلا لتأمين حرية الاعتقاد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى - وليست لمحو الديانات السماوية وهدم معابدها وحمايتها من استعلاء الملحدين والوثنيين عليها، وتمكينهم من تدميرها وإغلاقها، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد

يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ [الحج: ٤٠].

وعلى هـــذا فإن سبيل المؤمنين جهاد وقتال ودفاع يجب على كل من لم يكف أذاه عن المسلمين ولم يلتزم بالسلم وكل من دعا إلى الكفر، ويستوي في ذلك أهل الكتاب والملحدين، حيث يكون المسلم مكلفا بالتصدي لهم وقتالهم.. وبهذا يكــون المجتمع الإســلامي. مجتمع سلم وعدل لا مجتمع استسلام فهو يدفع اللطمة باللطمة: ﴿فمن اعتـــدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤].. وليس مجتمع طغيان يغريه الانتصار على مجتمع آخر فينسيه مبادىء الإنسانية في معاملته: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ [الممتحنة: ٨].



وعلى ذلك فلا نرى مانعاً يعوق الوحدة الوطنية عند أصحاب دين يصدقون بالرسل جميعاً، ويعتبرون الناس كلهم أمة واحدة في الربوبية لرب واحد، وفي البنوة لرجل واحد، وفي الإنسانية لهدف واحد.(١٧)

فتقوم الوحدة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب - كما يرى العقاد في وصفه لقوام العلاقات الدولية - «على الرفق ما أمكن الرفق، ثم على القوة المنصفة لا تقاء مالا يتقى بغيرها».. فتكون المساواة في الحقوق والواجبات من مقتضيات هذه الوحدة، ويكون العدل هو الشعار الصادق لها - يوجد حيث توجد، ويفقد حيث تفقد■

الإسلام احترم الانسان وكرمه تكريماً حقيقياً واقعياً كونه إنساناً

هوامش

(١) أحمد العسقلاني — فتح الباري في شرح صحيح البخاري — المجلد السادس — كتاب المناقب الحديث رقم ٣٥٣٥ القاهرة — دار الفكر للطباعة والنشر ص ٥٥٨.

(٢) محمد عبدالله دراز — الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د.م: ١٩٥٢ ص ١٨٤

(٣) محمدأبو زهرة — المجتمع الانساني في ظل الاسلام ط ١ الرياض: دار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨١م ص ٣٨.

(٤) د. يحيى هاشم فرغل - الفكر الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة - ط١ القاهرة مطبعة الجبلاوي - ١٩٨٦م - ص ٢٧٧.

(٥) سعيد حوى - الاسلام - الجزء الثاني (القاهرة مكتبة النهضة ١٩٧٧ - ص٨٥.

(٦) د. عبدالقادر حاتم الاعلام في القرآن الكريم — القاهرة مطبعة الأهرام التجارية ١٩٨٥ ص ١٢١

(٧) لجنة من العلماء العرب - الموسوعة العربية الميسرة (بيروت دار نهضة لبنان ١٩٨٠ ص ٧١٢

(٨) السيد سابق - فقه السنة - الجزء ٣ ط٢ (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٠م ص٧ - ١٣

(٩) عبدالله نجيب سالم - نحو كلمة سواء وحوار كريم - ط١ (الكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٨٥ - ص ٨٠

(١٠) مختار الصحاح (بيروت دار الكتاب العربي ٨١ ص ١٩ ٢٦ و٢٧

(١١) عبدالرحيم فودة الدين عند الله - سلسلة البحوث الإسلامية السنة ٤ ع ٥٣ القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر - ١٩٧٢ ص ٣٤٧.

(١٢) السيد سابق — فقه السنة - مرجع سابق - ص ١٨.

(١٣) الامام الغزالي رحمه الله — احياء علوم الدين - المجلد ٢ - القاهرة المكتب الثقافي د. ت ص ١٣ و١٤

(١٤) السيد سابق — فقه السنة - مرجع سابق ص ١٩ و٢٠.

(١٥) د. عبدالقادر حاتم - الاعلام في القرآن الكريم - مرجع سابق - ص ١٢٧.

(١٦) السيد سابق — فقه السنة - مرجع سابق - ص ٤٢٧.

(١٧) يمكن الرجوع إلى: مصطفى السباعي - السيرة النبوية - دروس وعبر.

د. محمد أنيس عبادة — من كنوز القرآن الكريم — سلسلة الدراسات الإسلامية ع - ١٥٨.

قضايا اجتماعية

من المسؤول عن إخلاص أطفالنا لجهاز التلفاز؟!

تعددت هذه الأيام، وتنوعت التحذيرات من أخطار بعض ما يعرضه جهاز التلفاز على الأسر، وهو تعدد وتنوع فرضه هذا التطور المذهل الذي غدا يسير في دربه ذلك الجهاز الصغير، إن على مستوى البث الذي أصبحت تتحكم فيه الأقمار الاصطناعية، وهي في مداراتها الفضائية، أو على مستوى التفنن في العرض المتوفر على كل ضروب الاحتيال الكفيلة بأسر المشاهد بشكل مضمون، أو على مستوى التنوع في عرض الفقرات، والبرامج التي بات في امكانها ترك الآثار البينة على كل فرد، وكل طوائف المجتمع..

بقلم: عمر فتال

الهدف المقصود

والواقع لقد كان ومازال الأطفال هم الهدف المكشوف الذي تتساقط عليه سهام الشاشة الصغيرة بلا رحمة ولا فتور. لاعتبارات منها ضعف المناعة لدى أبناء عالم البراءة. لهذا فهم لا يملكون الجرأة الكافية للتمرد على الاغراءات التي يعتمدها هذا الصندوق العجيب! لسحرهم وجذبهم إليه. أضف إلى ذلك أنهم يعبرون عن تأثرهم الكامل بما شاهدوه بإخلاص، ويترجمون ما رسخ في أذهانهم بنجاح باهر! ومن هنا تكاثرت الصيحات والتنبيهات الصادقة التي لا تفتأ تسهب في سرد أخطار البث التلفازي على الصغار، وتحذر من مغبة متابعتهم لفقرات بعينها. إلا أن تلك الصيحات الصادرة ــ كما قلت آنفا ــ عن حسن نية تقضي نحبها تماما كما يقضي الصوت نحبه في رحاب الفيافي والقفار! نعم تقضي نحبها ليستمر الصغار في تفانيهم للتلفاز معرضين بذلك عن كل نصيحة وتوجيه حتى ولو كانتا من أب أو أم.

> تكاثرت الصيحات والتنبيهات الصادقة التي تسرد أخطار البث التلفازي

نصائح الكبار

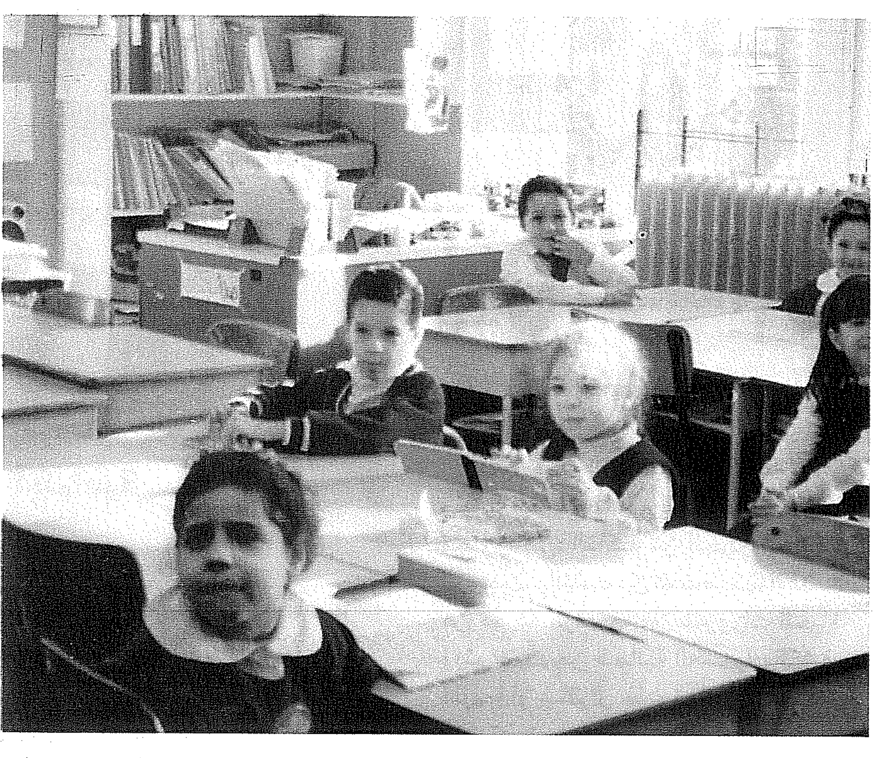
ولكن هل سألنا أنفسنا هذا السؤال.. لماذا تذهب نصائح الكبار في هذا الشأن أدراج الرياح؟!

قبل الإجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نطرح سؤالا آخر: هل من المعقول أن نلوم الرياح التي تصر على اقتلاع الخيمة التي تأوينا إذا كنا قد فتحنا خلالها فتحات تسهل مأمورية التيارات الهوائية؟! يجدر بنا طرح هذا السؤال لنبين أن الصيحات التي يصدرها هذا الملتقى أو تلك الندوة أو هاتيك النشرة أو ذاك المقال، لاتعضد بتحصينات، وتلقيحات فعّالة من شأنها أن تقوي من همة الصغار بشكل يجعلهم يكبحون جماح كل إغراء تغريهم به الشاشة الصغيرة. أجل يجب طرح هذا لأنني وقفت على ثلاثة منافذ يدخل عبرها التأثير التلفازي ليأسر قلوب الصغار، ويحجب حينئذ كل إرشاد وتوجيه وهذه المنافذ هي:

أولا: مشتروات الطفل:

وأقصد بها ملابسه، لعبه، حلوياته. فهي متعددة تلك المشتريات التي أمست اليوم تحمل توقيع الشاشة الصغيرة. ايا في شكل صورة لأحد أبطال المسلسلات «الكرتونية» أو مسابقة مواكبة لعرض ذلك المسلسل، أو

صورة شخصية مهرِّجة تسحر الصغار بحركاتها، وتصرفاتها خلال أحداث مسلسل معين. وهذا التوقيع لا يحفز الطفل على اقتناء البضاعة المعينة فحسب، بل الأخطر من ذلك أنه يجعله يعيش في أجواء التلفاز في كل وقت وحين. حتى إذ غفل فالصورة التي على صدره أو التي تزين قميصه، تذكره بأنه نأى عن تلك الأجواء! وإذا حاول أن يترجم نصيحة أمه أو أبيه، ألفى العبارة التي تتربع وسط لعبة من لعبه، والتي هي في أصلها عبارة يتفوه بها أحد أبطال المسلسل القريب من قلبه، تشير إليه بألف أصبع إلى حيث الصندوق العجيب! فبالله عليكم كيف يمكن للتحذيرات والنصائح والتوجيهات التي تتضمنها النشرات والمقالات أن تؤتي أكلها إذا كان هذا هو حال الصغار الذين نحترق من أجلهم، ونصبو إلى إنقاذهم من قبضة الشاشة الصغيرة!؟



ثانيا: أدوات الطفل المدرسية:

أدوات الطفل المدرسية بدورها باتت هذه الأيام تحمل توقيع التلفاز كما هو الحال مع الدفاتر التي تحتوي صورة هذه الشخصية «الكرتونية» أو تلك، شأنها في ذلك شأن المساطر والأقلام، لا بل والحقائب المدرسية نفسها التي صارت تزين بصورة اعتاد الصغار على مشاهدتها ضمن برامجهم المحببة. وهو أمر كذلك يجعل جهاز التلفاز يتجاوز سور الزمان والمكان ليفرض نفسه على الطفل حتى ولو كان على طاولة الدرس. فهل نستغرب إذا رأينا الطفل يلبي داعي التلفاز فور وصوله من المؤسسة التعليمية حتى ولو كانت في معيته واجبات مدرسية تستدعي الإنجاز والإجابة؟! وهل ندهش إذا ألفيناه يقدم ما تعرضه الشاشة الصغيرة عن الأكل ذاته؟ وهل نبحث عن الأسباب إذا اشتكى لنا المدرسون من شرود الطفل أثناء تقديم الدروس؟ بالطبع لا داعي إلى الاستغراب والدهشة والبحث عن الأسباب مادام طفلنا أمسى يعيش مع شخصيات تلفازية تجعله يعد الدقائق والثواني من أجل تقريب مواعيد الجلوس أمام الصندوق العجيب؟!

ثالثا: قصص الأطفال المكتوبة:

قصص الأطفال المكتوبة أضحت هي الأخرى تدور في فلك ما تعرضه الشاشة الصغيرة للأطفال. ويتمثل هذا الدوران في استلهام مضامينها من المسلسلات «الكرتونية» المقدمة خصيصا للصغار. لذلك فهي تتخذ بدورها الفضاء الخارجي مسرحاً لها، حيث الصراع بين مخلوقات خرافية، وأخرى تملك أخطر الأسلحة، وأفتكها، وثالثة تركب سفنا فضائية متقدمة تسخرها للغزو والسطو والفتك. وهي وإن هبطت ـ أعني القصص ـ من الفضاء الخارجي تقع فريسة لعالم الإجرام، والشرطة والمخابرات، وما إليها من الدوامات التي تقلق الأنفس، وتحير العقول. ودوران قصص الأطفال المكتوبة في فلك التلفاز بدوره يدفع الطفل إلى أن يكون أكثر إخلاصا للشاشة الصغيرة. باعتبار أن ما هو مكتوب، لا يعدو أن يكون مجرد نسخة صامتة لما يعرض على تلك الشاشة. لذلك لا ينبغي أن نتحسر إذا رأينا الطفل يعرض عما يكتب له خصيصا، ويفضل عليه بالمقابل ما يعرضه جهاز التلفاز، مادامت القصة المكتوبة لم توفر له البديل المرغوب فيه! ولا ينبغي أن نتشنج إذا وجدنا صغارنا لا تستهويهم واجبات المكتبات كما تستهويهم الشاشة الصغيرة؟! مرة ثالثة ينبغي أن نتساءل هذا التساؤل في مرارة: لماذا لا يخلص أبناؤنا إلى الكتاب إخلاصهم لجهاز التلفاز؟!، يجب ألا نستغرب ولا نتشنج، وأن نتساءل في حزن لسبب واحد وهو أن الكتاب الذي كان من المفروض أن يجذب الصغار، ويشغلهم عن متابعة الفقرات التلفازية ولو لفترة من الزمان يفتقر إلى الاستقلالية والجاذبية ذات الرونق الخاص البعيد عما يعرضه التلفاز!

مصادر الطفل متعددة لإغرائه على دوام المشاهدة للتلفاز ليكتسب التيارات الهوائية المفرطة

وعليه، يجب أن تتعالى وتتنوع وتتعدد الصيحات المحذرة من خطورة متابعة الصغار لكل ما هب ودبّ من الفقرات والبرامج التي يعرضها جهاز التلفاز. لكن الشيء الذي ليس في محله هو أن نملأ عالم الأطفال بأشياء تحمل صورا ورسوما مقتبسة ممّا يعرضه ذلك الجهاز، وبعد ذلك نعمل جاهدين على تنفيرهم وإبعادهم عن تلك البرامج غير اللائقة. وعند ذلك نكون حينها أشبه بالذي يرغب صادقا في التخلص من قبضة الوحل إلا أنه بين اللحظة والأخرى يصب الماء على ما حوله لبلوغ هدفه ذاك؟!■

الــزواج بين الهدم والبناء

قضايا اجتماعية

وثيقة الزواج الجديدة، والخاصة بقانون الأحوال الشخصية. التي صدرت في مصر والمتضمنة لرأي الافتاء في ذلك التعديل والإضافات الجديدة بشروطها التسعة، والتي فيها شرطان يصلحان للتعديل، أما باقي الشروط فتحتاج إلى تعديل حيث إنها تعتبر قنبلة موقوتة جاهزة للانفجار في أي وقت. لهدم عش الزوجية بما فيها من اجحاف بحق الزوج، كما أنها أبعدت عقد الزواج عن مساره الطبيعي فبدلاً من أن يحوي السكن والتآلف والتعاطف والمودة والرحمة أصبح شركة تجارية يراعى فيها المكسب والخسارة والفائدة تعود أو تؤول إلى من، كما تناست الشروط الأصل في الزواج وهو التبادل والتفاهم في الرأي بين الزوجين لبناء الأسرة والمحافظة على نتاجها الأصلي والجوهر الحقيقي والثمار الأساسية وهم الأبناء أو الذرية الصالحة .

بقلم د: محمود صالح العادلي

محاور تعديل وثيقة الزواج

تدور فكرة التعديلات المقترحة بشأن وثيقة الزواج «المصرية»، حول ثلاثة محاور، هي: التأكد من الحالة الصحية للزوجين، والتثبت من شخصيتهما، فضلا عن معرفة موقفهما من ضرورات الحياة. ويتم التأكد من الحالة الصحية بالكشف عليهما أو باقرار خلوهما من الأمراض التي تعوق مسيرة الزواج. أما التثبت من حقيقة شخصيتهما فيتم بوضع الصورة والبصمة الخاصة لكل منهما على الوثيقة.

ولا مراء في أن هذين المحورين لا غبار عليهما، وذلك تفاديا لما قد يمنع من استمرار حياة زوجية ناجحة، ودرءا للتلاعب في «وثائق الزواج» التي يلجأ إليه البعض بالتسمي بأسماء مخالفة للحقيقة اضرارا بالآخرين. فلا غرابة — اذن — إذا كان هذان المحوران لم يصادفا هجوما لمنطقيهما، وتوافقهما مع طبيعة الزواج وأهدافه السامية.

أساسيات الحياة الزوجية

أما المحور الثالث فقد تجسد في مجموعة أسئلة توجه للزوجين - وإن كان الزوج هو المقصود الحقيقي بها - لمعرفة موقفهما من بعض أساسيات الحياة الزوجية المشتركة، والتي حددتها الوثيقة المقترحة في استكمال الزوجة تعليمها فوق الجامعي، وحدود حق الزوجة في العمل بعد الزواج، أو في تغيير عملها إلى أي عمل آخر يتفق ومؤهلاتها، ومعرفة موقف الزوج إذا كان من الممكن سفر زوجته بمبرر مشروع إلى الخارج بصحبة الأولاد أو من دونهم والوقوف على الحدود المالية لآثار انقضاء الزواج: سواء فيما يتعلق بتعويض الزوجة وفق حقوقها الشرعية، أو فيما يختص بمسكن الزوجية أو فيما يزيد عن الحقوق المقررة قانونا، أو يتصل بمصير أثاث الزوجية بعد الطلاق. ولم تكتف التعديلات المقترحة بذلك، بل تطرقت إلى سؤال الزوج عن إمكان تنازله عن حقه من الزواج بأخرى، وعن تخويل الزوجة حق تطليق نفسها «أو بالأحرى طلب ذلك» - في حالتين، هما: زواج زوجها بأخرى، وتطليق الزوجة نفسها مقابلَ تنازلها عن حقوقها المالية.

الانتقادات الموجهة للمحور الثالث

وقيل دفاعا عن هذا المحور «الثالث» أنه يقلل من اللجوء إلى القضاء لحل الخلافات التي تثور أثناء الحياة الزوجية، باعتبار أن إجابة الزوجين على أسئلة هذه الوثيقة المقترحة تضع النقاط على الحروف من بداية العلاقة الزوجية، فيعرف كل منهما حدوده فلا يتخطاها. غير أن هذا الدفاع لا يمنعنا من أن نوجه لهذا المحور الانتقادات التالية:

١ - الزواج ليس صفقة تجارية:

يعيب المحور الثالث على تعديلات وثيقة الزواج أنه اعتبر الزواج - وهو من أسمى العلاقات الإنسانية - مجرد صفقة تجارية تعقد بين طرفين، ويهم كل منهما معرفة قدر الفائدة التي ستعود إليه من جراء هذه الصفقة. وتناسى واضع هذه التعديلات أن الزواج مودة ورحمة

وتعاطف وتآلف، والأصل فيه التفاهم المتبادل بين الزوجين، ويرتكز على عزمهما الأكيد في بناء أسرة جديدة مشتركة بينهما بصفة أساسية، وينضم إليهما ـ فيما بعد ـ أولادهما، الذين يرزقهما الله بهما، بإذنه عز وجل.

وعليه، فإن صح منطق هذه التعديلات في عقد «مالي»، أي المال هو جوهره وأساسه، فإنه لا يصح ـ بأي حال من الأحوال ـ مع فكرة وجوهر الزواج.

٢ـ إحجام الشباب عن الزواج

من المتوقع أن تدفع هذه التعديلات الكثير من الشباب إلى الإحجام عن الزواج. الأمر الذي قد يساهم في انتشار جرائم: الاغتصاب وهتك الأعراض وسعة ساحة الزنا. نظرا لانسداد الطريق المشروع أمام الشباب لافراغ شهواتهم الجنسية. فقضية الزواج في المجتمع ليست قضية شخصية أو فردية، إنما هي قضية المجتمع بأسره ممثلة في الدولة، باعتبار أن الزواج من أهم عوامل الرقي الأخلاقي وانتشار الفضيلة في المجتمع ودرء الرذيلة، وعندما يتيسر الحلال وتتهيأ أسبابه ينحسر الحرام، والعكس صحيح فمتى تعسر الحلال واغلقت أبوابه، تيسر الحرام وتفشى..

حث الإسلام على الزواج

لذا نجد أن الإسلام يحث على الزواج ويرغب فيه، بل ويأمر المجتمع بتسهيل الطريق إليه لأنه المجال الشرعي الوحيد للعلاقات الجنسية. إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾. (الآية ٢١/سورة الروم). وذكر رسول صلى الله عليه وسلم من بين ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح الذي يريد العفاف. كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» رواه



«البخاري ومسلم». كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يمنع من الزواج إلا عجز أو فجور».

٣ـ تعديلات غير مفيدة للغالبية العظمى

زد على ذلك أن التعديلات التي يضمها المحور الثالث لا تصلح سوى لنسبة محدودة جدا من أفراد المجتمع لا تزيد في تقديرنا عن ١٠٪، بأي حال من الأحوال.

> الزواج شركة بين طرفين ثمارها الذرية الصالحة أولاً وأخيراً

والأحكام لا تبنى على الأمر النادر بل تبنى على الأمر الغالب. فاذا كانت نسبة الأمية في مجتمعنا تزيد في المتوسط عن ٦٠ في المائة فمن الترف الفكري أن يحرص مصممو وثيقة الزواج المقترحة على تضمينها سؤالا للزوج بخصوص مواصلة زوجته «الدراسات العليا» ـ وما أدراك ما الدراسات العليا ـ فهي دراسات لا يقدر عليها غير القلة النادرة من خريجي الجامعات، نظرا لتكلفتها العالية من حيث: الوقت والجهد والمال. فما بالك بزوجة تجمع بين واجباتها الزوجية وواجباتها الوظيفية أو المهنية، ناهيك عن رعاية أطفالها.

وينبغي ألا يفهم من ذلك أننا ندعو إلى عدم استكمال الزوجة للدراسات العليا، كلا فنحن ندعو إلى ترك ذلك الأمر لظروف وملابسات كل زوجة، ومقدار التفاهم المتبادل بين الزوجين ـــ فهذا هو الذي يحدد مدى إمكان استكمال الزوجة لدراستها العليا.

وعليه، فإن هذه الوثيقة ـ أو بالأحرى

هذا المحور الثالث - يصلح لمخاطبة عدد لا بأس به من سكان القاهرة الكبرى وبعض سكان المراكز والأقسام، بيد أنها لا تصلح لمخاطبة الغالبية العظمى من الشعب كالفلاحين والعمال ومعظم أبناء الطبقة المتوسطة، فهؤلاء جميعا يختلفون في تفكيرهم جذريا عن الشريحة العليا في المجتمع، والتي تهتم بفكرة الدراسات العليا والشهادات «السوبر».

٤- ديناميت قابل للانفجار في أية لحظة

كما أن هذا المحور «الثالث» بتعديلاته يعتبر بمثابة ديناميت قابل للانفجار في أية لحظة، ديناميت يحيط بـ «بناء» «مشروع الزواج»، ديناميت قد ينفجر في اللحظة السابقة من الذهاب للمأذون، كما قد ينفجر لحظة اقتراب المأذون منه، حال مباشرة اختصاصه طرح الأسئلة «الديناميت». فاذا سئل الزوج - على سبيل المثال - عن مدى إمكان تنازله عن حقه في الزواج من أخرى، ورفض هذا التنازل، فسيشجع ذلك العروس أو أهلها على نسف مشروع الزواج من أساسه. والمثل يقال بالنسبة لرفض الزوج لأن تسافر زوجته لمبرر مشروع إلى الخارج بصحبة الأولاد أو من دونهم. أضف إلى ذلك، أن إعطاء الزوجة حق تطليق - أو طلب تطليق - نفسها، ديناميت آخر قد ينسف مشروع الزواج ، ويجعله في خبر «كان». إذ إن غالبية الشباب قد يرفضون ذلك، ولاسيما الشباب في صعيد مصر، حيث تعتبر أسئلة المحور الثالث في مجموعها انتقاصا من حقوق الزوج على زوجته.

٥- حق الزوجة في هدم صرح الزواج

علاوة على ما تقدم، فإن إعطاء الزوجة حق تطليق نفسها، لا يراعي سيكولوجية المرأة، التي قد لا تحكّم عقلها حال الإقدام على ممارسة هذا الحق، إذ قد تمارسه لمجرد الثأر لكرامتها - على سبيل المثال - بغض النظر عن آثار التطليق أو الطلاق، وبالمناسبة: التطليق يكون بحكم قضائي،



أما الطلاق فيكون بإرادة من يملكه - التي قد تتجاوز الزوجين إلى الأبناء، الذين قد يدفع بهم الطلاق إلى مصير مجهول، ربما تمثل في طريق الجريمة والتشرد والعصابات، أو طريق «العقد النفسية». التي قد لا تقتصر على المصاب بها، بل تمتد اضرارها إلى كل من يتعامل معه في العمل والمنزل، وفي أي مكان يذهب إليه.

عدم الحاجة لمثل هذه التعديلات

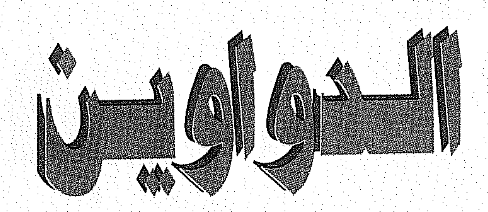
وخلاصة القول فيما تقدم، أن

> العلاقة الزوجية بنيت على المودة والرحمة والتآلف والتفاهم لا على غير ذلك.

التعديلات التي تضمنها المحور الثالث لوثيقة الزواج المصرية، مرفوضة جملة وتفصيلا، لعدم حاجة المجتمع إليها، لأن ضررها أكثر من نفعها. فهي تفتح الباب على مصراعيه للزواج العرفي، الذي يضيع معه الكثير من حقوق الزوجة والأولاد، كما تفتح هذه التعديلات إلى زيادة معدلات جرائم الزنا وهتك الأعراض والاغتصاب من جانب الشباب، وجرائم التشرد والتسول وغيرها من جانب الأبناء.

فيجب على الجهات المختصة التي اقرت هذه الوثيقة، أن تعيد النظر في مفرداتها،بحيث يكتفى بالمحورين الأول والثاني الخاصين بالحالة الصحية للزوجين والتثبت من حقيقة شخصيتهما، والرجوع عن المحور الثالث لهذه الوثيقة، بما يتضمنه من أسئلة هي بحق «ديناميت» ينسف مشروع الزواج، أو يهدد بقاء الزواج نفسه.

ولا يشفع لمصممي هذه الوثيقة نبل الغاية المستهدفة، فالطريق إلى جهنم قد يكون مفروشا بالنوايا الطيبة!!!■



تـراث

بقلم: د. أحمد الحسن
أستاذ مادة التاريخ بجامعة الكويت

يرى الماوردي أن الديوان «موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعما». [الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٧٢].

نشأة الديوان:

نشأت الدواوين في عهد عمر بن الخطاب، وقد اختلف المؤرخون في الجهة التي اقتبس منها المسلمون نظام الدواوين أهي دولة الروم أم دولة الفرس، ولا يمنع أن الخليفة سمع ممن عاين استخدام الدواوين من كلا الدولتين ثم قرر انشاء الدواوين، خاصة إذا عرفنا أن فتوحات بلاد الروم وبلاد الفرس تمت في وقت واحد وبصورة متوازنة.

تعريب الدواوين:

وأما فيما يتعلق بلغة الدواوين فالغالب أن الذي عناه المؤرخون بتعريب الدواوين (ديوان الخراج) الذي ظل يُكتب بلغة أهل المناطق المفتوحة، فكان في بلاد الشام باليونانية والسريانية، وفي العراق وفارس بالفارسية، وفي مصر بالقبطية واليونانية. وظلت هذه اللغات هي المستخدمة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ/ ٧٠٥م) الذي قام بتعريب دواوين الخراج في بلاد الشام والعراق وفارس، أما في مصر فقد عُرِّب ديوان الخراج في عهد ابنه الوليد (ت٩٦هـ/ ٧١٤م). وكانت باقي الدواوين - كديوان البريد والخاتم والجند والطراز والرسائل وغيرها - تُكتب باللغة العربية منذ البداية. [الرفاعي، النظم الاسلامية، ص٨٧و٨٨. الماردي، الاحكام السلطانية، ص١٧٤و١٧٥].

لمحة عامة لأهم دواوين الدولة الاسلامية:

١- ديوان الخراج: وهو المشرف على تنظيم الأراضي الزراعية ووسائل ريها ومواجهة مشاكلها وجمع ضريبتها والإنفاق منها على المصالح المختلفة للدولة. [صبحي، النظم، ص٣١٤. القوصي، الحضارة الاسلامية، ص٣٤. العدوي، الحضارة العربية، ص١٢٦].

٢- ديوان الجند: وهو المسئول عن تسجيل وإحصاء الجنود المقاتلة، وتحديد رواتبهم وكل ما يتعلق بشئونهم. [الرفاعي، النظم الاسلامية، ص٨٢. صبحي، النظم، ص٣١٥].

٣- ديوان الصدقات: وهو المسئول عن جمع أموال الزكاة ممن ملك نصابها، وصرفها على المستحقين لها حسب المصارف التي حددها الله في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله﴾ [الأنفال/ ٦٠]. [صبحي، النظم، ص٣١٤].

٤- ديوان الصوافي: ويشرف على أراضي الدولة الاسلامية وما يتعلق بها من شراء وبيع واستئجار وإيجار. [الرفاعي، النظم، ص٤٩٠].

٥- ديوان الجهبذة: وهو المختص في النظر في مصالح رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين.

٦- ديوان الطراز: ومهمته الإشراف على المعامل التي تنسج الملابس الرسمية للدولة كملابس الجنود وأعلام في الحرب والعلامات والشعارات وغيرها. [صبحي، النظم، ص٣١٥. التوم، تاريخ الحضارة، ص٩٦و٩٧].

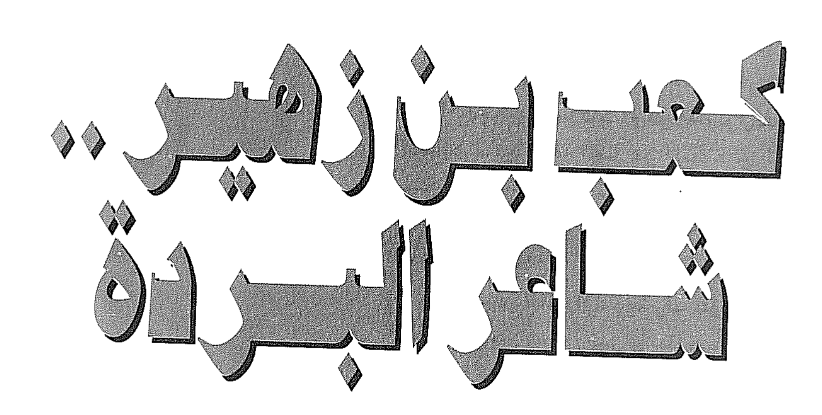
٧- ديوان الخاتم: وهو المسئول عن ختم الرسائل الرسمية، سواء الصادرة من عاصمة الخلافة أم الولايات المختلفة، حتى لا تُفتح إلا من قِبل الجهة المرسلة إليها، وإذا فتحت قبل أن تصل إلى صاحبها عرف ذلك.. فهو ضمان لعدم فتح الرسالة ومعرفة أسرارها أو تعديلها بإضافة أو حذف.. ويقصد بالختم لصق الرسالة بالشمع الأحمر بعد طيها ثم يطبع على هذا الشمع خاتم الخلافة قبل يبسه. [الرفاعي، النظم، ص٨٥].

٨- ديوان الرسائل: وهو المسئول عن تحرير الرسائل الصادرة من عاصمة الخلافة إلى الولايات المختلفة، وحفظ نسخ منها في سجلات خاصة، واستقبال الرسائل المرسلة من الولايات المختلفة وحفظها والرد عليها. [القوصي، تاريخ الحضارة، ص٣٤. تاريخ العلوم، ص٧١. العدوي، الحضارة العربية، ص١٧١].

٩- ديوان البريد: وتتركز مهمة هذا الديوان في إيصال الرسائل من عاصمة الخلافة إلى ولايات الدولة وبالعكس، وكانت تستخدم في ذلك وسائل النقل المعروفة آنذاك وخاصة الخيول، وقد أنشأ المسلمون محطات بريدية على امتداد طرق المواصلات، وزودتها بالخيول والطعام والعلف والماء لتكون محطات استراحة لناقل البريد وللدواب، واستبدال خيله بخيل آخر نشيط.. وغالبا ما تكون المسافات البريدية بين محطة وأخرى ١٢ ميلاً..

ولم يقتصر المسلمون في نقل الرسائل على النقل البري وحده، فقد عرفوا النقل الجوي عن طريق الحمام الزاجل المدرب، حيث تربط الرسائل - التي تكون صغيرة ومختصرة - بجناح أو رجل الطائر. وقد وُضعت أبراج خاصة لاستقبال هذا الحمام من قبل البرّاجين الذين يقومون بتوصيل الرسائل إلى الجهة المطلوبة بعد استلامها.

ولا تكمن أهمية البريد في إيصال الرسائل فقط، وإنما تتعدى ذلك إلى نقل أحوال البلدان وأخبار الولاة، يقوم بذلك صاحب البريد الذي يعمل على نقل أخبار البلدان التي يمر عليها، وأحوال ولاتها ورعيتها إلى الخليفة. [عاشور، تاريخ الحضارة، ص١٦٩ وما بعدها. تاريخ العلوم، ص٧٢. صبحي، النظم، ص٣١٥. الرفاعي، النظم، ص٩١ وما بعدها] ■



كعب بن زهير.. شاعر البردة

أدب

يذكر النقاد القدامى، ان الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية اتصاله في ولد زهير بن أبي سلمى، ذلك لانه ورث الشعر من طرفي ابيه وامه فقد عاش مع والده في ديار «غطفان» بعد ان رحل عن «مزينة» وأقام في الحاجر من ديار نجد(١). وعاش بالقرب من أبيه زهير بن أبي سلمى، وكان شديد الاعجاب بشعره، راغباً بأن يكون في الشعر مثل أبيه، ولكن أباه كان ينهاه ويعذبه مخافه ان يقول مالاخير فيه، ومايمكن ان يعير به، وقد تكرر ضرب الأب لابنه، بل والحبس له في بعض الأحيان ولكي يبعده عن مجلسه طلب منه ان يرعى الابل، وقد استجاب الابن لما أراده الأب،

بقلم: الاستاذ والدكتور عبده بدوي

الحب هو أقصر طريق إلى تحقيق الهدف المطلوب للأطفال في المبادىء الاسلامية

وذات يوم سمعه الأب يرتجز

كأنما أحدو ببهمى عيرا
من القرى موقرة شعيرا

فما كان من الأب إلا أن عزم على إدخاله امتحاناً خاصاً بالشعر، ليعرف مقدار ماعنده، وكان قد دخل بيته مغضباً ثم دعا بناقته وغطاها بثيابه ثم ركبها وسار بها حتى انتهى الى ابنه. وحين رآه اخذ بيده، وأجلسه وراءه، ثم سارا بالناقة حتى ابتعدا عن الحي ثم قال مرتجلا :

إني لتعدوني عن الهم جسرة
تخال بوصّال حروم وتَعْنقُ

ثم ضرب كعبا وهو يقول: أجز يالكع، ويجز كعب باقتدار، ويكرر الأب بيتا من عنده كما يكرر ضرب الابن، ومقولته: أجز يالكع... وينجح الابن في هذا الامتحان المباغت، ولما كان موضوع الامتحان خاصاً بالناقة فإن الأب يغير الموضوع الى نعت النعام، وينجح الابن وهنا لايملك الأب -وقد داخله الفرح- إلا ان يأخذ بيده ثم يقول له: قد أذنت لك يابني في الشعر ثم نراه يقربه من مجلسه حتى صار هو والحطيئة من أنبغ تلامذة هذه المدرسة الزهيرية، وعلى الرغم من هذا النبوغ إلا انه كان يحلو له ان يضعه في اكثر من امتحان، فإنه يروى ان زهيراً قال بيتنا من عنده، ثم عجز عن قوله ثانية، وحين مرّ به النابغة الذبياني قال له:

ياأبا أمامة أجز، قال: ماذا، قال زهير

وتحيا ماحييت بها ثقيلا
تراك الأرض إما مت خفا
نزلت بمستقر العز منها
....

وقد عجز النابغة عن الاكمال وبينما هما في هذا الموقف الصعب أقبل كعب فقال زهير ماسبق أن قاله للنابغة فما كان من كعب إلا أن أكمل الشعر المطلوب وهو

نزلت بمستقر العز منها
فتمنع جانبيها أن يزولا

وهنا يفرح الأب ويقول للابن بسعادة غامرة: أنت والله ابني(٣) ويحضه على تعلم القراءة والكتابة، وذات يوم سمع أباه وهو يقص

رؤيا تدور حول أن أتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده ثم تُرك فهوى على الأرض ثم قال: إني لاشك انه كائن من خبر السماء من بعدي، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا اليه(٤)

ويجيء الإسلام ويصبح أحاديث كل الناس، وفي يوم نراه وأخاه« بجيرا» يسيران إلى المرعى ويكون حديثه عن هذا الرسول الذي ظهر، ويتحاوران ثم يصلان الى حل يقول فيه كعب لبجير: الحق الرجل، وأنا مقيم هاهنا فانظر مايقول لك ويفترقان عند مرعى« أبرق العزاق» ويذهب بجير، وينسيه المناخ الجديد في المدينة حديثه مع أخيه، فقد أعلن إسلامه ولم تخطر العودة له على بال، ويقلق كعب لغياب اخيه ،وحين يسمع ان اخاه أسلم، يكتب شعراً يهجو فيه الرسول والرسالة وأخاه وقبيلة مزينة حين شاع فيها الاسلام ويحفظ لنا التاريخ من هذا الهجاء قوله:

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك! هل لك
سقاك أبو بكر بكأس روية
فأنهلك المأمون منها وعلك(٥)
ففارقت أسباب الهدى وتبعته
على أي شيء -ويب غيرك دلك
على مذهب لم تلف أماً، ولاأبا
عليه، ولم تعرف عليه أخاً لك
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف
ولاقائل إما عثرت لعاً لك:

ثم انه شبب بأم هانيء أبنة أبي طالب على حد مايذكره ابن الأثير

ويذكر المؤرخون ان هذه الابيات حين وصلت الرسول صلى الله عليه وسلم أهدر دمه وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فاستطير ولفظته الأرض على حد تعبير ابن سلام الجحمي(٦) والواضح ان هناك أبياتا اهملها الرواة لانها كانت تمس الرسول والرسالة فليست هذه الأبيات مما يوجب إهدر الدم على ان الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء يرى أنه كانت هناك مؤامرة على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاخوين، ومما يدل على هذا البيت الأخير الذي يتحدث عن «فعل» شيء كانا قد اتفقا عليه وهو القتل فالبيت يقول:

فإن أنت لم تفعل فلست بآسف
ولاقائل - إما عثرت- لعاً لك

وقد كتب بجير الى كعب يقول له: النجاء النجاء ثم كتب له شعرا يقول:

من مبلغ كعباً، فهل لك في التي
تلوم عليها باطلاً وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده
فتنجو إذا كان النجاة وتسلم
لدي يوم لاينجو وليس بمفلت
من النار إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير، وهو لاشيء دينه
ودين أبي سلمى.. عليّ محرم!

وقد ظل بجير على صلة بأخيه، و كان يحثه على القدوم الى المدينة، ويذكره ان رسول الله لابد ان يعفو عنه(٧) ويرى كعباً انه لامناص من ذهابه الى المدينة، ويذهب وينيخ- راحلته بباب المسجد وكان مجلس الرسول من اصحابه مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقه ثم حلقة، وهو وسطهم فيقبل على هؤلاء يحدثهم، ثم على هؤلاء ثم على هؤلاء فأقبل كعب حتى دخل المسجد، فتخطى حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله الأمان قال الرسول: ومن أنت؟ قال كعب بن زهير، قال الذي يقول كيف قال ياأبابكر فأنشد ابو بكر ماقال فوثب عليه انصاري وهو يقول يارسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فيقول الرسول دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه ثم يستأذن الرسول في إنشاد قصيدته الشهيرة التي أولها:

بانت سعاء فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها، لم يفد مكبول(٨)

وقد كان الرسول يشير الى الحلقات التي في المسجد ان يسمعوا شعر كعب واقترح عليه تغيير بعض الكلمات ولما كان لم ينس أن المهاجرين رحبوا به وان انصارياً حاول ان يقتله في حضرة الرسول فإنه عرَّض بالأنصار في القصيدة فلما سمع المهاجرون هذا قالوا: مامدحنا من هجا الانصار؟ وعوتب في ذلك فقال:

من سره كرم الحياة فلا يزل
في منقب من صالح الأنصار(٩)
الباذلين نفوسهم لنبيهم
عند الهياج وسطوة الجبار
والناظرين بأعين محمرة
كالجمر غير كليلة الأبصار
والضاربين الناس عن أديانهم
بالمشرفي والقنا الخطار
يتطهرون، يرونه نسكالهم
بدماء من علقوا من الكفار

المهم ان الرسول عليه الصلاة والسلام كساه بردته التي كانت عليه والاحاديث متواترة عن البردة فيقال ان معاوية ارسل اليه بعنا بردة رسول الله فقال: ماكنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم. وقيل إنها بيعت في أيام المنصور وبقيت في خزائن ابن العباس، وقيل انها احرقت فيما أحرق أثناء الغزو المغولي للعباسيين (١٠) المهم أنه مع فقره لم يفرط فيها،على كل قد ذاع صيته بعد إسلامه، ويقال انه قال شعرا في يوم فتح مكة، وفي غزوة حنين والطائف وكان في غزوة أحد فقد قال:

ورحنا غانمين بما أردنا
وراحوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا
مواثيق على حسن التصافي

فجـــزنـــا بطن مكـــة وامتعنـــا
بتقـــوى اللـــه والبيض الخفـــاف
وحل عمـــودنـــا حجـرات نجـــد
فـأليـــة فـــالقـــدوس إلى شراف
أرادوا الـــــلات والعـــــزى إلها
كفى بـــاللـــه دون الــلات كـــاف

..وقد كان مقدراً من كبار الشعراء في عصره، فها هو الحطيئة يقول لـه: قـد علمت روايتي لكم اهل البيت، وانقطـاعي اليكم، وقـد ذهب الفحـول غيرة وَغيْرَة، فلـو قلت شعـراً تـذكـر فيـه نفسك، وتضعني موضعاً بعدك، فإن الناس لأشعاركم أروى، واليها أسرع فقال كعب

فمـن للقـــــــــوافي شـأنها مـن يحولها
إذا مـــاثـــوى كعب وفـــوز جـــرول
كفيتـك لاتلقى مـن النـــاس واحـــدا
تنخل منهـــــا مثل مـــــاأتنخل
يثقفهـــــــا حتى تلين متـــــونها
فيقصر عنهـــا كل مـــايتمثل(١١)

والتاريخ يصمت عن مشاركاته في الحياة الاسلامية، فلانعرف له احتكاما بأبي بكـر، وعمر،وعثمان ولكن كانت له وقفة طـويلة في مدح علي بن ابي طالـب فقد قال قصيـدة طويلـة كانت بنو أميـة تنهي عن روايتها واضافتها الى شعره وهي القصيدة التي منها :

إن عليـــا لميمـــون نقيبتـــــه
بـــالصـــالحات من الأفعـــال مشهـــور
صهـــر النبي، وخير النـــاس مفتخـــرا
فكل مـن رامـــه بـــالفخـــر مفخـــور
مقـــاوم لطغـــاة الشرك، يضربهم
حتى استقـــامـــوا ودين اللـــه منصـــور
يـــاخير من حملت نعـــلا لـــه قـــدم
بعـــد النبي لـــديـــه البغى مهجـــور
اعطـــاك ربـك فضـــلاً لازوال لـــه
مـن أيـن أنى لـــه الأيـــــام تغيير
بـــالعـــدل قمت أمينـــاً حين خـالفـه
أهـل الهوى وذووا الأهـــواء والـــزور(١٢)

ويبـدو ان انعزالـه هذا، وبعـده عن المشاركـة في الحياة، واحسـاس البعض بأنـه كان بدويا فظاً غليظ القلب نـافر الطبـاع يثور وينتفض لأدنى ملاحظة، ربما لايكون له اسـاس، كان وراء فقره، وضعف رزقه وهذا جعله في شجار دائم مع زوجه، فلـه في الضيق ثلاث قصائد منها قوله:

إن عـــــرس قـــــد أذنتني أخيرا
لم تعـــرج، ولم تـــؤمـــر أميرا
أجهـــاراً جـــاهـــرت لاعتب فيـــه
أم أرادت خيـــانـــة وفجـــورا
مـــاصـــلاح الـــزوجين عـــاشـــا جميعـــاً
بعـــــــد ان يصرم الكبير الكبيرا
فـــاصبري مثل مـــاصبرت فإني
لا أخـــال الكـــريـم إلا صبـــورا
أي حين وقـــــــد دببـت ودبـت
ولبسنـــا مـن بعـــد دهـــر دهـــوراً
مـــاأرانـــا نقـــول إلا رجيعـــاً
ومعـــاداً مـن قـــولنـــا مكـــرورا
عـــذلتني فقلت: لاتعـــذليني
قـــد أغـــادي المعـذل المخمـــورا (١٣)

وقد أورد رأي ابنته فيه، وكيف انه كان قاعداً عن رزقه

تقـــول ابنتي : ألهى أبي حـب أرضـــه
وأعجبـــه إلـف لها ولـــزومهـــا
بل ألهى أبـــاهـــا انـــه من عصابـــة
بـــرهمان أمسى لايعـــاد سقيمهـــا
تســـاقـــوا بماء من بـــلاد كأنـــه
دمـــاء الأفـــاعي لايبـل سليمهـــا
مجاجـــات حيـــات أذا شربـــوا بها
سما فيهم ســـوارهـــا وهميمهـــا(١٤)

فالذي بقى له والتي جعلته في دائرة الضوء في كل العصور قصيدته التي مطلعها:

بـــانـت سعـــاد، فقلبي اليـــوم متبـــول
متيم إثـــرهـــا لم يفـــد مكبـــول
ومـــاسعـــاد غـــداة البين إذ رحلـــوا
إلا أغـن غضيض الطـــرف مكحـــول

فما اكثر مادار الحديث عنها شرحاً وتخميساً، وتشطيراً، ومعارضة كما أنها تـرجمت الى عـدد من اللغـات كـالايطـاليـة، وقـد اهتم بها المستشرقون الذين يجيء في مقدمتهم رينيـه باسيه الذي عرَّف بكعب ونشر شرح ثعلب الى الفرنسيـة كما قدمه آخـرون بشرح التبريزي في مجلـة جمعية المستشرقين الألمان، كما اهتم بـالنص من القـدامى ابن الانبـاري تحقيق د. محمـود حسن الزيتي، وعبـد اللطيف البغـدادي يتحقيق هلال ناجي، والقصيدة لاتبدو عند البغدادي مستوية الأجزاء فقد اوجز في ذكر « سعاد» وأطال في ذكر الناقة اما الدكتور طه حسين فيقـول: وأنا حين أقـرأ قصيـدة كعب أراهـا تأتلف من ثـلاثة أجـزاء متباينة في ظاهر الامر ولكنهـا مؤتلفة احسن الائتلاف في حقيقة الأمر لولا أني ارجح ان جـزءاً منها قد كثر فيـه عبث الرواه(١٥) ولاننسى أنه حين عقـد مقارنة بينه وبين أبيـه قال ببراعة الـلاحق على السابق، فكعب حين يقول :

بـــانـت سعـــاد فقلبي اليـــوم متبـــول
متيم إثـــرهـــا لم يفـــد مكبـــول

وزهير حين يقول:

إن الخليط أجـد البين فـانفـرقـا
وعلـق القلب مـن أسماء مــاعلقـا
وفــارقتك بــرهن لافكـاك لــه
يــوم الــوداع فـامسى الـرهن قـد غلقـا

فالمعنى الـذي قصد اليه كعب هو نفس المعنى الـذي سبق به زهير ولكن كعباً قد أوجزحين أطنب أبوه، وأثـر قافية أيسروأحلى موقعاً من أبيه(١٦).

وإذا كان ابن سلام الجمحي قد جعله من الطبقـة الثانية في طبقاته فإن خلف الأحمر يقول:

لولا قصائد لزهير مافضلتـه على ابنه كعب(١٧) كما يقول عنه ابن قتيبة: كـان فحلا مجيداً(١٣) ومأروع وقفـة عبد القاهـر الجرجاني عند أبياته التي تقول:

فلما قضينــا من منى كـل حـاجـة
ومسـح ركن البيت من هــو مــاسح
وشـدت على حـدب المهـاري رحـالها
ولاينظــر الـغـادي الــذي هــو رائح
فقلنــا على الهوج المراسيـل، وارتمت
بهن الصحـاري والصماد الصحـاصح
نــزعنـا بأطـراف الأحـاديث بيننـا
ومـالـت بأعنـاق المطي الأبـاطح(١٩)

أما المحدثون فقد جعلوه احـد افراد المذهب التصويري المادي الذي بدأ بأوس بن حجر زوج أم زهير، وبلغ اوجه مع زهير والنابغة، وكان من ممثلي هـذا التيار كعب والحطيئـة (٢٠) أما بـرو كلمان فيرى ان قصيدة بانت سعاد من اشهر شعـر العرب وانها ألبست الشاعر حلة مجد لايبلى(٢١).

على انه هـو نفسه يضع نفسه في مـدرسة أبيه في أكثـر من موضع على حد قوله مثلا:

فـإن تسأل الأقــــوام عني فـإنني
أنــا ابـن أبي سلمـى على رغم مـن رغـم
أقـــول شبيهــات بما قــال عــالما
بهن ومـن يشبـــه أبـــاه فما ظلم
واشبهتــــه مـن بين مـن وطيء الحصـى
ولم ينتــزعني شبـــه خــال ولا ابـن عم
أنــا ابن الــذي قـد عـاش تسعين حجـة
فلـم يخز يــومــا في معــد ولم يلـم
وأكـــرمـــه الأكفـــاء في كـل معشر
كـــرام، فـإن كــذبتني فــاسـأل الأمم
أتى العجـم والآفــاق منــه قصـائد
بقين بقــاء الــوحي في الحجــر الأصم
أنــا ابن الــذي لم يخز في حيــاتـــه
ولم أخـزه حتـى تغيب في الــرجم(٢٢)

وأخيراً فقد صفت نفسه وتغيرت طباعـه بعد الإسلام فحين يهجي نراه يقول على غير العادة:

إن كنـت لاتــــــرهب ذمـي لما
تعــــرف مـن صفحـي عـن الجاهـل
فـــاحسن سكــوتي إذ أنـــا منصت
فيك لمسمـــوع خنـــا القـــائل
فــالســامع الــذام شريك لـــه
ومطعـم المأكـــول كـــالآكل
مقـــالـــة الســوء إلى أهلهـــا
أسرع مـن منحـــدر ســـائل(٢٣).

الهوامش:

١- ديوان كعب بن زهير صنعة سعيد السكري شرح. د. مفيد قميحة ص ٩ دار الشواف بالسعودية
٢- في روايـــــة لمسكــــري
تــــزيـــد الأرض إمـــا مـت خفـــا
وتحيـــا إن حييـت بها ثقـــلا
نـــزلت بمستقـــر العــرض منهــا
....
٣- الأغاني ١٤٧/١٥ ط. بولاق
٤- خزانة الأدب للبغدادي ٣٧٧ ط بيروت
٥- المأمون: أحد أسماء الرسول النهل: أول الشرب ،علك: سقاك تباعا
٦- طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر ٩٩/١ط ٢
٧-أيام العرب في الإسلام محمد أبـو الفضل ابرهيم، علي محمد البجاوي ص١١٦ – دار الجيل. بيروت
٨- يـرى الدكتـور طه حسين ان جـزءاً منهـا عبث به الـر واة وناليـنو، وشـوقي ضيف وأحمد الشـايب يـرون ان المدح فيهـا جرى على الطـريقـة الجاهلية كما يـرى د. طه حسين انه يشك في أن كعباً عرض بـالأنصار، ثم مـدحهم كما انه يأخـذ موقفـا متحفظا من قصـة البردة – حديث الأربعـاء ١٢٥,١٥٤ط. القاهرة ١٩٩٧٣.
٩- المنقب: الجماعة من الفرسان تجتمع للغارة
١٠- خزانة الأدب ١٣/٤ ويقول بروكلمان في تاريخ الشعوب الاسلامية هذا الاهـداء يشبه ماكانت تفعلـه خلال العصور الوسطى فكثيرا مـا كانت تقدم للشعراء والمغنين
١١- طبقات فحول الشعراء ٤٧/١ فوز : هلك وجرول لقب الحطيئة
١٢- في البيت الأخير إقـواء لايليق بكعب، وهناك من يـرى انها منحولـة، وان عليها بصمات شيعية الشعراء المخضرمون بين الجاهلية والاسلام هنية علي يوسف ص ٥٨ منشور ات جامعة قار يونس بليبيا ١٩٨٩
١٣- ديوانه شرح ودراسة د. مفيد قميحة ص ٢٦ نفسه ص ٦٦
١٤- ديوانـه ص ١٤٩ ورهمان: واد في ديار غطفـان. سوارهـا سورتها الهميم: الدبيب
١٥- حـديث الأربعـاء ١١١/١- ١٢٥ ط القـاهـرة ١٩٧٣ نفسـه ١٢١/١و١٢٢
١٦- خزانة الأدب للبغدادي ١١/٤
١٧- الشعر والشعراء ٨١-٨٢
١٨-ديوانـه ص ٥٢ شدت: ربطت حـدب المهاريك النـوق الهوج: اللاتي بهن هـوجاً لنشـاطهن. المراسيل: المسرعـات. الصماد: مـاغلظ من الارض، وهناك من ينسب القصيدة الى ابنـه: عقبة بن كعب بن زهير، على أنها بكعب أشبه.
١٩- الروائع فؤاد البستاني ص ٩٩ ط بيروت ١٩٥٣
٢٠- تاريخ الأدب العربي ١٥٩/١
٢١- ديوانه ١٣٦ (٤) الحيوان للجاحظ ١٥/١

مفهوم الأدب الإسلامي

أدب اسلامي

الأدب الإسلامي مصطلح يتردد على الألسنة في الأيام الأخيرة وتخصص له مجلات وتقام له نواد واصدارات تثلج الصدور، وتتابع فيه محاضرات وحوارات يحرص عليها الذين يتغيون معالي الأمور، وينشدون الكلمة التي تهدي للتي هي أقوم..

وانها لظاهرة كريمة تأتي في إبانها والحاجة اليها ماسة لتكسر مد ضروب من الكلام شعراً ونثراً وقصصاً أخذت وصف الأدب الحديث وحرية الرأي والكلمة، بالجري اللاهث وراء مايسمى إبداعاً، وماكان الإبداع له أبداً في مجرد أن نقول ونكتب كل مايخطر بالبال غير مدركين أي هدف كريم استهدفه الكلام، وأية عبارة عفة هادية بانية آثرناها لتعرب عما يجيش في نفوسنا ويترك في أفئدتنا كما قيل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

بقلم الشيخ / معوض عوض ابراهيم

..وقد كانت الكلمة في الجاهلية تساوق الفطرة وتوافق إلى حد كبير إعداد الله للنفس التي أماط اللثام عن طبيعتها بقوله تعالى:﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد/١٠] نجدي الخير والشر، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

ولعلنا نلحظ من قول رسول الله -صلوات الله عليه «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»وفي راوية بديلة « مكارم» رواه ابن سعد في الطبقات والبخاري في الأدب والحاكم والبيهقي واحمد- ماكان للعرب في جاهليتهم من مكارم وفضائل وآداب جاء النبي ليكملها إلى مايدعو إليه بدءاً من هدايات وكمالات..

فقد عفوا عن النظر إلى نساء الجيران وقال قائلهم:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأوها

وهو أدب طبع لاعجب أن نرى معه اختيارهم للكلمة التي جاء الإسلام بعد يكْبرها ويحث عليها في مثل قول الله تعالى:﴿وقولوا للناس حسنا﴾ [البقرة/٨٣].

ثم وهو سبحانه يجلو أرفع مضامين الكلمة فيقول:﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ [فصلت/٣٣].

ولقد كان الهجاء غرضاً من أغراض الشعر في الجاهلية، لكننا قلما نجد الكلام الذي يثير مشاعر الجنس، ويؤثر عبارات التسيب والانحلال والابتذال، التي تشيع في كثير من كلام من يعدون أدباء ومفكرين ومبدعين، وماهم من ذلك ولاقلامة ظفر..

كان الهجاء غرضاً من أغراض الشعر في الجاهلية

ومرة أخرى فلقد تردد مصطلح الأدب الاسلامي وعلت رايته ليفل حد ابتذال الفكر وإرسال الكلام على عواهنه غير ملتزم بالحق والخير والجمال التي يفيضها اسم الله في أولل آيات القرآن نزولاً على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق..﴾ في صدر سورة العلق وكم يكون مفيداً أن ننعم النظر بعد «اسم ربك» في كلمات «اقرأ» مكررة وعلم مكررة وربك الأكرم وإيثارها بالذكر هنا على غيرها من الصفات العلا.

وكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر من مشاهد صباه في سوق عكاظ قُس بن ساعدة الإيادي، وتردد في نفس النبي كلمات الرجل من فوق ناقته الحمراء، ويدعو اصحابه ان يرددوها عليه، وهي خليقة بأن تذكر منها(إن في السماء لخبرا، وإن في الارض لعبرا، مابال الناس يذهبون ولايرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا) يقسم قس قسماً لاحنث فيه، إن لله ديناً هو أرضى له من دينكم الذي أنتم عليه، ونبياً قد حان حينه، وأظلكم إبّانه فطوبى لمن أدركه فآمن به ثم أنشد:

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يمضي الأكابر والأصاغر
لايرجع الماضي إليّ
ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لامحالة
حيث صار القوم صائر

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ماذكر لي أحد من شعراء الجاهلية فوددت أن أراه إلا عنترة لقوله:

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

هذا كلام الفطرة فلما جاء الإسلام قال رجل

أنصف في لحظة من اللحظات وهو النضر بن الحارث (لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثا أرضاكم قولاً واصدقكم حديثاً، فلما بدا في صدغيه عارض الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم: إنه كاذب، والله ماهو بكاذب، والله ماهو بكاذب، والله ماهو بكاذب....) ثم مالبث الرجل ان سفه نفسه فزعم أنه قادر على أن يقول مثل القرآن الذي بلغه النبي إلى الناس عن ربه عز وجل فأكذبه الله وأنزل في ضلالته تلك:﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين. وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[الأنفال/٣١و٣٢]

وكان آخر أمره أن قتل وجاءت أخته تقول للنبي:

أحمد ولدتك خير نجيبة
في قومها، والفحل فحل معرق
ماكان ضرك لو مننت وربما
منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من قتلت قرابة
وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تمزق

وكم كان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة تترقرق وهو يقول «لقتيله»:

«لوذكرتنا بهذا ماقتلناه»!

والموقف يكاد يؤلف قصة تنفع بنهجها الذين يكتبون القصة القصيرة والمسهبة.. ولقد جاء الإسلام بهدايات الله وتوجيهاته في كلماته التي عرضت ايجاب الإيمان، وصدق العقيدة وبيان العبادات ومايستلزم من طهر المرأة وماأحل الله للزوجين من لقاء خاص، وعرض القرآن والسنة النبوية من الآداب في كل ذلك على النحو الذي لايخدش حياء أنثى، ولايثير في أحد الجنسين شهوة أو نزوة، ويوم قال أحد القسس للشيخ عبد الوهاب النجار صاحب كتاب« قصص الأنبياء» في أوائل هذا القرن الميلادي، وكانا قد التقيا في مدينة طنطا.

ماهذا الذي يقوله كتابكم- القرآن الكريم- عن يوسف وامرأة العزيز؟!

وبادر الشيخ يأخذ موقفاً بعد موقف من الآيات التي عرضت قصة يوسف في السورة التي تحمل اسمه... والعبارات من امثال ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾...



﴿وقالت هيت لك﴾.. ﴿قد شغفها حباً﴾. ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾.. ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾.. وأخذت حقائق القرآن وتناوله الرباني لجوانب الموقف -وحلم الشيخ وحكمته -من قلب الرجل بنياطه وأبدى اعتذاره للشيخ الجليل.

وكم عرفنا من أمثال هذا القس في مراحل عملنا في محافظات مصر ولبنان والأردن واقطار عربية ودول اسلامية، ومازال يبلغ العجب مداه من أدعياء الأدب والتجديد، الذين يتطاولون على الإسلام وكتابه ورسوله وهدايات الدين العظيم إذا روجعوا في ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة من أدب الإسلام أرغوا وأزبدوا وأعانهم على باطلهم أقوام يبغونكم الفتنة بما في قلوبهم من حزِّ المُدَى على الإسلام.

إن الأدب الإسلامي يأخذ خواصه من القرآن

> الأدب الإسلامي يأخذ خواصه من القرآن والسنة وأقوال الذين تخرجوا في مدرسة

والسنة وأقوال الذين تخرجوا في مدرسة النبوة ومن نهج منهجهم وتابع مسيرتهم في عصور تعاقبت قد توجد فيها ثغرات يطل منها على الشعر مثل من قال:

ماشئت لا ماشاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار

وقول الآخر

وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التي لم تخلق

إن في ذلك من المبالغة والإيغال وتوظيف الكلمة بجهالة مالا يخفي وجميل ان نمدح في قصد من أسدوا جميلاً للحياة والأحياء فإن الله تعالى علمنا كيف نحمده فهو أهل الحمد والثناء، ويوم جاء رجل أحد الأمراء يسأله حاجة .. قال ذلك الأمير، لن أقضي حاجتك فقال الرجل:

إن لي لمدحاً فقال له: لست في حاجة إلى مدحك فأنشد الرجل:

فلو كان يستغني عن المدح ماجد
لعزة شأن أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره
فقال: اشكروا لي، أيها الثقلان

فسارع الأمير الى قضاء حاجة الرجل...

...إنها عزة الإيمان وشرف العلم، ومجد القلم بما تصنعه الكلمة الطيبة من جسور الآمال... وحبال إحراز الرغائب...

فقهاء في الظل

شخصيات

علماء الاسلام وفقهاؤه كثيرون، متعددو المواهب والمذاهب والمدارس والعصور، نبغوا في علمهم فافاضوا علينا منه مانفعنا جيلا بعد جيل.
هؤلاء الفقهاء منهم من جانبه الظهور والشهرة وذاع صيطه وأضحى من فقهاء الضوء، ومنهم من بقي في الظل على رغم أنهم قدموا خدمات جليلة تتناسب وفقهاء الضوء.
اخترنا في هذا المقال ثلاثة من بعض فقهاء الظل الذين لم تقل افادتهم العلمية لنا عن إفادة فقهاء الضوء. هؤلاء الثلاثة هم ـ الامام الأوزاعي ـ شمس الدين السروجي ـ أبوجعفر الطحاوي.
ولكل نبذة مختصرة على حدة:

بقلم. أ.د/ مصطفى رجب

١ـ الامام الأوزاعي

هو أبو عمرو، عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد (بضم الياء وفتح الميم وسكون الحاء) من أشهر علماء الشام، كان يسكن بمحلة الأوزاع قريبا من دمشق ثم تحول إلى بيروت فسكن بها حتى مات فيها وكانت ولادته في حياة الصحابة نحو عام ٨٨هـ وتوفي سنة ١٥٧هـ.
طلب الأوزاعي العلم ونبغ فيه على أيدي كثير ممن أدركهم من التابعين الكبار ومنهم: عطاء بن أبي رباح، عمرو بن شعيب، مكحول، قتادة، الزهري، يحيى بن أبي كثير، عبدالله بن عامر اليحصبي، عطاء الخراساني، نافع مولى ابن عمر، ميمون بن مهران، عبدالرحمن بن القاسم وغيرهم.
وتتلمذ له وروى عنه كثير من مشاهير الفقهاء والمحدثين منهم: شعبة، والثوري، والامام مالك بن أنس، وابن المبارك واسماعيل بن عياش، وبقية بن الوليد، وشعيب بن اسحاق... وغيرهم.
وقد شاءت إرادة العلي القدير أن ينشأ الامام الأوزاعي يتيما فكانت أمه تنفق عليه وتنتقل به من بلد إلى بلد من أجل تحصيل العلم. ولنتركه يروي لنا بنفسه هذه القصة حيث قال:
مات أبي وأنا صغير، فذهبت ألعب مع الغلمان، فمر بنا فلان ـ وذكر شيخا جليلا من العرب ـ ففر الصبيان حين رأوه، إلا أنا فقال لي: ابن من أنت؟ فأخبرته:

> الأوزاعي طلب العلم ونبغ فيه على أيدي كثير ممن ادركهم من التابعين الكبار

فقال: يا ابن أخي، يرحم الله أباك ثم ذهب بي إلى بيته فكنت معه حتى بلغت فألحقني بالديوان وضرب علينا بعثا إلى اليمامة (أي أرسلنا نطلب العلم) فلما قدمناها ودخلنا مسجد الجامع وخرجنا قال لي رجل من أصحابنا: رأيت يحيى ابن أبي كثير معجبا بك يقول: ما رأيت في هذا البعث أهدى من هذا الشاب.
قال: فجالسته فكتبت عنه أربعة عشر كتابا.
ويبدو أن سبب هذا الاعجاب أن يحيى بن أبي كثير الذي كان يجلس لتعليم الناس في مسجد اليمامة نظر إلى صلاة ذلك الشاب الوافد فأعجبته صلاته وتوسم فيه خيرا، فلما تعارفا ترك الأوزاعي الديوان الملحق به وأقام عنده مدة يطلب العلم ثم نصحه استاذه بأن يتوجه إلى البصرة ليدرك أكبر علمائها آنذاك وهما: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، فسافر الأوزاعي إلى البصرة فوجد الحسن البصري قد مات وعلم أن ابن سيرين مريض فذهب إليه يعوده، وقد شهد له علماء الأمة بالعلم والزهد والورع.
* قال ابن المبارك: لو قيل لي اختر لهذه الأمة لاخترت لها سفيان الثوري، والا وزاعي، ولو قيل لي اختر احدهما لاخترت الأوزاعي لأنه أرفق الرجلين.
* وقال عبدالرحمن بن مهدي: انما الناس في زمانهم أربعة: حماد بن زيد من البصرة، والثورى بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام.
* وقال الشافعي ما رأيت رجلا أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي (يعني الشافعي بذلك أنه كان عالما عاملا بعلمه) فكل مايرويه يعمل به بحيث لا يكون حديثه في واد وعمله في واد آخر.
وكان اسحق بن راهويه ـ أستاذ البخاري ـ يقول: (إذا اجتمع الثوري والأوزاعي ومالك على أمر فهو سنة).
وقد شرح الحافظ الذهبي ذلك فقال ان مراد اسحق أنهم اذا اجتمعوا على مسألة فهو حق غالبا ولم يقصد السنة بمعناها الحرفي.
روى الذين شاهدوا الأوزاعي رحمه الله أنه

كان ملازما لقيام الليل وتلاوة القرآن وكان يقول دائما: من أطال قيام الليل، هون الله عليه وقوف يوم القيامة.
وقال الوليد بن مسلم عن نفسه: (ماكنت أحرص على السماع من الأوزاعي حتى رأيت رسول الله (ﷺ) في المنام والأوزاعي إلى جنبه.
فقلت: يا رسول الله عمن أحمل العلم؟.
قال: عن هذا.
وأشار إلى الأوزاعي).
قال أبو مهر: ما رئي الأوزاعي باكيا قط ولا ضاحكا حتى تبدو نواجذه، وانما كان يبتسم أحيانا، وكان يحيي الليل صلاة وقرآنا وبكاء وأخبرني بعض إخواني من أهل بيروت أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي وتتفقد موضع مصلاه رطبا من دموعه طوال الليل.
وكان طبيعيا أن يرفض رجل هذا شأنه أن يتولى مناصب الدنيا فقد رفض القضاء حين عرض عليه، ورفض مهادنة الحكام فجهر بما يراه صوابا في مجالسهم، وصدع بالحق فكرهه الحكام ولكن الله عوضه عن ذلك بحب الناس له.
قال سالم بن المنذر: لما سمعت الضجة بوفاة الأوزاعي خرجت فأول مارأيت رأيت نصرانيا قد ذر على رأسه الرماد، وخرجنا في جنازته أربع أمم: المسلمون واليهود والنصارى والقبط.
كان الأوزاعي يحب الصمت ويرى أن كلام المرء من عمله الذي يجازى به فيقول: من علم أن كلامه من عمله قل كلامه، وخطب يوما فقال:
(أيها الناس تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها، على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة. فانكم في دار الثواء فيها قليل، وأنتم مرتحلون وخلائف بعد القرون الذين استقلوا من الدنيا زهرتها وكانوا أطول منكم أعمارا، وأجد ـــ أي أقوى ـ أجساما، وأعظم آثارا فجددوا ـ أي قطعوا ـ الجبال، وجابوا ـ أي خرقوا ونحتوا ـ الصخور، ونقبوا في البلاد، مؤيدين ببطش شديد، وأجسام كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم وعفت آثارهم وأخوت منازلهم، وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحد، ولا تسمع لهم ركزا، كانوا بلهو الأمل آمنين، ولميقات يوم غافلين، ولصباح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم ما نزل بساحتهم بياتا من عقوبة الله فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين)، وكان الأوزاعي رحمه الله يقول: من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير).
ويكفي المسلمين اليوم أن يتأملوا هذا السطر الأخير من كلامه خير تأمل فيخلعوا عن أنفسهم هذه القيود الخانقة التي قيدوا بها أنفسهم في حب الدنيا.

٢- شمس الدين السروجي

هو أحمد بن ابراهيم بن عبدالغني بن أبي اسحق، قاضي قضاة الحنفية في مصر أيام المماليك ولد سنة ٦٣٧هـ ومولده في قرية صغيرة تابعة لمنطقة سروج بفتح السين الواقعة بحران من ديار مصر بالجزيرة ثم انتقل إلى القاهرة العاصمة فقرأ الفقه على يد كبار علماء عصره مثل قاضي القضاة سليمان بن أبي العز وهيب الأذرعي شيخ الحنفية في عصره (ت٦٧٧هـ) والشيخ نجم الدين اسحق بن علي بن يحيى (ت٧١١هـ) الذي زوجه من ابنته، والقاضي صدر الدين سليمان بن أبي العز وتمتد سلسلة الاساتذة بينه وبين تلميذه السروجي حتى تنتهي إلى الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان شيخ المذهب. وكان القاضي شمس الدين السروجي رحمه الله معروفا بالسماحة والعفة والمهابة وطلاقة الوجه وسعة العلم والفقه، ولكنه كان عزيز النفس لا يهاب أحدا ولا يراعي مكانة ذوي السلطة وأصحاب المناصب، ولعل هذا هو السبب في أنه لم يجد من يتوسط له أو يسانده عندما عزله السلطان من وظيفته، فمات بعد عزله بأيام قليلة مقهورا والراجح أن وفاته كانت سنة عشر وسبعمائة (٧١٠هـ) كما جاء في الطبقات السنية (١/ ٢٦١) وكحالة (١/ ١٤٠) وحاجي خليفة (١/ ٢٠٣٣) والزركلي (١/ ٨٦) والبداية والنهاية (١٤/ ٦٠) والمنهل الصافي (١/ ٢٠) وغيرها.

مارئي الأوزاعي باكيا قط ولا ضاحكا مظهرا نواجذه انما كانت ضحكاته تبسما وبكاؤه دموعا رطبة

ذكره الذهبي في تاريخه وقال عنه: كان نبيلا وقورا فاضلا كثير المحاسن والبر وما أظنه روى شيئا من الحديث وكان أحد الفقهاء الأذكياء وتواليفه دالة على ذلك، عاش ثلاثا وسبعين سنة، ثم عزله السلطان من الحكم لا لنقص فيه بل لقيامه في دولة الجاشنكير لما تسلطن.
انتهى كلام الذهبي، الجاشنكير المشار إليه هو بيبرس بن عبدالله المنصور قلاوون الجاشنكير، وتولى سلطنة المماليك في شوال ٧٠٨هـ وعزل نفسه في رمضان ٧٠٩هـ بانقلاب. ويتضح من هذا النص للمؤرخ الذهبي، الذي كان معاصرا لهذه الحقبة أن القاضي السروجي أيد الجاشنكير في انقلابه، فلما عزل نفسه بعد عام تقريبا وعادت السلطة إلى الحاكم الشرعي السلطان الناصر بن قلاوون، قام بعزل القاضي السروجي جزاء تأييده للانقلاب الفاشل.
وقد روي الذين أرخوا للقاضي السروجي أنه كان ورعا تقيا فكان إذا استدان من أحد مالا سجله في دفتر معه وأوصى قبل موته بتسديد ديونه طبقا لهذا الدفتر، فجاء شخص بعد موته إلى أسرته وذكر أن له عنده مبلغا من المال قدره مائتا درهم فبحثوا فلم يجدوه في الدفتر، فرآه شخص من أصدقائه في منامه فقال له: إن الرجل صادق وأن المبلغ مكتوب بقلم دقيق يعني بخط غير واضح فانتبه صديقه وجاء إلى أسرته فبحثوا فوجدوه كما قال.
ولا يزال بعض تراث القاضي السروجي موجودا، وله قدره ومكانته في المذهب الحنفي، فقد وضع شرحا على كتاب (الهداية) سماه (الغاية) وكتاب «الهداية» مشهور في المذهب الحنفي بوصفه واحدا من أهم مصادر المذهب وقد ألفه شيخ الاسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (ت٥٩٣هـ) وهو شرح لمتن من تأليف المرغيناني نقد اسمه (بداية المبتدي) وهذا المتن مستفاد بصفة أساسية من مختصر القدوري ومن الجامع الصغير للامام محمد تلميذ الامام أبي حنيفة.

وقد لقي كتاب «الهداية» عناية بالغة من الاحناف منذ بداية تأليفه فقد شرحه حميد الدين البخاري (ت٦٦٧هـ) في جزأين، وشرحه الشيخ قوام الدين محمد بن البخاري الكالي (ت٧٤٩هـ) في كتاب سماه «معراج الدراية إلى شرح الهداية» وشرحه الامام تاج الشريعة عمر بن صدر الشريعة الأول عبد الله المحبوبي الحنفي (ت٦٧٢هـ) في كتاب أسماه «نهاية الكفاية في دراية الهداية».

ثم جاء القاضي السروجي فوضع شرحا موسعا أسماه (الغاية في شرح الهداية) يقع في ستة مجلدات وصل فيه إلى باب (شرح) وتوفي قبل أن يكمله ثم أكمله بعد وفاته إلى باب (المرتد) في ستة مجلدات أيضا القاضي سعد الدين الديري (ت٨٦٧هـ) ومات قبل أن يكمله. وللسروجي أيضا كتاب سجل فيه اعتراضاته على ابن تيمية في بعض آرائه في علم الكلام، وقد رد عليه ابن تيمية ولا نعلم شيئا عن هذا الكتاب.

وله أيضا كتاب (تحفة الأصحاب ونزهة أولي الألباب) وهو مخطوط توجد منه نسخة بالمكتبة العباسية في البصرة يقع في مائة وثمانين ورقة، وله كتاب أيضا ذكره البغدادي في ايضاح المكنون وأسماه (نفحات النسمات في وصول الثواب إلى الأموات) غير أن البغدادي أخطأ في تاريخ وفاة السروجي اذ ذكر أنها كانت عام٧٠١هـ والصواب هو ٧١٠هـ كما أشرنا من قبل.

٣- أبو جعفر الطحاوي

هو الامام الفقيه الحافظ المحدث أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن سليم الأزدي الشهير بـ (الطحاوي) نسبة إلى (طحا) وهي قرية صغيرة تتبع محافظة المنيا الآن في صعيد مصر وقد ورد اسم هذه القرية في كتب الجغرافية القديمة علما على قريتين من قرى المنيا، ولكن ياقوت الحموي عندما ترجم للفقيه أبي جعفر الطحاوي ذكر أنه ليس من طحا هذه وانما هو من قرية أخرى بالصعيد تسمى (طحطوط) وكان يكرم من ينسب إليها فيقال له (الطحطوطي) فاختار لنفسه لقب (الطحاوي) لخفته، وليس بعيدا أن تكون طحطوط هذه هي (طحطا) التي تنطق الآن (طهطا) وإليها ينتسب رفاعة الطهطاوي وكثيرون غيره من أهل العلم وهي من مدن محافظة سوهاج حاليا.

ولد الشيخ أبو جعفر سنة ثمان أو تسع وثلاثين ومائتين ٢٣٨هـ أو ٢٣٩هـ، والثاني أرجح، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قولا واحدا ٣٢١هـ، وبذلك يكون قد عاش ما يناهز اثنين وثمانين عاما انفقها في العلم والتعليم والتأليف.

كان في بداية أمره شافعيا ثم تحول إلى مذهب أبي حنيفة وبرع فيه حتى صار قاضي قضاة الحنفية بمصر، وقد روي في سبب تحوله عن مذهب الشافعي انه كان يلازم خاله أبا ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤هـ) وذات يوم ضاق خاله به ذرعا فقال له موبخا لائما (والله لا يجيء منك شيء) فغضب الطحاوي وترك مجلس خاله وانتقل إلى مجلس أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي فاشتغل عليه حتى نبغ في المذهب الحنفي وألف فيه كتابه (المختصر) وبعد أن نال ما نال من الشهرة والمكانة والتأليف قال متحسرا على اليمين التي أقسمها خاله المزني: رحم الله أبا ابراهيم (لو كان حيا لكفر عن يمينه).

وذكر أبو يعلي الحنبلي في كتابه (الارشاد) في ترجمة المزني أن الطحاوي المذكور كان ابن أخت المزني، وأن محمد بن أحمد الشروطي قال: قلت للطحاوي لم خالفت مذهب خالك واخترت مذهب أبي حنيفة؟ فقال لأني كنت أرى خالي يديم النظر في كتب أبي حنيفة فلذلك انتقلت إليه.

قال الحنفية في كتب طبقات مذهبهم، وهذا هو الأليق بشأن هذا الامام والأحرى به وأنه لم ينتقل من مذهب إلى مذهب بمجرد الغضب وهوى النفس لأجل كلمة صدرت من استاذه وخاله وفي زمن الطلب والتعلم

شمس الدين السروجي كان نبيلاً وقوراً فاضلاً كثير المحاسن والبر فقيها ذكياً.

بل لما استدل به على ترجيح مذهب الامام الاعظم وتقدمه في صحة النقل وايضاح المعاني بالادلة القوية، وحسن الاستنباط من كون خاله المزني مع جلالة قدره، ونور علمه، وعزيز فهمه كان يديم النظر في كتب أبي حنيفة ويتعلم على طريقته.

ولا شك أن هذا التأويل من الاحناف نابع من حبهم لمذهبهم، ومع ذلك فمن المحتمل أن تكون الروايتان صحيحتين وأن تكون الواقعة الأولى وهي التوبيخ قد حدثت، ولكن الطحاوي لما تقدمت به السن واتسع علمه وسئل عن سبب تحوله لم يشأ أن يذكرها لأنها تصور تهور الشباب واندفاعه فاستند إلى حجة علمية مقبولة. وقد روى الطحاوي عن هارون بن سعيد الايلي وعبدالغني بن رفاعة، ويونس بن عبدالأعلى، وعيسى بن مثرود، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وبحر بن نصر وطبقتهم.

وروى عنه أحمد بن القاسم الخشاب، وأبو الحسن محمد بن أحمد الأخميمي ويوسف الميانجي. وأبو بكر بن المقرىء والطبراني وأحمد بن عبد الوارث الزجاج وعبد الغني بن محمد الجوهري قاضي الصعيد ومن مؤلفات أبي جعفر الطحاوي في الفقه الحنفي كتاب (الشروط الكبيرة) و(الشروط الصغيرة) والمختصر الكبير، والمختصر الصغير، وشرح الجامع الكبير — والجامع الكبير ألفه محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة وتلميذه وهو من أهم أصول المذهب الحنفي - وكتاب الوصايا وكتاب الفرائض وكتاب شرح مشكل أحاديث رسول الله (ﷺ) وكتاب أحكام القرآن وكتاب التسوية بين حدثنا وأخبرنا، وكتاب الاختلاف بين الفقهاء وهو مخطوط لا يزال الجزء الثاني منه موجودا في دار الكتب المصرية.

وذكر الزركي أن له كتابا في التاريخ كبيرا منه مجلدات مخطوطة موجودة في مكتبة اسطنبول بتركيا واسمه معاني الأخيار في أسماء الرجال ومعاني الاثار، كما نسب له كتاب اسمه (مناقب أبي حنيفة) ومن كتبه المطبوعة حاليا (شرح معاني الاثار) و(الشفعة) و(مشكل الاثار) وهو أربعة مجلدات ولعله هو الذي ذكرناه باسم (شرح مشكل الحديث).

● رحم الله علماءنا وجزاهم عن أمتهم كل خير ونفعنا بعلمهم■

الأمانة والوفاء

إشراقات تربوية

بقلم:
د. الشيخ جاسم مهلهل ياسين

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ [الأحزاب/٧٢] إنها إذن مسئولية كبيرة أن يحمل الإنسان أمانة لتكاليف الشريعة ليقوم بها في الأرض فيستحق أن يكون خليفة بحق عن الله سبحانه، يعمر الأرض بالتقوى ويغرسها بالفضيلة ويستمر على ذلك إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات، أما الذين اتخذوا من الأرض مسكناً ورتعوا فيها رتع الأنعام أخبر الله عنهم بقوله: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان/٤٤] وهل تقوم الأنعام بواجب الخلافة في الأرض وإن عاشت وأكلت من نباتها؟ وكذلك الذين لا يقومون بواجب الأمانة العظمى هم خلفاء في الأرض بغير الحق، فالكرامة الإنسانية هي في تحمل الأمانة العظمى وهي طاعة الله والتزام أوامره واجتناب نواهيه، ويدخل تحت هذه الأمانة العظمى أمانات كثيرة وعديدة تنطوي تحت شعور المرء بمسئوليته نحو ما يسند إليه وما يؤمر به مما يوافق الحق ولا يخالفه، ولذا كانت جزءاً من الدين له أهميته حتى لتعد وكأنها الدين كله، فمن فقدها فكأنما فقد الدين، وحاد عن الصراط المستقيم، ومن هنا كان قول الرسول صلى الله عليه وسلم «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» والحق أن الأمانة جمعت جوانب الدين كله، فإخلاص الإنسان عبادته لربه واعتقاده بواحدانيته أمانة، وقيامه بحق الناس عليه أمانة، ورعايته والديه وأبناءه وجيرانه والأقربين أمانة،وقيامه بما فرض الله عليه أمانة. فلا غرو أن جعلها رسول الله كأنما هي الدين.

وهل رأيت عملاً يقوم ويثمر من غير أن تكون الأمانة هي لبه وجوهره؟ إن الخيانة إن تسربت إلى عمل من الأعمال فسد وأضر وأهلك، والذين يستغلون بعض ما هم فيه من ثغرات فيخونون دون أن يحاسبوا، يضربون الأمة في ضميرها ويفسدون عليها أبناءها، ويعملون على خلخلة القيم، وغرس الشكوك والشرور، لأنهم خانوا وانحرفوا مع أن الأصل أن يكونوا أمناء جادين حافظين لما تحت أيديهم من مسئوليات، ألا ترى إلى موسى عليه السلام حين سقى إلى المرأتين، كان المبرر لاستئجاره أمانته: ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص/٢٦] والأمانة قوة في النفس تغني - إن وجدت - عن قوة الأبدان، وإن لم توجد فلا قيمة لغيرها من المبررات معها، وهذا أبو ذر يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا ولاية فيقول له الرسول: «يا أباذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» فقوة الأمانة تؤدي إلى صلاح الأمة، فتسقط الشفاعات الباطلة، وتتوارى الخيانات بعيدا عن حياة الشرفاء الذين عرفوا الأمانة في أنفسهم وأهليهم، وما ولوا عليه، وأدركوا مسئوليتهم في إصلاح الأمة وأبنائها، وعلموا أن خيانتهم تأتي ظاهرة يوم القيامة حين يحاسبهم الله، كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به، فيقال هذه غدرة فلان...» فالخائنون يفضحهم الله يوم القيامة، لأنهم خانوا الأمانة ولم يصونوها واعتدوا على حقوق الآخرين ولم يرعوها وإذا كان هذا جزاء الخائنين فإن جزاء الأمناء عند الله عظيم، لأنهم بذلك يكونون كالمجاهدين الذين يوفون أجرهم. وقد أخبر بذلك الرسول ﷺ في قوله: «العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق، لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته».

وقد ورد التهديد الشديد للذين يأخذون أموال الناس تحت أي اسم من الأسماء التي يقبلها الناس، وقد شاع في عرف الناس إنكار الرشوة، وقبول الهدية، والناس في بعض الأحوال يعطون اسم الهدية للرشوة، ويظنون أن الاسم يغني عن الفعل، وأنهم بمنجاة من عذاب الله مادامو لم يذكروا اسم الرشوة في معاملاتهم.

وهذا فهم في الدين سقيم، لأن الله هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، عليم بكل شيء مطلع على الخواطر، لا تنطلي عليه - سبحانه - حيل البشر، والظاهر من فعل الناس عنده كالمستتر، لا يزداد الظاهر بظهوره وضوحاً، ولا يخفى المستتر بستره خفاء.: ﴿يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ [النحل/١٩].

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء أخذ أموال الناس بغير حق حين استعمل ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلي.

فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم، وهذا هدية أهديت إلي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول: اللهم هل بلغت».

فكل من أخذ شيئاً بغير حقه، فإنه يحمله يوم القيامة ليحاسب عليه أمام الله. وأولى بالانسان أن يتبع هدى المرسلين وأن يتمسك بتعاليم الدين حتى لا يضل الطريق فيكون مع الخائنين. الذين يأتون يوم الدين: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ [الأنعام/٣١]

أسأل الله أن يجعلنا من الأمناء.... ■

الطب والاستشفاء عند المسلمين الأوائل

حضارة

ما إن انتهيت من قراءة أحد كتب التراث الإسلامي ـ وهو كتاب مترجم حتى انتابتني أحاسيس ومشاعر متضاربة.. إحساس بالاعتزاز والانتماء إلى هذه الحضارة التي كانت متفردة لا منافس لها قرونا عديدة.. وهذا التراث الضخم الذي بقي خالداً يدل عليها.. وأحاسيس أخرى بالإشفاق والغضب على ما يفترى عليها من المفترين.. وتذكرت تلك المطالب التي نادى أصحابها بأن يتولى دراسة التراث وتدوينه أشخاص من ذوي الكفاية والأمانة..«لأن دراسة التراث قامت عليه جماعة من المستشرقين.. وهؤلاء معظمهم غير مبرأ من الغرض أو الهوى» .(١)

بقلم: بهيج بهجت سكيك

ولأن الذين درسوا التراث أغلبهم من الغربيين ولا تخلو كتاباتهم من تميز ضد الحضارات السامية.. حتى إن الكاتب الكبير عباس محمود العقاد قد كتب «أن البدعة الحديثة التي نشأت حول الآرية والسامية قد جنحت بالأوروبيين منذ ظهرت فيهم إلى اختصاص الحضارة العربية بالنقل دون الإبداع.

وهذا ما شعرت به حين حاول ذلك المستشرق أن يبين أن كل دور العرب في الحضارة كان هو الترجمة والنقل.. دون الاضافة أو الابتكار والإبداع. بل ذهب إلى أبعد من ذلك فرأى «إن كان هناك مبدعون في أوائل عهد النهضة العربية فهم إما نصارى وإما يهود.. وإن كانوا مسلمين فهم فرس وأتراك وغيرهم وليسوا عَرباً » وهذا رأى مستشرق آخر «قد لا نتوقع أن نجد عند العرب تلك العبقرية العظيمة وموهبة الابتكار العلمي والنشاط الفكري الذي نجده عند الإغريق، فالعرب هم تلامذة الإغريق قبل كل الشعوب الأخرى، وعلومهم إنما هي تكملة لعلوم الإغريق حفظوها وصانوها من الضياع والقلق». (٢)

ولولا سماحة الإسلام ومظلته الوارفة التي استظل بها هؤلاء العلماء من يهود ونصارى.. ما تمكنوا من هذا الابداع الذي وفّر لهم الإسلام كل أسبابه!.. الرفاه الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، والبعد عن العنصرية التي تميزت بها الحضارة الغربية!! أما قولهم إن علوم الغرب تكملة لعلوم الإغريق فهذا هو الافتراء بعينه.. فالمسلمون بعامة والعرب بخاصة قد طوروا وأضافوا لتلك العلوم، واعتمدوا التجربة والمشاهدة والاستقراء الحسي، انطبق ذلك على كل فروع المعرفة.. ومنها الطب والاستشفاء.

الحجامة والفصد والكي

انفرد العرب القدماء بهذه الأساليب العلاجية.. والتي ثبتت صحتها اليوم وتعمل بها كثير من الدول.. إضافة إلى التداوي بالأعشاب فهو من وسائل العلاج العربية.. وقد اختص الله سبحانه وتعالى صحارى العرب بأندر أنواع الأعشاب التي تصلح للتداوي والعلاج.

ومن أحاديث العرب.. حديث يقول: «العلم علمان... علم الأديان وعلم الأبدان وكان علم الأبدان وهو «الطب» في الجزيرة العربية بدائيا بسيطاً للغاية وقد اختلطت فيه العلاجات الصحيحة بالشعوذة والطلاسم التي اعتمد عليها الناس في مقاومة إصابة العين... واستخدام الحجامة والفصد.. وغير ذلك مما تضمنته التقاليد المعروفة «الطب النبوي» التي توارثها الخلف عن السلف.(٣)

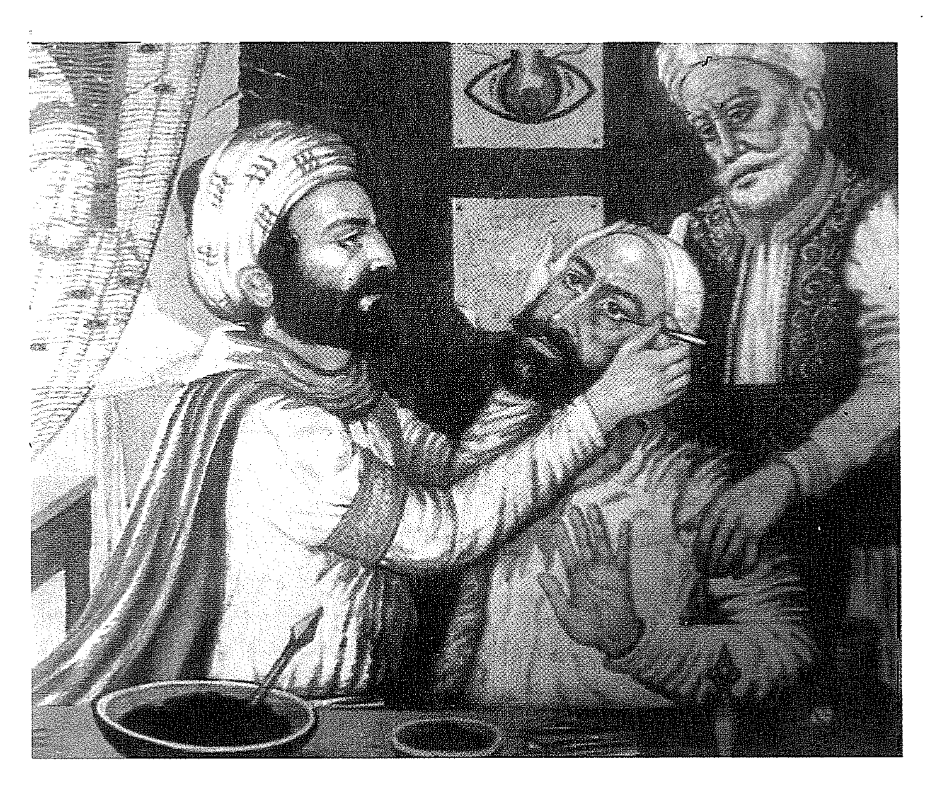
كان من رأس الأطباء العرب في القرن الأول الإسلامي «الحارث بن كلدة» (توفي ٦٣٤م) وهو ثقفي من الطائف جاب البلاد وتعلم الطب في بعض نواحي فارس فكان أول من تخرج تخرجا علمياً وسمي طبيب العرب وخلفه في صناعته ابنه «النضر» ابن خالة الرسول صلى الله عليه وسلم. ومع اتساع الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً كان الطب الإغريقي قد فقد حيويته وقوته.. ولم تبق منه إلا تقاليد رثة.

وأول من اتخذ الأطباء الخصوصيين من الخلفاء هو معاوية الذي اتخذ الطبيب ابن آثال النصراني!! والحجّاج اتخذ «ثياذوق» طبيباً، أما الخليفة مروان بن الحكم فقد طببه «ماسرجويه» اليهودي الديانة الفارسي الأصل البصري الموطن... أما الخليفة الوليد ابن عبدالملك فهو أول من عزل المجذومين عن سواهم من الناس ودبر أمر العناية بهم. (٤)

لم يكن في بلاد العرب مدارس طبية.. وكانت

أقرب المراكز العلمية الطبية إليهم «الرها» ثم «نصيبين» وكان القائمون عليها من النساطرة وهم فرقة مسيحية تنسب إلى نسطوريوس بطريك القسطنطينية، الذي طرد هو وأنصاره من القسطنطينية وتوفى منفياً سنة ٤٢٠م. وانتشر اتباعه ونبغوا في الفلسفة والطب والكيمياء والفلك...

كما ازدهرت الأكاديمية العلمية في الإسكندرية عاصمة مصر خلال العصر الذي سبق الفتح الإسلامي، وهذه الأكاديمية استندت إلى مبادىء جالينوس الطبية. وفي غضون النصف الأول من القرن السادس الميلادي أصبحت – «جند يسابور» جنوب غربي إيران – أهم مركز علمي عندما أرسل كسرى أنو شروان رجاله إلى الهند للبحث عن الكتب، فترجمت الكتب من السنسكريتية إلى السريانية. وصارت تغذي دمشق عاصمة الخلافة الأموية بالأطباء.



أطباء لا مترجمين

كان حكم العباسيين منذ سنة ٧٥٠م بشيراً بحلول دور السؤدد والعظمة والاستقرار في حياة امبراطوية المسلمين (٥) ففي زمن الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (٧٥٤م – ٧٧٥م) استؤنفت ترجمة كتب الطب اليوناني في جنديسابور ومنها استقدم الخليفة طبيبه «جرجيس» الذي ينتمي إلى أسرة «بختيشوع» المسيحية وكان إذ ذاك شيخ أطباء مستشفى «جند يسابور» الشهير، واستخدم الخليفتان موسى الهادي وهارون الرشيد طبيباً آخر من هذه الأسرة الشهيرة.

وفي عهد المأمون وصلت حركة الترجمة والجهود الثقافية ذروتها وعصرها الذهبي بإنشاء بيت الحكمة الذي عمل فيه اشهر الأطباء والمترجمين من أمثال « يوحنا بن ماسويه» و«حنين بن اسحق العبادي» وولده «اسحق بن حنين» و«قسطا بن لوقا» و«ثابت ابن قرة» و«سنان بن ثابت» «وأبو يعقوب الكندي» وكثير غيرهم.. قاموا بترجمة كتب جالينوس وأبقراط وارسطو..، ولما أصبحت معظم الكتب عربية، اختفى معهد «جنديسابور» وانتقل جميع الأطباء تدريجياً إلى بغداد وسامراء، حيث جدد الخليفة المتوكل مكتبة بغداد ووضع على رأسها «حنين بن اسحق» كما بقي لمدرسة الإسكندرية نفس الدور، حيث كان طلاب المدرسة يعملون بنفس نظام حنين.

كما نبغ العرب في هذه الحقبة في نوع من التراث الطبي وهو ما عرف بالكتاب «الموسوعي» الموضوع على شكل أسئلة وأجوبة. (٦)

وفي نهاية عصر الترجمة والنقل كان أطباء العالم الإسلامي قد كتبوا وهم على أسس مكينة من المعرفة لعلوم اليونان، ثم أخذوا يعتمدون على مصادرهم ومنابع علومهم الخاصة. وانتقلت العلوم بسرعة من أيدي النصارى والصابئة إلى أيدي علماء المسلمين.

الرازي... «طبيب موسوعي

ولد الرازي في بلدة الري التي تقع قرب طهران الحالية. درس في بغداد وتلقى علومه على يد الأستاذ «حنين بن اسحق» كان واسع الإطلاع إلى درجة الإحاطة بكل فن وعلم.. غزير الإنتاج، فقد كتب أكثر من مائتي كتاب نصفها طبي، وأعظم ما خلفه الرازي ما كتبه عن الجدري والحصبة، والذي ترجم إلى لغات وأعيدت طبعته الإنجليزية أكثر من أربعين مرة.

وكذلك كتاب «الحاوي»: كان الرازي عندما يريد الكتابة عن أي مرض، ينقل أولاً جميع أقوال العلماء والمؤلفين اليونان والسريان والعرب والهنود والفرس، وأخيراً يدلي برأيه وتجاربه حيث كان يحتفظ بأمثلة عديدة رائعة، جاءت نتيجة علاجه وتشخيصه.

كما ألّف أبو بكر محمد بن زكريا الرازي [٨٦٥م – ٩٢٥م] في الطب الروحي «طب النفوس» وأراد منها «إصلاح الأخلاق» وكتابه طب النفوس يتكون من (٢٠) فصلاً الأول في «فضل العقل» والثاني في «الهوى» والثالث في «العشق» والرابع في «العجب» وفي الحسد وفي الغضب. والكذب والبخل والغم والشره وشهوة النفس واعتبرها كلها أمراضاً نفسية. (٧) كما أكد أن عدوى الأمراض تسري بوساطة الماء والتراب. ومن الذين اهتموا بطب النفس – عبدالله بن جبرائيل – الذي يرى وجوب النظر على الطبيب في الأحداث النفسانية – وسمي الطبيب عالماً وليس فيلسوفاً واعتبر الطب غير الفلسفة، ودعا إلى دراسة الطب بالممارسة والتجربة لا بالقراءة فقط.. يعتبر كتابه هذا دعوة إلى تطوير الطب وإلى إخضاع الإضطرابات النفسية للمعالجة الطبية، كان عبدالله هذا معاصراً للطبيب ابن بطلان ويجتمع إليه ويأنس به وبينهما صحبة.(٨)

«تخدير وقسطرة

أما التخدير فمبتكره الشيخ الرئيس ابن سينا حين اعتمد على بعض النباتات كالزوان

والشيلم في تخدير جسم المريض أثناء العمليات الجراحية. كما أنه أول من اكتشف مرض الانكلستوما وسبق بذلك العالم البريطالي «دوبيني» بمئات السنين (٩) وهو أول من اكتشف عدوى مرض السل وله دراسات قيمة في أمراض قرحة المعدة.. كما أنه ربط بين الأسباب النفسية والاضطرابات المعدية.. كما قام بتشريح العين..

وابن سينا العالم الموسوعي الذي نبغ في العديد من العلوم والمعارف يتحدث عن نفسه فيقول: ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه. وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم ان برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرؤون عليّ علم الطب.. وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة. (١٠)

ولقد نشر النص العربي لكتاب القانون في روما ١٥٩٣م فهو من أقدم الكتب العربية المطبوعة.. وقد ظل هذا الكتاب الحجة والمرجع في الطب مدة أطول من أي قوة بلغها كتاب طبي آخر. وهذا ما أكده وليم أوسلر «William osler» واعتبره من أهم الأطباء «السريريين» في سائر أنحاء العالم في العصور الوسطى.

أما القسطرة والتي تعتبر من أساليب الطب الناجحة اليوم فأول من وصفها الطبيب الجراح أبو القاسم الزهراوي في كتابه «التصريف» والذي يقع في ٣٠ جزءاً، وقد نقل إلى أكثر من لغة وظل مرجعاً للجامعات في أوربا حتى مطلع القرن السابع عشر.

والقسطرة — عند الزهراوي - كانت أنبوبة مخروطية الشكل مصنوعة من العظام أو العاج أو المعدن، ويتصل بطرفها من الناحية الأخرى كيس جلدي أو مثانة حيوان.. واستخدمها لمن عجز عن تصريف بوله والقسطرة اليوم تستخدم لتصريف البول.. وللقلب.. والأوردة والشرايين التاجية وتستخدم فيها آلات حديثة. (١١)

وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي [٣٢٤ - ٤٠٣] مارس التسليخ - التشريح - للتعرف إلى جسم الإنسان!! وكان يرد على المعارضين والمحرِّمين لذلك بأنه تقرب من الله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات/ ٢١] عاش الزهراوي في عهد الخليفة الحكم الثاني الذي يشجع العلم وهو ينسب إلى مدينة الزهراء بالأندلس حاضرة الخلافة هناك.. والزهراوي قد صمم عدة طرق للكي حسب الحاجة إليها.. وترك وصايا ذات قيمة للجراحين سجلها في كتبه.. وصفه المستشرقون بأنه المثل الأعلى للعلم ومحيي الجراحة أما كتابه «التصريف» - المخطوط فهو موزع بين عدة مكتبات في الرباط وبرلين، والمكتبة الوطنية في مدريد، ومكتبة ولي الدين في استامبول. كما يوجد القسم الخاص في فيينا (١٢) وظل هذا الكتاب — الكتاب المدرسي الأول للجراحة - قروناً عديدة في مدرستي مونبليه وساليرنو وكان به صور وأشكال مختلفة لآلات طبية تأثر بها مؤلفون آخرون. (١٣)

«كبير مؤرخي الطب

لقد عرف العرب «الطبيب السريري» الذي يسمى اليوم - المدارس العام — و«الطبيب الموسوعي» الذي جمع فروع المعرفة وتخصص في أكثر من مجال في الطب ثم «الأطباء المؤلفون» الذين كتبوا وأرخوا لهذه المهنة ومنهم عليّ بن سهيل الطبري الذي تعلم من الرازي وخلفه.. أما كبير مؤرخي الطب فهذا اللقب حازه عن جدارة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن أبي أصيبعة. (١٢٠٣ - ١٢٧٧م) الذي درس في القاهرة واشتهر في دمشق واشتهر كتابه الذي منحه هذا اللقب.. والذي يعتمد عليه المؤرخون وكتاب التراث فهو: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» وفيه سير ٤٠٠ من رجال الطب. كما كان هناك فئة من الأطباء اتخذوا الطبابة كحرفة كمالية إلى عمل آخر يتعاطونه.. منهم في الأندلس ابن رشد وابن ميمون وابن باجة وابن طفيل.. وكانوا في الدرجة الأولى فلاسفة.

أما ابن الخطيب - الكاتب والمؤرخ والوزير - فكان طبيباً أيضاً وهو الذي أثبت أن الطاعون ينتقل بالعدوى وقد أثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة، وهذه مواد البرهان. (١٤)

هل اختصت الحضارة العربية بالنقل فقط دون الابداع؟

- كحالين وبياطرة

لا يمكن الفصل بين الطب — كعلاج - والدواء.. فالصيادلة أو «الكحالين والعشابين» كما عرفوا في فترات سابقة.. كان دورهم متمماً للأطباء.. ونبغ منهم قائمة طويلة - لا يتسع المجال لذكرها - منهم على سبيل المثال على ابن عيسى - اشهر كحالي العرب - فقد ألف ٣٢ كتاباً في اللغة العربية في علم الرمد والأدوية المناسبة لعلاجه وأفضل هذه الكتب «تذكرة الكحالين» الذي لا يزال محفوظاً في شكله الكامل الأصلي.

أما ابن البيطار - عبدالله بن أحمد — أشهر علماء النبات والصيدلة والذي ولد في مالقة ودرس الصيدلة في الأندلس وشمال افريقيا ثم انتقل إلى خدمة الملك الأيوبي الكامل بالقاهرة - كان كثير الأسفار توفي بدمشق (١٢٤٨م) وأهم كتبه «المغني في الأدوية المفرودة» والثاني «الجامع في الأدوية» ،وهوعبارة عن تحليل لمجموعة من الأدوية البسيطة والمركبة.. هذه الكتب ارتقت بعلم «الأقرباذيين» إلى درجة كبيرة.

أما في البيطرة - فقد اشتهر يعقوب البيطار الذي عمل عند الخليفة المعتضد وقد وضع رسالة في تربية الخيل محفوظة اليوم في المتحف البريطاني.

إن التعرض والكتابة عن الصيدلة والبيطرة عند العرب يحتاج إلى مبحث آخر.

«رقابة صحية

ومن مفاخر الحضارة الإسلامية التقدم العلمي الذي صاحبه تقدم اجتماعي فقد كثر عدد المشتغلين بالطب، واندس بينهم فئة من المشعوذين والدجالين، ولذلك أمر الكثير من الخلفاء بإجراء اختبارات للعاملين في هذا الميدان واستبعاد كل من لا يصلح لذلك. وخضع الأطباء والصيادلة للمراقبة من المحتسب، الذي ارتفع شأنه وصار يقوم بالاشراف على ٢٤ مجالا كالآداب العامة - والحمامات - والموازين والمكاييل - والغش في النقود — بل إن بعض الكتاب أحصى مهام المحتسب أكثر من مائة مهمة.. وصار

المحتسب يعين بمرسوم يصدر عن السلطان نفسه، ولا عجب فهو يقوم بما تقوم به عدة وزارات اليوم: كالبلدية ووزارة التموين، والتجارة والصناعة، والشؤون الاجتماعية، والداخلية وغيرها.

وصارت مراقبة الأطباء والصيادلة تعرف بقانون الدفاع الاجتماعي.. وهذا نص فريد نقله أحد الكتاب عن مهام المحتسب وما يطلبه من الطبيب إذا ما دخل عليه المريض:

«وينبغي إذا دخل الطبيب على المريض وسأله عن مرضه وما يجد من الألم ثم يرتب له قانونا من الأشربة وغيرها من العقاقير.

ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض.. وإذا كان من الغد حضر ونظر إلى دائه ونظر إلى قارورته.. وسأل المريض هل تناقص به المرض أم لا؟ ثم يرتب له ما ينبغي على حسب مقتضى الحال، ويكتب له نسخة ويسلمها لأهله وفي اليوم الثالث كذلك وفي الرابع كذلك إلى أن يبرأ المريض أو يموت.. فإن برىء من مرضه أخذ الطبيب أجرته، وإن مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور، وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب. فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير قال: هذا قضاء بفروغ أجله وإن رأى الأمر خلاف ذلك قال لهم: «خذوا دية صاحبكم من الطبيب». (١٥) ولهذا كان الطبيب يحتاط في معالجته ولا يتهاون في شيء ولا يزاول المهنة إلا من هو أهل لها.

المشافي - «البيمارستانات»

فكرة عزل المرضى في معازل بعيدة كانت معروفة قبل الإسلام.. ولكن تطورها بهذا الشكل حتى وصلت إلى ما نعرفه اليوم تقريباً، كانت بفضل القائمين على أمور المسلمين، وذلك بشهادة مستشرق مؤرخ لعلم الطب هو «نوربيرجير» حيث كتب أن تنظيم البيمارستانات هو أحد المستحدثات الجميلة للثقافة العربية.(١٦)

بدأ ذلك حين أمر الوليد بن عبدالملك سنة ٨٨هـ (٧٠٧م) بإقامة دار ضيافة للمرضى « فأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا واجرى عليهم وعلى العميان الارزاق» اتفق على ذلك الذهبي والطبري وابن الفقيه. ونقله عنهم الدكتور شاكر مصطفى في كتابه المدن في الإسلام.

أما التطور الحقيقي للمشافي فكان مع ظهور الدولة العباسية في عهد الخليفة المنصور المعجب بمدرسة جنديسابور ومشفاها.. ثم في أيام هارون الرشيد الذي كلف جبرائيل بن بختشوع بإنشاء مارستان في بغداد، وعهد إلى صيدلي يبنيه هو يوحنا بن ماسويه.(١٧) ومع مرور الوقت كان في العالم الإسلامي سنة ٨٥٠م حوالي ٣٤ بيمارستاناً موزعة على الأغلب في مدن المشرق والشام ومصر.. على الرغم من تكاليفها الباهظة، وكثرة النفقات الدائمة عليها، وحاجتها إلى أوقاف ثابتة تدر هذه النفقات، لذلك لم يقدر على إنشائها إلا السلاطين والملوك والأمراء وكبار الموسرين.

(العالم الموسوعي)
من صفات علماء
المسلمين

أشهر من أشرف على هذه البيمارستانات الطبيب «سنان بن ثابت» سنة ٣٠٦هـ وكان يشرف على بيمارستانات بغداد ومكة والمدينة وبيمارستان السيدة (على ضفاف دجلة) والبيمارستان المقتدرى عند باب الشام في طرف بغداد. واضيف إليه بيمارستان ابن الفرات الوزير وقد كانت إدارته لسنان بن ثابت أيضا وأوقافه هبات من الأثرياء والكبار.. فكأن سنان هو وزير الصحة اليوم.. هذه البيمارستانات كانت تزود بالأطباء والمعالجين والخزان والبوابين والوكلاء «والناطورين».(١٨) كما جلبوا لها المياه من دجلة. (١٩) وكان الأطباء يتفقدون المرضى كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوالهم ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه. وكلمة بيمارستان «فارسية الأصل وهي من

مقطعين ـ بيمار ـ ومعناه مريض، و«ستان» وتعني مكـــان أي «دار المريض» وشـــاع استخـدامها في البـلاد الإسلاميـة ثم قتصر استخـدام كلمة «مـارستـان» على مستشفى الأمراض العقلية فقط.

البيمارستان المنصوري

انتشرت البيمارستانات في جميع أنحاء العالم الإسـلامي وزاد عددهـا عن المئـات وأوقفت عليهـا الأوقـاف والنـذور.. واتخذت أسماء الخلفاء والسـلاطين والحكام والأثـرياء الذين قامـوا بإنشائهـا. ومن هذه البيمارستـانات الشهيرة، بيمارستان عضـد الدولـة البويهي (٩٧٨م). أوبيمارستان دمشق ثـم جدد على اسم ملك دمشـق دقـــاق بن تتش، وفي مصر بيمارستان المغافر الذي بناه الفتح بن خاقان أيام المتوكل.. وبيمارستـان أحمد بن طولون ٢٥٨هــ وبيمارستـان كافـور الأخشيـدي ٢٤٦هــ وبيمارستان نـور الـدين زنكي في دمشق. وقد ،وصفه ابن جبير في رحلته وفيه يقـول: «هـــذا المارستـــان مفخـــر عظيم من مفاخر الإسلام».(٢٠)

وفي الأنـدلـس والمغرب بيمارستـــان السلطان الموحـدي يعقـوب المنصـــور ٥٨٠هــ ومن الأطباء المشهورين فيـه ابن طفيل وابن رشد وابن زهـرالحفيد.. وفي غـرناطـة بيمارستان السلطان الناصري محمد ٧٦٨هـ/١٣٦٧م. كما كان في القيروان مدرسة طبيـة مهمة جداً أسسـها ابن عمران وكان من أكبر أطبائها ابن الجزار الذي ترجم قسطنطين الافريقي كتابه زاد المســـافـــر.(٢١) ولن ننســى مشفى قلاوون ــ السلطان المملـوكي ــ والمعروف بالبيمارستـــان المنصوري والـذي يعد أعظم منجزات السلطـان قلاوون الـذي رمم قلاع حلب وبعلبك ودمشـق.. وقـــد أقـــام هـــذا البيمارستـــان على طـــراز البيمارستـــانـــان النوري ـ ســـابق الذكر بعد أن عـولج فيه في دمشق. وقـد تم البنـــاء فيـه سنـة ١٣٨٤م ويتكون من أقسـام وأجنحة يفصل المرضى فيهـا حسب أمـــراضهم، وفيـه صيـــدليـة وحمامـات ومخازن ومطابخ، ويحتـوي على قاعة للمحاضرات ولـه وقف يدر عليه مليون درهم في السنة.. استمر بنـاؤه ١١ شهراً مع مدرسـة بجانبـه وقبة وقـد جعله وقفـاً على «الملك والمملـوك، والجنـدي والأمير، والكبير والصغير، والحر والعبـــد، والــــذكـــور والإنـــاث».(٢٢) وكـــان اختيـــار عمـــداء المستشفيات لا يجري اعتباطـاً ـ كما يجري اليوم ــ أو على أساس المحسوبيـة والتوسط وبـذل الـرشـوة بـل بـالامتحـان والفحص الدقيقين والشهرة المتواترة.

وعـرف العرب المستشفيـات «السيـارة» أي المتنقلة أو مستشفيـات «الميدان» كما تسمى اليوم.. وأشهرها ذلك الذي أقامه عبدالله بن المظفر الباهلي وهـو من المريـة بالأنـدلـس ـ للسلطـان محمـود بن ملكشـاه السلجـوقي حين دخل في خـدمتـه ببغداد سنـة ١١٢٧م فأنشأ له مـارستانـاً نقالاً في معسكـره كان ينقل على أربعين جملاً.(٢٣)

سالبرنو.. الجسر الطبي إلى أوربا

هذه الحضـــارة المتميزة التـي سادت الـدولة الإسلاميـة كان يقابلهـا التخلف والخرافات والسحـــر والشعـوذة في أوروبـــا.. ومع أن اتصال أوربا بالعالم الإسلامي كان عن أكثر من طريق.. عبر الأندلس وصقلية والشام في أثنـاء الحروب الصليبيـة إلا أن المعـــارف الطبية الإســلامية وجـدت لها طريقـاً سبق الحروب الصليبيـة وهي مدرسـة ساليرنـو الطبية ــ وساليرنـو مدينـة تبعد ٣٠ ميـلاً جنوبي نابلي وتطل على خليج ساليرنو ـ كان من العاملين فيهـا قسطنطين الأفريقي شرع بالترجمة حوالي العام ١٠٧٠م إلى أن مات في عام ١٠٨٧م.

وقسطنطين هـــذا تـــرجـم الكثير من الكتب الطبية وغير الطبيـة... ونسب الكثير منها إلى نفســـه.. فكـان يترك اسم المولف إذا كـــان مسيحياً كحنين مثالاً.. أو يهودياً كـاسحق ابن سليمان.. وعلـل سرقتـــه لكتب علماء المسلمين بخـوفـه مـن محاكم التفتيش التي كـــانت تـــلاحق المسلمين وتقتلهم وتحرق كتبهم «كـان قسطنطين لصـاً وقحاً معـدوم الحياء نسب لنفسه الكثير من الكتب العربية التي تـرجمهـا إلى الـلاتينيـة».(٢٤).. إنها شهادة واحد منهم!!

مارس المسلمون (قانون الدفاع الاجتماعي) قبل غيرهم

فهل كـان العـرب مجرد «تراجمة» أو «نقلـة للحضـارات الإغـريقيـة والبيـزنطيـة التي سبقتهم؟» أم كان لهم دورهم الابداعي؟

إنها قصة حضارة زاهرة انتقلت عندما كانت أوروبا تتلمس سبيل الحضـارة في ليل مظلم من الخرافـات والـوهم.. هـــذه الحضـــارة الإسلامية تركت طـابعها الخالد في الحضارة العالمية ■

المصادر والهوامش:

(١) التراث والحضارة: د. نعمات أحمد فـؤاد ـ مجلـة العربي العدد ٣٠٠ نوفمبر ١٩٨٣. ص٩٣

(٢) تـراث الإسلام: سير تـوماس ارنـولـد ـ تـرجمة وتعريب جرجيس فتح الله ـ طبعة ثالثة دار الطليعة. بيروت ص٥٦٣.

(٣) تاريخ العرب: فيليب متى وآخـرون ـ دار غندور للطباعة والنشر. طبعة خامسة ١٩٧٤، ٣١٨

(٤) الطبري: ج٢ ص١٩٩٦

(٥) تراث الإسلام: مصدر سابق ص٤٥٢

(٦) تراث الإسلام: مصدر سابق ص٤٥٨

(٧) الرازي: مقال للدكتور زكي نجيب محمود ـ مجلة العربي ـ العدد ١٥٠ ـ مايو ١٩٧١. ص٧٧

(٨) الفصل بين الطب والفلسفـة، د. عـادل البكـري ـ العربي/ العدد ٣٤١ ـ أبريل ١٩٨٧. ص٦٦

(٩) ابن سينـا: مجلة العـربي ــ العدد ٣٧٧ ــأبريل ١٩٩٠م. ص٢٧

(١٠) ابن سينا يتحدث عن نفسه: د. جمال الغيطاني ـ مجلة العربي ـ العدد ٣٣٦. نوفمبر ٨٦.ص٤٦

(١١) قسطرة الزهراوي: د. سامي عزيز ـ مجلة العربي: العدد ٣٢٥ ـ ديسمبر ١٩٨٥. ص٥٠

(١٢) الزهـراوي.. أكبر جراحي عصره ــ عبداللطيف البدري/ العدد ١٦٧ ـ أكتوبر ١٩٧٢. ص ٥

(١٣) تاريخ العرب: مصدر سابق. ص٦٦١

(١٤) تاريخ العرب: مصدر سابق ص ٦٥٩

(١٥) المحتسب وقانون الـدفاع الاجتماعي: د. محمد عيسى صالحية ـ مجلة العربي ـ ٢٩٠. يناير ١٩٨٣

(١٦) الحضـارة العـربيـة: و.س. ريسلر ــ تـرجمة عبدون ـ القاهرة.

(١٧) المدن في الإسـلام: د. شـاكـر مصطفى ــ ذات السـلاسل للطبـاعـة والنشر ــ الكـويت طبعـة أولى ١٩٨٨م. ص ٦٤٤

(١٨) أخبار الحكماء ـ القفطي. ص ١٩٢

(١٩) ابن جبير ـ رحلة ابن جبير. ص٢٠١

(٢٠) ابن جبير ــ الـرحلـة ــ طبعـة بيروت ١٩٦٤. ص٢٥٥

(٢١) المقرىء: ج١. ص٨٩٩

(٢٢) المدن في الإسلام: مصدر سابق. ص٥١٢

(٢٣) تراث الإسلام: مصدر سابق .ص٤٩٥

(٢٤) قسطنطين الافـريقي: د. سليمان قطـايـة ـ العربي ـ العدد٣٣٣

عوالم الإسلام

كتاب الشهر

لاشك أن الصورة المشوهة للإسلام في الغرب والتي تلصق به تهماً كثيرة كالتخلف والرجعية وسفك الدماء والانتشار بقوة السيف، ساهم في صنعها نفر من المستشرقين المغرضين الذين اتجهوا إلى دراسة الإسلام وحضارته لا للتعرف عليه كدين عالمي يقود البشرية إلى الحق والعدل والرحمة، ولكن لمحاربته وتشويه تعاليمه ونشر الأساطير الشعبية والخرافات والبدع حول أركانه ومبادئه وذلك لخدمة الاستعمار الغربي في صراعه مع العالم الإسلامي.

تأليف : جرنوت روتر

عرض: أحمد أبو زيد

شهادة حق

وعلى الرغم من هذه الجهود المغرضة واللاموضوعية من المستشرقين فقد ظهر من بينهم علماء ومفكرون تميزوا بالنزاهة والموضوعية في نظرتهم للإسلام وسعوا للتعرف على حقيقته وكتبوا بأقلامهم شهادة حق لهذا الدين ثم قدموها للعالم كله: من هؤلاء العلماء الأستاذ (جرنوت روتر) الألماني والذي أشرف أخيرا على إصدار كتاب في ألمانيا حول العالم الإسلامي يحمل عنوان (عوالم الإسلام)، وقد استطاع في هذا الكتاب أن يستكتب تسعة وعشرين من علماء الإسلام في ألمانيا وخارجها في محاولة جادة لمواجهة التصورات غير العلمية التي يبثها بعض علماء الغرب عن القضايا الإسلامية عبر وسائل الاعلام.

وتتناول البحوث المنشورة في هذا الكتاب عدداً كبيراً من الموضوعات المهمة المطروحة على الساحة الإعلامية حول الشؤون الإسلامية مثل قضايا الجهاد والأصولية والديمقراطية والمرأة والخوف من الإسلام، والإسلام السياسي، والقومية العربية والوحدة الإسلامية، والأقليات الإسلامية في أوربا، والإسلام في أوربا وفي أفريقيا وفي الولايات المتحدة الأميركية وفي جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق، وصلة الغرب بإنجازات الحضارة الإسلامية وصورة الإسلام لدى الألمان.

بعض علماء أوربا ينصفون الإسلام ويشيدون بحضارته وأثره في حضارة الغرب

ويهدف الكتاب ـ كما يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري وعميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سابقا الذي استعرض هذا الكتاب في أبحاثه وكتاباته عن الإسلام والغرب ـ إلى تنبيه الغرب بأن يتوقف عما يجعل من العالم الإسلامي شيطانا مخيفا. وهذا الهجوم الذي لا مبرر له يؤدي إلى عواقب وخيمة. وبدلاً من ذلك ينبغي أن يكون هناك موقف متفهم ومتسامح إزاء العالم الإسلامي والذي يعد أقرب الدوائر الحضارية لأوربا.

تصورات خاطئة

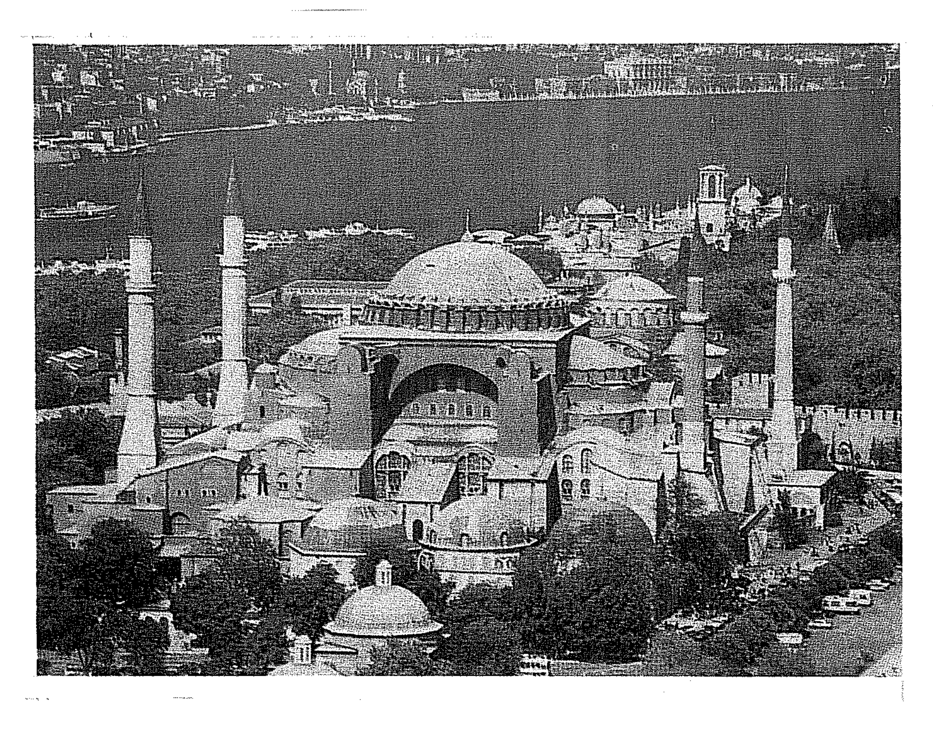
ويلفت الكتاب الأنظار إلى أن العالم الإسلامي يشتمل على الكثير من الظواهر التعددية الحضارية والتاريخية والسياسية، ويوجه نقداً حاداً لكتاب الدعايات في وسائل الإعلام الغربية الذين ينشرون تصورات خاطئة عن الإسلام بعيدة كل البعد عن الأمانة العلمية والضمير الأخلاقي.

ويرى الكتاب ـ كما يقول الدكتور زقزوق ـ ضرورة المحافظة والقدرة على حوار مبني على أساس متين مع العالم الإسلامي، إذ ان التصوير المشوه للحضارات الأخرى يجعل من المستحيل الحصول على صورة حقيقية، ويؤدي بالتالي إلى استحالة الوصول إلى حل حقيقي للمشكلات القائمة، بل يضيف إليها مشكلات جديدة وهكذا فإنه إذا كان خوف الغرب من الأصولية الإسلامية لا أساس له فإنه ليس هناك مبرر لما ينتشر في العالم الإسلامي من أحكام تعميمية عن عداوة الغرب للإسلام. فهناك في الغرب جهود جادة كثيرة تسعى للحصول على فهم حقيقي للعالم الإسلامي.

ويصف الكتاب الحضارة التي نشأت في ظل الإسلام بأنها (تعد واحدة من الأعمال الإبداعية الجبارة في تاريخ الإنسانية) وقد استفادت أوربا في العصر الوسيط الكثير من هذه الحضارة إلا أنها للأسف ـ كما يقول الكتاب ـ لم تعترف للحضارة الإسلامية بهذا الجميل.

الغرب والإسلام

يؤكد الكتاب على ضرورة استمرار الحوار بين الغرب والعالم الإسلامي، ويرى أن التصورات المشبوهة التي تكونها كل حضارة من الحضارتين عن الأخرى تهدد قضية الحوار تهديداً بالغاً. فأوربا التي اقتبست الكثير من الحضارة الإسلامية قد ردت على هذا الجميل بالنكران. وينتقد الكتاب هذا الموقف المتناقض. إذ كيف يأخذ المرء من ناحية الإنجازات العلمية لحضارة من الحضارات، ومن ناحية أخرى يصف هذه الحضارة بأنها حضارة الشيطان.



نشأة صورة العدو

وحول نشأة صورة العدو الممثل في الإسلام في أوربا في العصور الوسطى يبين الكتاب ما حدث حينذاك عندما قام الأوربيون بتصنيف العرب والمسلمين بطريقة عنصرية لا تمت إلى المسيحية بصلة على أنهم بشر من الدرجة الثانية لأنهم ينحدرون من أم كانت جارية لإبراهيم عليه السلام وهي هاجر في حين أن الأوربيين ينحدرون من أم كانت سيدة من الحرائر وهي سارة زوجة إبراهيم.

والحروب التي قادتها أوربا في العصور الوسطى ضد بلاد المشرق العربي نجحت في مزاحمة المسلمين في سيادتهم على حوض البحر الأبيض المتوسط كانت حروبا ذات دوافع كنسية أكثر منها دوافع مسيحية، ولكن الأصوات المحاربة التي كانت ترفع شعار (التعميد أو القتال) لم تكن هي وحدها صاحبة اليد الطولى في المجتمع الأوربي فقد كانت أيضا بجانب ذلك شخصيات معتدلة تدعو إلى التعقل.

وفي الوقت الذي كانت تسود فيه النظرة العدائية للإسلام في أوربا في العصور الوسطى كانت أوربا على الرغم من ذلك تتعامل مع العالم الإسلامي سياسيا واقتصاديا، كما كان للمقر البابوي أيضا صلات مع المسلمين.

والجدير بالملاحظة أن الصورة السلبية للإسلام في العصر الوسيط في أوربا قد رسمها أناس لا يعرفون شيئا عن عالم الإسلام، لا عن طريق خبراتهم الخاصة ولا عن طريق دراسة علمية موضوعية.

وفي مقابل هذه الصورة يوضح الكتاب نشأة صورة العدو الممثل في الغرب في العالم الإسلامي وهي صورة تعد نسبياً ذات تاريخ قريب كما نظر إلى الحروب الصليبية وتقتيل المسلمين بوساطة محاكم التفتيش في أسبانيا على أن ذلك كله كان يمثل عملاً من أعمال جماعات بربرية جاهلة فإن الشعور في العالم العربي بالخوف من تهديد الغرب للهوية الحضارية العربية في القرن التاسع عشر لم يكن شعوراً لا عقليا أو مجرد إحساس بالاضطهاد، بل كان نتيجة لخبرات تاريخية ثابتة خاضها الشرق العربي مع الغرب في القرنين الأخيرين فمنذ حملة نابليون على مصر لم يتوقف (العدوان العسكري) والنزعة التوسعية على المستوى الحضاري والاقتصادي، وفسر الجانب الإسلامي التدخل الأوربي القوي في شمال أفريقيا وفي المشرق العربي بأنه هجوم متعمد ضد الإسلام.

ولكن كما أن الصورة الغربية للعدو الممثل في الإسلام تقوم على أساس تعميمات خاطئة، فكذلك نجد الصورة المشوهة التي يرسمها المؤلفون المسلمون عن الغرب تقوم في الغالب على تعميمات خاطئة أيضا. فالمسؤولية عن الأخطاء وسوء الفهم مسؤولية مشتركة يتحملها الجانبان.

> الأقليات غير المسلمة في المحيط الإسلامي كانت مصانة الحقوق على مر العصور

إنجازات حضارية إسلامية

في أحد فصول الكتاب يتحدث المؤلفون الغربيون عن إنجازات الحضارة الإسلامية في مجال العلم الطبيعي حيث نشأت في القرنين الأولين من تاريخ الإسلام حضارة إسلامية متميزة، وقد استفادت هذه الحضارة من الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية ثم استقلت بنفسها وأصبحت لها شخصيتها المتميزة. وفي القرن العاشر الميلادي وما بعده بدأ الغرب في ترجمة المؤلفات العربية وبذلك حصل على علم المسلمين وأصبح وارثا للعلم الطبيعي الغربي. وفي الوقت نفسه خاضت أوربا المسيحية حرباً دينية مريرة مع المسلمين الذين وصفتهم بأنهم وثنيون. وبعد أن تم ترجمة مئات الكتب العربية في الرياضيات والفلك والطبيعيات والطب إلى اللاتينية اتضح مدى التفوق الضخم الذي وصل إليه المسلمون في مجال العلوم الطبيعية والعقلية، وكان ذلك بمثابة صدمة للعقول الرائدة في الغرب.

وقد تجلت الاتصالات الحيوية بين الحضارتين الإسلامية والغربية في عهد الامبراطور (فريدريك الثاني). وبدا واضحا مدى ضخامة الميراث الثقافي الذي خلفه العلم العربي الإسلامي للغرب، ولكن الحروب الدينية غطت في نهاية الأمر على خمسة قرون من الاستفادة الغربية من انجازات العرب في مجال العلوم الطبيعية.

كما اعتبر (الكسندر فون هومبولت) العرب بمثابة منتقدين للثقافة والحضارة الغربية، وأن الأوان لبدء فصل جديد - دون احكام مسبقة - وبالاعتراف للعرب بما لهم من إسهامات علمية حصل عليها الغرب واعتبرها ثقافة غربية.

صورة الإسلام لدى الألمان

* وفي فصل آخر يتحدث المؤلفون الغربيون عن صورة الإسلام لدى الألمان فيشيرون إلى أن المثقفين الألمان قد أتيحت لهم فرصة الاهتمام العلمي بالإسلام أو التعرف عن قرب على العالم الإسلامي من واقع خبراتهم وهذا بدوره أدى إلى تطوير موقف إيجابي إزاء الإسلام وعلى العكس من ذلك كانت الطبقات غير المثقفة ترى في الإسلام صورة العدو، ولم يطرأ — على التصورات الشعبية للإسلام، والتي سادت في القرن الماضي - تغييرا - يذكر وتمتد جذور هذه الصورة العدائية للإسلام إلى العصر الوسيط في أوربا. وقد وجدت الحروب الصليبية مبرراً لها في المجتمع المسيحي من خلال هذه الصورة السائدة وبذلك جعلت من عدوانها على المسلمين دفاعا له ما يبرره.

وقد حاول عصر التنوير في أوربا تأكيد حق الوجود لكل حضارة ولكن دون جدوى، في الوقت الذي كان يبحث فيه الأديب جوته عن أوجه القرابة بين الإسلام والمسيحية كانت الصورة السائدة تجعل التناقض بين المسلم والمسيحي ينسحب على كل أجزاء الصورة وما يفعله الخبراء المزعومون في الشؤون الإسلامية وكتاب الأخبار المثيرة اليوم يعد تأكيداً لهذا الموقف السلبي.

ومن هنا يحوم في كتابات شول لاتور اليوم خيال الصراع المحتوم بين الحضارتين المسيحية والإسلامية.

ويرى مؤلفو الكتاب أن أمثال هؤلاء الكتاب بما ينشرونه عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة تفتقد الأساس العلمي قد أحدثوا تطورات وخيمة العواقب في التاريخ الحديث. والبديل لذلك كله هو العلم الذي يعد الطريق الوحيد للفهم الحقيقي للحضارة الإسلامية.

الجهاد والأصولية الإسلامية

* ومن القضايا المهمة التي تناولها الكتاب بالبحث قضية الجهاد وما يسمى بالأصولية الإسلامية.

أما ما يتعلق بالجهاد فإن الكتاب يبين أن هذا المفهوم قد تم ربطه في الغرب ربطاً ظالماً بعجز المسلمين المزعوم عن السلام، وبما يأمر به الإسلام من نشر دعوته بقوة السيف، الأمر الذي يجعل من الجهاد خطراً لا يستهان به على غير المسلمين.

وتكمن جذور هذه الآراء المغلوطة عن الجهاد في تفسيره الوقائع التاريخية تفسيراً غير سليم، وبالإضافة إلى ذلك كان الجدل الكنسي ضد ما يسمى بدين الحرب وهو الإسلام مسؤولاً عن الترويج لهذا الفهم الخاطىء.. واليوم تتم الدعاية لهذا الفهم الخاطىء لمفهوم الجهاد بالاستشهاد بما يصدر عن أصحاب الإسلام السياسي من المعاصرين من أقوال وأفعال.

ويشير الكتاب إلى أن الجهاد لا يعبر ابتداء وفي الأساس عما يسمى بالحرب المقدسة وإنما يعني (بذل الوسع) وغالبا ما يضاف إلى ذلك عبارة (في سبيل الله بالنفس والمال) فالجهاد إذا أمر يتعلق بالمسلم بوصفه فرداً وليس متعلقا بالضرورة بمؤسسة كالدولة مثلا، ويمكن أن يكون جهاد المسلم في سبيل الله مرتبطاً بالحرب، ولكنه في كل الأوقات يمكن أن يفهم أيضا على أنه خارج عن هذا الإطار.

ويوضح الكتاب أيضا الطابع العلمي والتاريخي لمفهوم الجهاد القرآني.. ومن ذلك يتضح أن الهدف الوحيد لجهاد المسلمين لا يمكن أو لا يجوز أن يكون متمثلاً في إجبار العدو على الدخول في الإسلام ولا تدمير غير المسلمين وإنما يتمثل بالأحرى في الحفاظ على المجتمع الإسلامي وتقويته.

> حاول عصر التنوير في أوربا تأكيد حق الوجود لكل حضارة ولكن دون جدوى

وفي هذا الصدد يشير الكتاب أيضا إلى أن الأقليات غير المسلمة في المحيط الإسلامي كانت على مر القرون مصانة الحقوق، ولم يكن ذلك يعني مجرد ضمان حق البقاء لها فحسب، بل كان لها مطلق الحرية في ممارسة شعائر دينها.

وهناك فصل تناول فيه الكتاب مفهوم الأصولية فقد جاء فيه وصف الأصولية بأنها (شعار فارغ) وأن الخوف المزعوم مما يدعى بأنه الإسلام الزاحف بالقوة على الغرب يعد لغواً فارغاً لا معنى له وأمراً مخالفاً للواقع. وما يروجه صحفيون غربيون من أمثال يتوسومر وردولف أوجستين وبيتر شول من تصورات حول زحف وشيك للإسلام على الغرب يعد من قبيل الأساطير التي لا أساس لها، فهم يعتمدون في مزاعمهم على الخوف من الأصولية المزعومة وما يتصورونه من قوة الإسلام التعبوية المرتبطة بالعنف، وقد وصل الأمر بوسائل الإعلام الغربية - كما يبين الكتاب - أن أصبحت تلصق شارة (الأصولية) بكل من يقول (الله أكبر) وأضحى مفهوم الأصولية أو الإسلام من (الكلشيهات) المستخدمة في وسائل الإعلام الغربية لتفسير كل ما يدور في الشرق، ولكن الأصولية لا يمكن أن تفسر كل ما يحدث من تطورات في العالم الإسلامي. وهناك أسباب عديدة تتصل بالأوضاع العامة على مستوى السياسة العالمية والاقتصاد العالمي تعد قاسماً مشتركاً بين العالمين الإسلامي والأوربي تؤدي إلى ما يحدث فيهما من أحداث تاريخية. فالإسلام وحده إذا لا يمكن أن يفسر كل ما يحدث في العالم الإسلامي.

* وينتهي الدكتور زقزوق من استعراضه لهذا الكتاب الألماني المهم والذي يعد شهادة صدق للإسلام إلى أن مؤلفي الكتاب قد بذلوا محاولة علمية جادة يقصد من ورائها إعادة النظر في الكثير من الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة المنتشرة في الغرب عن الإسلام والعالم الإسلامي، ويجب أن تحظى هذه المحاولات الجادة بما تستحقه من اهتمام وتقدير في العالم الغربي حتى ينتصر الفهم السديد للإسلام في الغرب على النظرة السقيمة وتتغلب الموضوعية في البحث على الغوغائية الإعلامية التي لا هم لها من وراء التشويه المتعمد للإسلام إلا ترسيخ أسباب الكراهية والعداء بين الإسلام والغرب. ■



تعزيز التعاون مع البحرين في الشؤون الإسلامية

قام مؤخراً وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي فهد الزميع بزيارة إلى البحرين استمرت عدة أيام أجرى خلالها محادثات مع وزير العدل والشؤون الإسلامية البحريني الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة،

وتناولت المحادثات بين الجانبين أوجه التعاون والتنسيق في المجالات الإسلامية والدينية والأوقاف في إطار ما يربط بين البلدين من علاقات حميمة وقوية وفقا لوكالة أنباء الخليج.

ووقع الزميع خلال زيارته على المحاضر المكملة للبروتوكول الموقع بين دولة البحرين ودولة الكويت في المجالات الإسلامية.

كما اجتمع الوزير الزميع إلى أمير دولة البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ورئيس وزرائها الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة.

وكان وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والوفد المرافق له قد زاروا البحرين تلبية لدعوة من وزير العدل والشؤون الإسلامية الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة.

وجاءت زيارة الوزير في إطار اتفاق التعاون المبرم بين البلدين في نوفمبر الماضي في مجال الشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة تعزيزا لمجالات التعاون المنصوص عليها في الاتفاقية، والتي تشمل تحديد مجالات التعاون والعمل العلمي والخيري والمشاريع الوقفية والزكوية.

وكان وزير العدل والشؤون الإسلامية البحريني قد اثنى على الجهود الكبيرة التي يبذلها الدكتور الزميع في ترسيخ وتجسيد التوجيهات الصادرة من قيادة البلدين الشقيقين وذلك للتنسيق في مجالات الشؤون الإسلامية لما فيه خير وصالح البلدين والشعبين الشقيقين.

بدء الدراسة في ١٩٠ حلقة لتحفيظ القرآن

أعلنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن بدء الدراسة يوم ٦/١٥ الماضي في ١٩٠ حلقة تحفيظ للقرآن الكريم في المساجد للبنين والبنات، في مختلف مناطق الكويت، والتي تستمر حتى نهاية أغسطس المقبل.

وقال مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم في إدارة الدراسات الإسلامية بالوزارة عبدالله سنان في تصريح صحفي: إن افتتاح هذه الحلقات التي تبدأ الدراسة فيها بعد صلاة العصر يأتي من منطلقات وأهداف عدة، تتمثل في تشجيع الناشئة والشباب والشابات على حفظ كتاب الله عز وجل، وبث روح المنافسة والتسابق في العناية بالقرآن الكريم حفظا وتلاوة وتجويدا.

وأضاف ان الوزارة تسعى من خلال هذه الحلقات إلى تخريج شباب حافظ لكتاب الله، وقادر على المشاركة في خدمة المجتمع، مثل تولي الإمامة والخطابة وتدريس القرآن الكريم، والمشاركة في المسابقات المحلية والدولية، واستثمار أوقات الشباب واكتشاف مواهبهم للعمل الجاد والمستمر لصالح الأمة والوطن.

وحث السنان أولياء الأمور على تشجيع أبنائهم وترغيبهم للالتحاق بالحلقات، ليقضوا وقت الفراغ في العطلة الصيفية في تعلم كتاب الله وحفظه، معربا عن أمله في مواصلة مسيرة الخير القرآنية.

الكويت تقيم مصفاة بترولية في أندونيسيا

أعلن رئيس مجلس التنسيق الاستثماري الإقليمي في أندونيسيا جعفر باتاي أن الكويت تعتزم إقامة مصفاة بترولية في منطقة سيلايار بإقليم جنوب سولاويسي الأندونيسية بكلفة تصل قيمتها إلى مليار دولار.

وأوضح في تصريح لوكالة الأنباء الأندونيسية ان المصفاة الجديدة لتكرير النفط الخام المستورد من الكويت تعد واحدة من المشاريع الكبرى في شرق أندونيسيا.

وأضاف: أن المنتجات النفطية للمصفاة سوف تصدر لبلدان في المنطقة الأسيوية والمحيط الهادىء مما يجعل من «سيلايار» مركزا هاما لتوزيع النفط بالمنطقة الأسيوية. ولم يشر إلى موعد إنشاء المصفاة.

وأشارت الوكالة الأندونيسية إلى أن الشيخ علي جابر الأحمد الصباح قام بزيارة لجزيرة سيلايار حيث ستبنى المصفاة النفطية هناك.

الأمانة العامة للرابطة تتصدى للحملات المغرضة

مخطط ماسوني لإفساد شعوب العالم الإسلامي

حذرت رابطة العالم الإسلامي مجددا من خطورة الدور الذي تلعبه الماسونية في العالم الإسلامي، وقالت في بحث صدر عنها مؤخرا أن الماسونية وراء اختلاط المرأة بالرجل فضلا عن استغلالها والتغرير بها حتى غدت أداة رخيصة لخدمة أهداف الماسونية من حيث لا تعلم.

وكشف البحث أن الماسونية أقدم وأخطر حركة يهودية ظهرت إلى الوجود ومازالت تؤدي دورها في إفساد المجتمعات واقتراف الآثام ضد البشرية. وبين أنها أخرجت المرأة عن وظيفتها الأصلية ومكمنها الطبيعي لتزاول أعمالا منافية لطبيعتها وتقوم بتصرفات مسيئة لأنوثتها تحت غطاء من التعبيرات والشعارات البراقة الخادعة.

وفي سياق استعراض مجموعة من المؤثرات السلبية في المرأة الناجمة عن تلك الحركة أكد البحث أن المرأة في المملكة العربية السعودية تعمل في محيطها النسوي عاملة أو متعلمة أو موظفة من غير خوف على شرفها وكرامتها ومن غير اختلاط ولا ابتزاز، وارجع البحث ذلك إلى تطبيق المملكة العربية السعودية قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية السمحة.

ومن جانب آخر أكدت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة اهتمامها البالغ بكل ما يكتب وينشر عن الإسلام والعمل على فضح كل محاولة لتشويه حقائق الإسلام أو المساس بها وكشف الجوانب المتصلة بتلك التيارات.

جاء ذلك في التقرير السنوي الذي أعدته الأمانة العامة للرابطة والذي اطلع عليه أعضاء المجلس التأسيسي أثناء انعقاد الدورة ٣٤ للمجلس الذي انعقد مؤخراً والمرفوع من إدارة الصحافة والنشر.

وأوضح التقرير أن الإدارة تقوم بنشر وإيصال المعلومات الصحيحة إلى القراء والرد على الحملات المغرضة ضد الإسلام والمسلمين من خلال الدوريات التي تصدرها وهي جريدة العالم الإسلامي الأسبوعية ومجلة الرابطة باللغة العربية ومجلة الرابطة باللغة الانجليزية وهما مجلتان شهريتان.

ترشيح الغزالي لجائزة سلطان بروناي

تتوقع العديد من القيادات الإسلامية في العالم أن يفوز الشيخ محمد الغزالي رحمه الله بجائزة السلطان حسن البلقيه سلطان بروناي بعد أن أعلنت الأمانة العامة للجائزة التي يتولاها مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية في لندن أن موضوع الجائزة هذه السنة هو: «القرآن الكريم وعلومه».

جاء في مسوغات ترشيح المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أن الشيخ محمد الغزالي قدم للمكتبة القرآنية أربعة كتب متخصصة منها تفسيره الجديد «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم» و«نظرات في القرآن الكريم» و«كيف نتعامل مع القرآن» و«المحاور الخمسة للقرآن الكريم».

ورشحت «الايسيسكو» المرحوم الشيخ محمد الغزالي في الوقت الذي تتبنى فيه العديد من المراكز الإسلامية في العالم دعم هذا الترشيح في أن ينال الشيخ محمد الغزالي هذه الجائزة التي يقدمها سلطان بروناي «دار السلام» كل عام خدمة للإسلام والمسلمين في العالم.

إعادة بناء مسجد طوكيو

تم الاحتفال بوضع حجر الأساس لإعادة بناء مسجد طوكيو. وحضر المناسبة العديد من المسلمين اليابانيين والزوار يتقدمهم رجال السلك الدبلوماسي الإسلامي المعتمدون في اليابان، وفي مقدمتهم الوفد التركي برئاسة جمال شيشك رئيس الشؤون الدينية في تركيا حيث ان المسجد في طوكيو يعاد بناؤه تحت رعاية رئاسة الشؤون الإسلامية في تركيا بحكم تولي الجالية التركية في اليابان شؤون المسجد وهي أول جالية إسلامية استقرت في هذا البلد منذ عام ١٩٢٢م.

بيت الزكاة ٢٧٨,٨١٥ دينارا مساعدات وقروضا حسنة

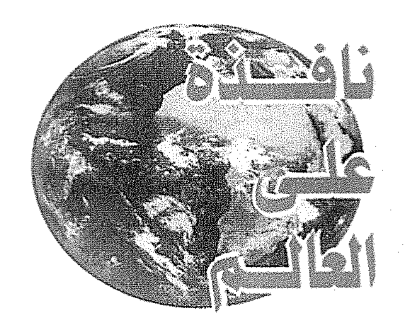
قدم بيت الزكاة مساعدات نقدية وقروضا حسنة خلال شهر مايو الماضي بلغت «٢٧٨/٨١٥» دينار استفادت منها «١٢٥٣» أسرة محتاجة داخل دولة الكويت.

وقال مراقب الخدمة الاجتماعية في بيت الزكاة محمد العمران ان «١٢٣٢» أسرة استفادت من المساعدات النقدية والتي بلغت (٢٢٨٤١٥) دينارا وشملت كلا من أسر السجناء والمطلقات والأرامل والشيوخ وضعاف الدخل والطلبة وغيرهم من أصحاب الحالات المستحقة الأخرى. مشيرا إلى أن المساعدات تنوعت بين مساعدات شهرية ومقطوعة حسب حاجة الأسرة.

وأضاف أن البيت قدم (٥٠٤٠٠) دينار لخدمة القروض الحسنة استفادت منا (٢١ أسرة).

وذكر أنه تم خلال الفترة ذاتها توزيع (١٢٨) طنا من المواد الغذائية المختلفة كالارز والسكر والدهن والحليب واللحوم لـ (٢٠٦٩٨) فرداً يمثلون (٢٩٢١) أسرة. وذلك عبر المركز الرئيسي في السالمية وفرع الصليبية.

وأعرب العمران عن شكره لأصحاب الأيادي البيضاء الذين يدعمون البيت بزكواتهم وتبرعاتهم العينية لسد حاجة الأسر المحتاجة وتحقيق التكافل الاجتماعي.



الأرض في القرن المقبل

التقرير الأخير الذي صدر عن الهيئة الحكومية العالمية للتغيرات المناخية يرسم صورة كئيبة عن الأرض في العام ٢١٠٠. يقول التقرير ان سخونة الأرض باتت واضحة، بل يمكن تلمسها الآن. إذ ان معدل درجة الحرارة سيرتفع بمقدار أربعة درجات مئوية في العام ٢١٠٠، مما يعني أن مستوى مياه البحر سترتفع نصف متر لمدة قرن كامل من الزمان، استنادا إلى هيئة دولية من العلماء.

وحذر التقرير من ان ملايين من الناس الذين يعيشون في الجزر ومناطق الدلتا سيتحولون إلى لاجئين، كما أن مئات الملايين الآخرين سيصبحون تحت رحمة الجوع والمرض.

والجديد في التقرير هو اجماع العلماء على وجود تأثير واضح على المناخ العالمي المسبب لتغييره. فقد ذكر السرجون هوفتون الرئيس السابق لمكتب الأرصاد الجوية البريطانية ونائب رئيس اللجنة: أنه جرى التوصل إلى اجماع حول ما نعلمه وما لا نعلمه.كما نعتقد أننا بدأنا نشهد الإشارات الفعلية التي أخذت تبرز من وسط كل هذا الضجيج المثار.

لجنة مشتركة بين الأزهر والفاتيكان

أعلن متحدث باسم الأزهر أنه سيتم تشكيل لجنةمشتركة بين الفاتيكان والأزهر للحض على إجراء حوار بين «الإسلام والمسيحية».

وصرح عمر بسطاوي مدير مكتب شيخ الأزهر الإمام محمد سيد طنطاوي: ان انشاء هذه اللجنة يهدف إلى التقريب بين الإسلام والمسيحية وتنسيق المواقف والجهود من أجل نشر قيم التسامح والتصدي لجميع أشكال التطرف الديني، وأضاف: أن اللجنة تهدف أيضا إلى حماية قيم الإسلام والمسيحية وكرامة الأنبياء والرسل.

وأوضح أنه سيتم عقد اجتماع قريبا بين الجانبين من أجل التحضير لإنشاء هذه اللجنة التي ستضم مسؤولين من كل من الأزهر والفاتيكان بالإضافة إلى رئيس الاتحاد الدولي للحوار بين الأديان السماوية الثلاثة علي السمان».

وأشار إلى أنه تقرر تشكيل هذه اللجنة خلال لقاء عقد في مطلع الشهر في القاهرة بين شيخ الأزهر الدكتور: محمد سيد طنطاوي والكاردينال فرانسيس ارينز رئيس المجلس البابوي من أجل الحوار بين الأديان.

اتفاقية لمكافحة التصحر

أعلنت الأمانة العامة الدولية لاتفاقية مكافحة التصحر التي تهدف إلى منع تحول الأرض إلى صحارى في أنحاء العالم أنه من المتوقع أن تصبح الاتفاقية سارية بحلول أوائل العام القادم.

وقالت في بيان لها أصدرته لمناسبة (اليوم العالمي لمكافحة التصحر» الذي يوافق يوم ١٩٩٦/٦/١٧ إن التصحر يكسب أراض جديدة مما يؤثر في حياة مليار شخص.

وتقول الأمم المتحدة إن الافراط في الزراعة والري اللذين يؤديان إلى تآكل التربة بالاضافة إلى تقلص مساحة الغابات واتباع أساليب خاطئة في الري كلها عوامل تؤدي إلى نقص في الانتاج الغذائي وهي خسارة تقدر بـ بنحو٤٢ مليار دولار في العام بالاضفة إلى تكاليف أخرى.

ويقع الضرر الاقتصادي الأكبر على القارتين الأسيوية والإفريقية ولكن حوالي ٧٤ في المائة من الأراضي الجافة في الولايات المتحدة تتأثر أيضا بصورة خطيرة أو متوسطة وكذلك فرنسا واليونان وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال وصدَّقت ٣٣ دولة المعاهدة البيئية التي دعت إليها في قمة الأرض في (ريودي جانيرو) في العام ١٩٩٢ وأقرت في يونيو العام ١٩٩٤. وتصبح المعاهد سارية بعد ٩٠ يوما من تصديق ٥٠ دولةعليها. وقالت الأمانة العامة إنها تتخذ جنيف مقرا لها ويرجح أن يتوافر التصديق اللازم من ٥٠ دولة لكي تصبح الاتفاقية سارية بحلول نهاية العام ١٩٩٦. وتلزم الاتفاقية الدول التي وقعت عليها الاهتمام الجاد بمكافحة الظاهرة ولا سيما على المستوى المحلي.

٢١,٦ مليار دولار عائدات مجلس التعاون النفطية

أفاد «البنك الأهلي التجاري السعودي» ان عائدات دول الخليج العربية المنتجة للنفط زادت بمقدار ٢,٨ مليار دولار في الربع الأول من العام ١٩٩٦ بعد ارتفاع أسعار النفط الخام.

وبلغت عائدات المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدةوقطر وعمان ما مجموعه ٢١,٦ مليار دولار مقابل ١٨,٨مليار دولار خلال الربع الأول من العام١٩٩٥ وفق تقرير صادر عن هذا البنك.

مسك الختام

شعر: عمر إبراهيم الراكشي

الرسل نور باهر وسلام — ومحمد مسك لهم وختام
ياصاحب الإسراء والمعراج من — قلبي إليك تحية وسلام
إن كنت في عمق الزمان مخلدا — فلأنت في عمق القلوب تنام

أسفا لمكة دينها أصنام — غطى ثراها حلكة وسخام
أخرجت منها يوم ذاك مؤملا — لجراح نفسك علها تلتام
في دار هجرتك التي عوضتها — يبقى مزاراً مسجد ومقام

أوس وخزرج بينهن عداوة — حرب ضروس أزمنت وركام
لكن عهد الحب هم أنصاره — قد هدهدته بليلها الأحلام
نور أطل على المدينة وازدهى — ثوب قشيب قد علاه وسام

بددت في العرب الأوائل جهلهم — فانجاب ظلم قد طغى وظلام
غربت عداوتهم وأشرق بعدها — ود تسيد بينهم ووئام
ماخاب من تبع الكتاب وسنة — ماذل في يوم وليس يضام

علمتهم ان الحياة تدين — لافرد يخدع لاحرام يرام
وتركتهم وهم الأعزة بالهدى — والعدل فيهم رائد وإمام
لم لاتراهم بعد أرفع أمة — لم لا وأصل حياتها الاسلام

حديقة



إعداد / احمد عبدالجبار

سؤال اللئيم

والله والله مرتين، لحفر بئر بإبرتين وكنس مصر بريشتين، وغسل عبدين أسودين، حتى يحولا لأبيضين، وحمل ثورين باليدين ونزع طودين راسيين ونقل بحرين زاخرين، على صعيد بمنخلين، ولا وقفي على لئيم يضيع منه حياء عيني.

أنواع الدراهم

الدراهم أربعة:

درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله فذلك خير الدراهم

ودرهم اكتسب بمعصية الله واخرج في معصية الله فذاك شر الدراهم.

ودرهم اكتسب بحق وانفق في باطل فهو شر الدراهم.

ودرهم اكتسب بباطل وانفق في حق فإنفاقه كفارته.

اثنان

القبلتان: المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

الحرمان: مكة المكرمة والمدينة المنورة.

الهجرتان: هجرة الحبشة وهجرة المدينة.

الذبيحان: إسماعيل بن إبراهيم وعبد الله بن عبد المطلب.

الثقلان:الإنس والجن.

الصحيحان: صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

الرحلتان: رحلتا الشتاء والصيف

الجديدان: الليل والنهار.

القمران: الشمس والقمر

الداران: الدنيا والآخرة.

الحسنان: الحسن والحسين

الأصغران: القلب واللسان:« المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الحلية». وفي المثل:« يعيش المرء بأصغريه».

القناعة في الرزق

طوبي لعبد يمسي على ثقة
ان الذي خلق الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لايدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق في دهره شيئاً يؤرقه

حجة الاسلام الغزالي

لكل سؤال جواب

حكي ان خالد بن الوليد لما قدم الى اليمامة نزل عسكره على قصر من قصور الحيرة، يقال له قصر بني بقيلة، فسألهم أن يبعثوا له رجلا من عقلائهم وذوي انسابهم فبعثوا اليه عبد المسيح بن بقيلة. فاقبل يدب في مشيه فقال له خالد: اين اقصى اثرك؟قال: ظهر ابي فقال من اين خرجت؟ قال من بطن أمي. فقال: علام انت؟قال: على الارض فقال: فيم انت؟فقال: في ثيابي فقال له :تعقل؟نعم،واقيد فقال: ابن كم انت؟قال ابن رجل وامرأة! فقال: كم اتى عليك؟قال: لو اتى علي شيء لقتلني فقال: كم سنك؟قال ست وثلاثون فقال خالد: مارأيت كاليوم اسألك عن شيء وتجيبني عن غيره؟ قال: ماأجبتك الا عما سألت.

من حكم لقمان الحكيم

قال لقمان الحكيم لابنه« يابني لقد جمعت لك حكمتي في ست كلمات، اعمل لدنياك بمقدار مقامك فيها، واعمل للآخرة بمقدار بقائك فيها، واعمل لله بمقدار حاجتك اليه، واعمل من الذنوب بقدر ماتطيق من العقوبة، وإذا سألت فاسأل من لايحتاج الى أحد وإذا أردت ان تعصي الله فاعصه في مكان لايراك فيه».

اقرأ واستمع

من كلام الإمام« علي ابن أبي طالب» رضي الله عنه: «عجبت للبخيل.. يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء».

ومن كلام ابن عباس رضي الله عنهما«اذكر اخاك إذا غاب عنك بما تحب ان تذكر به ودع منه ماتحب ان يدع منك.

آباء

يقال:

ابو مرة، وهو ابليس.

وابو يحيى وهو قابض الارواح

وابو دثار للكلة التي يتوقى بها من البعوض.

وقد يقال للرجل الطائش الذي لاثبات له أبو رياح

وابو مالك، كناية عن الجوع والكبر، وانما سمى الكبر بهذه الكنية لانه يملك الرجل فيلزمه ولايفارقه.

الأثقل والأخير

سأل الحجاج يوما الغضبان بن القبعثري فقال له: من اثقل الناس؟

قال: المتفنن في الملام، الضنين بالسلام، المهذار في الكلام، والمقبقب على الطعام. قال: فمن خير الناس؟قال: اكثرهم احساناً، وأقومهم ميزانا، وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا.

ياعالما بحاجتي ماأطلب إلا فكاكي

عن عتبة المعروف بالغلام وسمى بذلك لكثرة خدمته انه كان مقيما بالجبانة فبلغ خبره علي بن سلمان امير العراق فخرج حتى وقف عليه فسلم فرفع رأسه فرد عليه فقال له الأمير: كيف اصبحت قال متفكرا في القدوم على الله بخير ام بشر ثم بكى واطرق رأسه منكسا الى الارض فقال الأمير قد أمرت لك بألف درهم فقال قبلتها على ان تقضيني منها حاجة. فقال وقد سر بذلك وماهي؟ قال: تقبل مني ماوهبتني فقال :قد فعلت وانصرف وقد كان عتبة هذا لاينام الا اول الليل ثم يستيقظ فزعا مرعوبا ينادي: النار النار قد شلغني ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقف للخدمة وان البكاء ليمنعه من القراءة وكثيرا ما يقول اللهم ياعالما بحاجتي غير معلم بما اطلب وماأطلب الا فكاكي من النار اللهم ان الجزع قد ارقني من الخوف فلم يؤمني وكل هذا من نعمتك السابغة علي وكذلك فعلت بأوليائك واهل طاعتك، الهي قد علمت لو كان لي عذر في التخلي ماأقمت مع الناس طرفة عين.

الظلمات الخمس

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - الظلمات خمس ولكل واحدة سراج، فالذنوب ظلمة وسراجها التوبة، والقبر ظلمة وسراجه الصلاة، والميزان ظلمة وسراجه لا إله إلا الله، والصراط ظلمة وسراجه اليقين، والآخرة ظلمة وسراجها العمل الصالح.

العبرة بأن تعمل

قال يحيى بن خالد لشريك - علمنا مما علمك الله يا أبا عبدالله. فقال له شريك: إذا عملتم بما تعلمون علمناكم ما تجهلون... أي أنه لا فائدة للعلم بلا عمل. وإن العمل بالعلم القليل ينميه ويجعله كثيراً... فلا عبرة بكثرة العلم إذن وإنما العبرة بأن تعمل.

من أقوال السلف

ــ كن في الحياة كما وضعتك الحياة مع الارتفاع دائماً.

ــ لكي يحبك الناس افسح لهم طريقهم ولكي ينصفك الناس افتح لهم قلبك، ولكي تنصف الناس افتح لهم عقلك، ولكي تسلم من الناس تنازل لهم عن بعض حقك. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: أوصني، وفي رواية علمني شيئاً ولا تكثر علي لعلني أحبه، قال: «لا تغضب».

دار غريبة

كتب ربيعة بن عسل اليربوعي إلى معاوية كتاباً يسأله فيه أن يعينه في بناء داره بالبصرة، وطلب منه أن يمده باثني عشر ألف جذع نخل، فرد إليه معاوية الكتاب بعد أن كتب في أسفله، «أدارك في البصرة أم البصرة في دارك؟».

في تأدب السلطان

قال ابن المقفع في مايتأدب به السلطان: عود نفسك الصبر على ماخالفك في رأي ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم، ولاتسهلن سبيل ذلك الا لأهل الفضل والمروءة والعقل في ستر لئلا ينتشر من ذلك مايجتزي به سفيه او يستخف به شانيء.

واعلم ان رأيك لايتسع لكل شيء ففرغه لمهم ما يعنيك وان مالك لايتسع للناس فاخصص به اهل الحق وان كرامتك لا تطيق العامة فتوخ بها اهل الفضل وان ليلك ونهارك لايستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك، واعلم ان ماشغلت من رأيك بغير المهم ازرى بك في المهم وماصرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضر بك في العجز عن اهل الفضل.

ان كان سلطانك عند جده دولة فرأيت امراً استقام بغير رأي او اعواناً اجزأوا بغير نيل، وعملاً انجح بغير حزم فلا يغرنك ذلك ولاتستيمن اليه فان الامر الجديد مما يكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في قلوب قوم آخرين فيعين قوم على انفسهم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب ذلك الامر غير طويل ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها.

فما كان شيء من الأمر على غير اركان وثيقة ودعائم محكمة اوشك ان يتداعى ويتصدع لاتكونن نزر الكلام والسلام ولاتبلغن افراط البشاشة فان احدهما من الكبر والأخرى من السخف.

كارثة اجتماعية

خمسة يعتبر موتهم كارثة اجتماعية:

- الحاكم الصالح في قوم فاسدين
- والعالم الناصح في قوم جاهلين
- والمصلح المخلص في قوم غافلين
- والقائد الشجاع في قوم متخاذلين
- والحكيم الشيخ في احداث طائشين

العقل

سئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييدا للعقل؟ وأيها أشد ضررا به. فقال اشدها تأييدا له ثلاثة اشياء: مشاورة العلماء وتجربة الأمور وحسن التثبت واشدها إضرارا به ثلاثة أشياء: الاصرار، والتهاون، والعجلة.

من شيم الرجال

قيل لقس بن ساعدة الإيادي: مافضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه قيل له فما افضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه قيل له فما افضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه

متى تشاور؟

قال الأحنف بن قيس لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الأسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد.

أوروبا تبحث عن هوية دفاعية تلامس الاستقلال

ترجمات

نشرت جريدة القبس في عددها رقم «٨١٨٣» بتاريخ ١٩٩٦/٤/٤ مقالاً مترجماً عن كريستيان ساينس مونيتور تحدث عن الصراعات الخفية بين أوروبا وأمريكا حول العديد من القضايا وبخاصة العسكرية منها ونظراً لاهمية المقال فإن الوعي الإسلامي تقوم بنشره ليطلع الأخوة الاعزاء عما يجري على الساحة العالمية...

أوشك المسؤولون في وزارات الدفاع الاوروبية على التوصل الى اتفاقية مع واشنطن تمكن اوروبا من القيام بعمليات حفظ السلام ضمن نطاق الناتو ولكن دون مشاركة الولايات المتحدة.

غير ان ابرام هذه الاتفاقية لن يكون ذا قيمة مالم تحدد أوروبا ما هي نوعية النزاعات التي يجب التدخل فيها وكيفية القيام بذلك وهو الرأي الذي يطرحه العديد من الدبلوماسيين.

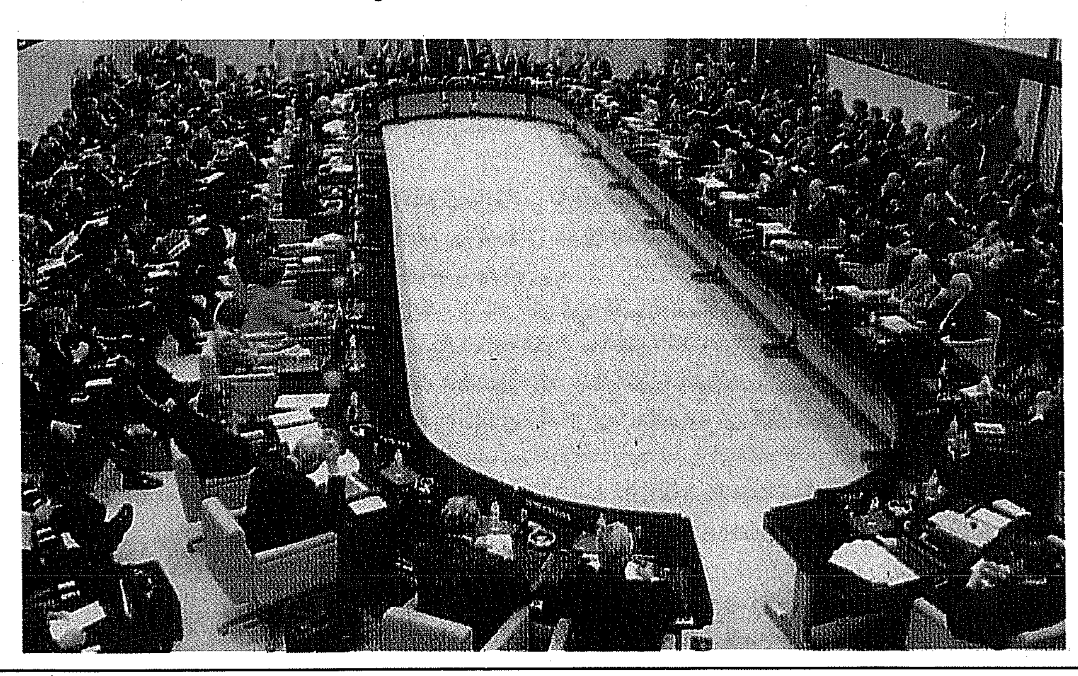
اما بالنسبة للاوروبين فإن الاتفاقية المتوقع الوصول اليها تعد جهدا منها في سبيل العمل بصورة مستقلة في النزاعات التي تعتبرها مهمة بالنسبة للقارة، وذلك في وقت تبدو فيه الولايات المتحدة اقل رغبة في التدخل في بلدان لاتعتبر ذات اهمية حيوية لأمنها.

غير ان بعض الدبلوماسيين الاوروبيين يقرون بأن التوصل الى صفقة مع الولايات المتحدة قد لايكون خطوة كافية حيث يقولون« ان على الحكومات ان تعيد النظر في الامور الاساسية وتحاول التوصل الى سياسة دفاعية يمكن تطبيقها بنجاح».

احراج لأوروبا

منذ الحرب العالمية الثانية ظلت الولايات المتحدة تشارك بكل ثقلها في عملية الدفاع عن اوروبا وذلك من خلال قيادتها لحلف الاطلسي غير ان دور اميركا في التوسط للتوصل الى اتفاقية للسلام في البوسنة في العام الماضي والعمل على تنفيذ بنودها كان قد شكل حرجا بالنسبة للاوروبيين وذلك بعد نضالهم الذي استمر سنوات لتسوية هذه الأزمة بأيديهم.

وقد كانت تلك الخطوة بمثابة تذكرة مريرة بأن اوروبا اصبحت تعتمد على اميركا وعلى القوة الضاربة لحلف الاطلسي لوضع قوة ذات مصداقية في ميدان القتال.



ويقول ريتشارد هولوبروك الدبلوماسي الاميركي السابق الذي توسط في عملية السلام في البوسنة « ان المؤسسات الاوروبية ليست في المستوى الذي يمكنها من التعامل مع المشكلات الأمنية التي تواجهها». كما ان النزاع كان قد كشف ايضا عن الخلافات السائدة ضمن صفوف التحالف الاطلسي. فعلى سبيل المثال فإن القرار الاميركي من جانب واحد الذي صدر في خريف عام ١٩٩٤ والقاضي بإيقاف المراقبة عبر الاقمار الصناعية فيما يختص بحظر الاسلحة المفروض على البوسنة، كان قد أثار قلق الاوروبيين.

أميركا هل تتخلى؟!

غير ان الامر الأكثر مدعاة للقلق كان يتعلق بامكانية رفض الكونغرس الامريكي التصديق على قرار نشر القوات الاميركية للعمل على اجلاء القوات الاوروبية المحاصرة على الارض.

ولقد أدرك الاوروبيون انه لن يكون بإمكانهم الاعتماد على القيادة الاميركية الى الابد. كما ان لهجة الحملة الانتخابية الرئاسية الحالية في الولايات المتحدة بالاضافة الى النغمات الانعزالية الصادرة عن الكونغرس الاميركي. قد زادت من الشعور بالقلق من ان اميركا يمكن ان تتخلى عن دورها كشرطي للعالم، الامر الذي يترك اوروبا تحاول الدفاع عن نفسها وعليه فإن الحل هو في تشكيل قيادة مرنة للناتو ويتوقع ان يقوم وزراء خارجية دول حلف الاطلسي في اجتماعهم في يونيو المقبل بالتصديق على صفقة تسمح للاوروبيين باستخدام معدات الناتو والدعم اللوجستي التابع للحلف عند تشكيلهم لقوات عمل خاصة بهم لتنفيذ عمليات لاترغب الولايات المتحدة المشاركة فيها.

كما انه في حال سحب الولايات المتحدة قواتها المتواجدة في البوسنة قبل انجاز تسوية ذلك النزاع فإن تلك الفكرة تتيح للاوروبيين ايضا الاستمرار في محاولة تسويته من خلال الدعم المقدم من الناتو.

تولي المبادرة

ويقول فريدريك بوزو الكاتب في الشؤون الامنية في المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية في باريس « ان مسؤولي حلف الناتو والدبلوماسيين العاملين في بلدان الحلف لايتحدثون بصراحة حول هذا الخيار فمن الناحية الرسمية فإن الموقف هو ان الاوروبيين والاميركيين بدأوا معا وسيغادرون معا، غير ان اطار القيادة هذا قد يكون مفيدا سياسيا للاوروبيين في حالة حاجتهم لتولي زمام هذه العملية عندما يغادر الاميركيون المنطقة».

فبموجب هذه الفكرة الجديدة سيتمكن الشركاء في الناتو من ارسال قوات «منفصلة وان كانت متحدة ولايمكن فصلها» وبعبارة اخرى فإنه اذا رغبت فرنسا وايطاليا واسبانيا في ارسال قوة لحفظ السلام الى رواندا فيمكنها عندها استخدام طائرات الناتو وقدراته في مجال الحماية الجوية والمعلومات الاستخبارية بوساطة الاقمار الصناعية والدعم اللوجيستي، وذلك حتى اذا ما اختارت الولايات المتحدة عدم المشاركة في هذه العملية.

لابل ان تشكيل هذه القوة يمكن ان يكون تحت قيادة دولة واحدة وهو مطلب قديم كانت قد تقدمت به فرنسا ففي السابق كانت اعتراضات الولايات المتحدة على اية مهمة يمكن ان تكون بمثابة اصدار فيتو تجاه قيام الناتو بهذه الخطوة.

قوة مهام مشتركة

وكما يقول متحدث باسم وزارة الدفاع الفرنسية « ان فكرة تشكيل قوة مهام مشتركة تعتبر مهمة للغاية بالنسبة لنا فهي تعني ان قوة الناتو يمكن ان توجه من قبل الاوروبيين.

> المؤسسات الاوروبية ليست في المستوى الذي يمكنها من التعامل مع المشكلات الأمنية

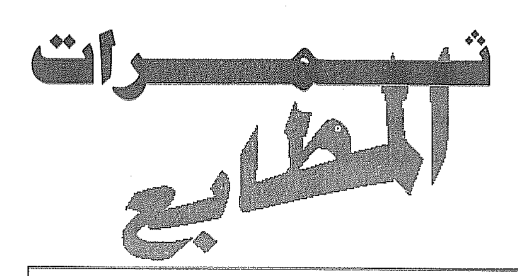
وبالاضافة الى ذلك فإن المسؤولين الفرنسيين ومسؤولي الناتو يؤكدون ان هذه القوة لن تعمل ضمن الدول الاعضاء في الحلف كالعمل على مكافحة الارهاب كما في حالة الانفصاليين في إقليم الباسك باسبانيا، اذ انه ستعمل فقط في مجال معالجة المشكلات الامنية في المناطق المتاخمة لاوروبا.

وكانت الولايات المتحدة في فرنسا اقترحت في بداية الامر تشكيل قوة المهام المشتركة هذه في اجتماع قمة دول الناتو الذي عقد في يناير ١٩٩٤ غير ان بعض الدبلوماسيين يقولون ان قرار الرئيس شيراك الصادر في ٥ ديسمبر ١٩٩٥ بالانضمام مجددا الى قيام الناتو العسكرية بعد غياب دام ثلاثين عاما يعني عنصرا مهماً في هذه الاتفاقية.

ويقول احد كبار الدبلوماسيين في الناتو « ان قرار فرنسا بالسعي الى تشكيل كيان دفاعي اوروبي ضمن الناتو قد منح ثقة كبرى بأن فرنسا سوف تلعب دورا مثل ذلك الذي يقوم به الحلفاء الآخرون فعلى سبيل المثال اذا مام قام الناتو بتشكيل قوة مهام مشتركة فإن فرنسا سوف تشارك فيها.

غير ان الدبلوماسيين الاميركيين مازال لديهم شعور بالقلق حول الفكرة التي يطلق عليها الفرنسيون صفة «العمود الاوروبي» ضمن الناتو فالاميركيون يفضلون استخدام عبارات مثل الهوية الاوروبية او البروز الاوروبي وذلك لتفادي أية إشارة قد تدل على وجود هوية مستقلة ضمن الناتو.

ويؤكد المتحدث باسم وزارة الدفاع الفرنسية ان فرنسا لم ترغب البتة في اقامة تسلسلين للقيادة ضمن الناتو بل انها تأمل بأن يقوم الاوروبيون باستغلال المجلس الاوروبي عند الاتفاق على استراتيجية دفاعية مشتركة ضمن الناتو.واضاف المتحدث باسم وزارة الدفاع الفرنسية قائلا « ان هذه القرارات انما تفرض واجب التضامن على الدول الاوروبية كافة، لأن هذه السياسات تمت صياغتها في اوروبا على يد الاوروبيين واننا لايمكننا انتظار الولايات المتحدة للقدوم الينا وانقاذنا عند حدوث أزمة كما حدث بالنسبة لقضية البوسنة فلو.. كنا اتخذنا خطوات حازمة منذ البداية لكان الوضع قد تحول الى درجة الخطورة التي شهدناها» ■



إعداد/ مصطفى مرسي
مركز المعلومات بالوزارة

الكويت وجاراتها

/هـ/ب ديكسون

ترجمة أ.د: فتوح عبد المحسن الخترش

الكويت : ذات السلاسل ١٩٩٥

الكتاب الذي نقدمه للقارىء الكريم من الكتب الاساسية التي يجب قراءتها للوقوف على فترة تاريخية هامة في تاريخ الكويت فهي تتحدث تفصيليا عن فترة امتدت منذ عاش الكولونيل ديكسون والذي عرف بـ: (ابو سعود) منذ عام ١٩٢٩ حتى وفاته عام ١٩٥٩ ودفن في الكويت حسب وصيته.

وقامت د. فتوح بإعادة ترجمة الكتاب من جديد من منطلق أهمية ماجاء في الكتاب من معلومات قيمة وذكريات شخصية للمؤلف والتي لم تسجل من قبل وتاريخ آل سعود والوهابيين وتقرير تفصيلي عن تمرد الاخوان بين عامي ١٩٢٩-١٩٣٠ ومضاعفاته في الكويت وتاريخ كامل للكويت منذ التاريخ القديم وحتى الوقت الراهن من جهة.. ومن جهة اخرى احساساً من المترجمة بفضل الرجال السابقين الذين ساهموا بطريق مباشر او غير مباشر فيما نحن فيه الآن من عيش كريم.

فغلاف الكتاب يحمل صورة الراحل «الشيخ عبد الله السالم» وتحتها بيت من الشعر يمس أوتار القلب وماتحمله من احاسيس ومشاعر كريمة تجاه الماضي ورجالاته يقول البيت

سلام على الدنيا اذا لم يكن فيها
صديق صدوق صادق الوعد منصفا

وأولى صفحات الكتاب عبارة عن شجرة أبناء صباح الثاني بتاريخ رمضان المبارك ١٣٧٠هـ. ثم بعد ذلك مقدمة الكتاب التي ذكر فيها المترجمة اهم ماجاء في الكتاب من حقائق كثيرة عن الاقتصاد في ذلك الوقت،و موسم الغوص على اللؤلؤ. وكيف عاش الكويتيون قبل ظهور النفط حتى شاهدوا ظهور النفط. وعمل المؤلف ممثلا للحاكم لدى شركة النفط.

والكتاب يتكون اساسا من اربعة اجزاء رئيسية مقسمة الى فصول:

فالجزء الاول وصفي اساسا يتحدث فيه المؤلف عن الإمارة والمناطق والقرى المحيطة بها، والقبائل وعائلات شبه الجزيرة.

والجزء الثاني: وهو تاريخي: اساساً.. يتحدث عن نشأة الحركة الوهابية ونهايتها وتأثيراتها على الكويت ورسم الحدود.

أما الجزء الثالث: فهو يعتمد على ذكريات المؤلف اساساً ويغطي الفترة من ١٩٣١-١٩٤٥.

والجزء الرابع: اضافي يتحدث فيه عن اول شحنة من النفط... ولاننسى ان المؤلف هو زوج «زهرة ديكسون» التي لازمته على ارض الكويت طوال هذه الفترة والتي قدمنا لها في السابق كتابها عن (الزهور البرية في الكويت والبحرين).

قضايا استراتيجية في المتوسط

سمير أمين ومحمد سيد احمد وحسن نافعة وفهمية شرف الدين

ترجمة سناء أبو شقرا

بيروت دار الفارابي ١٩٩٢ - ٢٢٣ص

الكتاب من ضمن سلسلة «المتوسط في السياسة الدولية» التي ينظمها ويشرف عليها منتدى العالم الثالث مكتب داكار، وهو يعالج الجوانب السياسية والاستراتيجية في المشكلات المحلية والاقليمية والعالمية التي تنعكس مباشرة على التوازنات والتطورات في منطقة المتوسط .الخليج وبلدان اوروبا الجنوبية، العالم العربي، القرن الافريقي وايران، والكتاب كما يبدو من عنوانه يقع ضمن مجموعة من الكتابات معدة اجمالا لتغذية الجدل السياسي الدائر في شمال وجنوب المتوسط والصحراء بين كل الذين يريدون تطوير العلاقات القائمة بين الاجزاء المكونة لهذه المنطقة على اختلافها في اتجاه يرتفع الى مستوى تحديات المرحلة، ويتوافق في آن مع التطور الفعلي الذي يخدم مصالح شعوبها.

ينقسم الكتاب الى جزأين.

الاول: وهو بقلم سمير أمين يقترح تحليلا للمسائل المتعلقة بالجغرافيا السياسية لمنطقة المتوسط والخليج. وقد استفاد الكاتب من الوثائق الهامة التي جمعت لهذا الغرض.

الثاني: يقدم أربع دراسات أساسية دون أن يجري البحث عن توافق في وجهات النظر حول: المشكلة العربية الاسرائيلية «محمد سيد أحمد» الحرب اللبنانية فهمية شرف الدين السياسة الاستراتيجية المصرية.

حسن نافعة ومسألة الدفاع سمير امين.

مفهوم الدولة

عبد الله العروي -

ط٥- بيروت: المركز الثقافي العربي ١٩٩٣

يذكر المؤلف في التمهيد لكتابه بالقول ان كلا منا يكتشف الدولة قبل ان يكتشف الحرية ويعيش المرء طوال حياته وحتى مماته.. دون ان يتساءل مرة واحدة عن مضمون الدولة وهذا مايتمناه اصحاب السلطة لكن لايحتمل ان يجيء المرء دون ان تطرق سمعه كلمة دولة فالاطفال يسألون مثلا لماذا نقف عند الضوء الاحمر في الشوارع؟! هذا أمر من الدولة. ولماذا نذهب الى المدرسة ونحن اطفال؟ لماذا نؤدي الضرائب ونحن رجال؟ فالدولة تواجهنا اول ماتواجهنا كفكرة مسبقة يطلب منا ان نقبله بلا نقاش كما نقبل خلقتنا وحاجتنا الى الاكل والنوم. نقبل إذن بدون نقاش وجود دولة وضرورة الانقياد لأوامرها.. ومن الخطأ تصور شخص لم يسمع ابداً بأي رمز من رموزالدولة. وبناء على ذلك يجب ان ننطلق من الدولة كواقع مزامن للانسان الذي نعرفه. ويستطرد المؤلف في طرح هذه الاسئلة والاجابة عليها ليناقش المفاهيم والمسميات التي يتعرض لها المرء عند مناقشته لقضية الدولة فمن المعروف ان الدولة مزامنة للفرد والمجتمع وهي مفاهيم متداخلة وأي تساؤل عن الدولة تساؤل عن وظائفها ووسائلها ويصل من هذه الحوارات الى ان كل تفكير حول الدولة يدور على محاور ثلاثة: الهدف، التطور، الوظيفة، واضيف اليها القانون فاصبحت الدولة تدرس حسب اربعة مناهج: القانون، الفلسفة، التاريخ، الاجتماعيات، ويتفق المفكرون السياسيون على المعادلة التالية الدولة الحق، اجتماع واخلاق، قوة وإقناع ويتفقون ايضا على القواعد التالية:

١- لانظرية حقيقية بدون تفكير جدي في اخلاقية الدولة .
٢- اذا لم تجسد الدولة له الاخلاق بقيت ضعيفة .
٣- اضفاء الاخلاق على دولة القهر والاستغلال غبن .
٤- تحرير الدولة من ثقل الاخلاق حكم عليها بالانقراض .

كتاب يصلح للمفكرين والمثقفين والمشتغلين بالقانون والاجتماع.

التدين المنقوص

فهمي هويدي

بيروت دار الشروق ١٩٩٤

الكاتب والمفكر الاسلامي الاستاذ فهمي هويدي غني عن التعريف فكتاباته في الصحف والمجلات وحضوره الدائم في الندوات واللقاءات وإسهاماته في النقاشات والمحاورات على مستوى العالم العربي والغربي تدل على عزيمته التي لاتلين دفاعاً عن الاسلام والمسلمين وكتابه هذا عبارة عن سجل حافل لحوارات ومواجهات جرت كما يذكر في مقدمته على اكثر من جهة طوال سنوات ثلاث وكان قدره ككاتب اسلامي أن يخوض بدينه معركة التقدم وأن يواجه في مسيرته ثلاث معارك في آن واحد الاولى: ضد الناقدين للاسلام.

والثانية: ضد المتربصين بالعاملين في ميدان الدعوة

والثالثة: مع فصائل المتدينين انفسهم الذين امتلأت قلوب اكثرهم بالايمان ولكن وعيهم بحقائق الدين وأساليبه ومقاصده تشوبه شوائب عدة اطلق عليها في الكتاب وصف (التدين المنقوص).

وربما عد الكتاب من هذه الزاوية تسجيلا لهذا الجهد الذي اسهم به المؤلف في المعارك التي دارت على الجهات الثلاث وهو جماع ماكتب في مجلة «العربي» ولاكثر مانشر في الاهرام في الفترة من اغسطس ١٩٨٥- اغسطس ١٩٨٦ وكانت مجلة «العربي الكويتية» هي التي فتحت صفحاتها للكاتب بعد ان ضاقت به صفحات اخرى خلال عام ١٩٧٥ من جانب بعض مواقع السلطة وعدم ارتياحها لكتاباته في صفحة الفكر الديني في الاهرام ووقف تلك الكتابات ووضع اسمه على رأس قائمة المنقولين عام ١٩٧٩.

قسم الكتاب الى أبواب خمسة

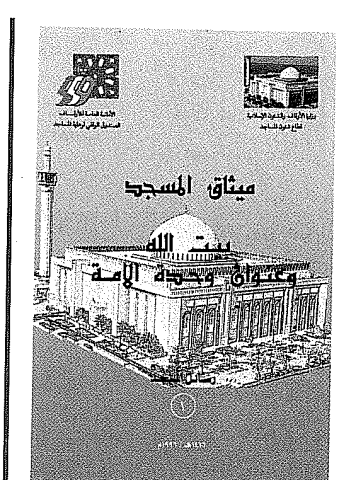
الأول: بعنوان « عابدون وعاملون».
الثاني: عن(الحل الاسلامي)
الثالث:بعنوان (وقفة مع الشقيق)
الرابع: بعنوان (دفاع عن الحقيقة)
الخامس: بعنوان (تعالوا الى كلمة سواء)

الكتاب شيق الاسلوب ممتع القراءة ويعتبر اضافة هامة للمكتبة الاسلامية.

ميثاق المسجد

عن الادارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية صدر كتيب (ميثاق المسجد ــ بيت الله وعنوان وحدة الأمة).

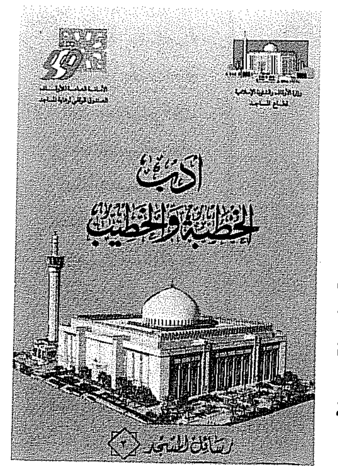
وقد ضم الميثاق المبادىء والأهداف التي توضح رسالته بما يتوافق مع أحكام الشريعة الاسلامية وتعاهدها وتحقيق المصلحة العامة ويعطي للمسجد دوره الفعال في المجتمع المعاصر ويكفل له أداء رسالته في الدعوة إلى الله تعالى.



أدب الخطبة والخطيب

يركز كتاب أدب الخطبة والخطيب الصادر عن الادارة العامة للافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على اهمية خطبة الجمعة ومنهج إعدادها وثقافة الخطيب من العلوم الشرعية والانسانية مع وصايا حول حسن الالقاء والكتاب عدة مناسبة للخطيب يضمن له أسباب النجاح من ناحيتي الشكل والمضمون .

يقع الكتاب في حوالي ٨٨ صفحة من القطع المتوسط.



فتاوى

حكم عمل برامج الكمبيوتر

يرجى التكرم من سيادتكم بالرد على استفسارنا الآتي:
إنني اعمل بمعهد لتدريس دورات الكمبيوتر المختلفة ولطبيعة عملنا يأتي إلينا طلاب من الجامعة أو الكليات لعمل برامج (كمشروع او تمرين) ونقوم بعملها نظير مبلغ من المال نتفق عليه فهل هذا جائز أم حرام؟ علما بأن البرنامج يمكن ان يكون مشروع تخرج وقد يميز الطالب المقتدرعن غير المقتدر، وان كان حراماً فهل تقديم هذا البرنامج مع الشرح للطالب يكون بنفس درجة الحرام أم غير جائز.
نرجو إفتاءنا بذلك بأسرع وقت لأننا قمنا باستلام احد المشاريع من احد الطلبة وللرد عليه نحتاج للإجابة إن كنا سنقوم بعمل المشروع أم لا.

– وقد اجابت اللجنة بالتالي:
لما كان مشروع التخرج مما يتوقف عليه منح الطالب اجازة علمية مبنية على تأهله وتمكنه في تخصصه اعتماداً على جهده الشخصي فإنه لايجوز عمل المشروع نيابة عن الطالب سواء بمقابل مالي أو بغير مقابل لما فيه من الغش والتدليس وخيانة الأمانة.
ويستثنى من ذلك مساعدة الطالب ببعض الخبرات والاستشارات التي يحتاج اليها في عمله او دراسته مما لايحتاج الى جهد او خبرة علمية يختبر بها الطلاب.

تحية المساجد

ماحكم تحية المسجد أثناء خطبة الجمعة؟
–وقد اجابت اللجنة بما يلي:
ذهب جمهور الفقهاء إلى انه يسن لكل من يدخل مسجدا غير المسجد الحرام– يريد الجلوس به لا المرور– ان يصلي ركعتين قبل الجلوس تحية المسجد للحديث الذي رواه ابو قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين) رواه البخاري ومسلم.
واختلف الفقهاء فيمن دخل المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة، هل يصلي تحية المسجد؟
فذهب الشافعية والحنابلة الى ان للداخل الى المسجد يوم الجمعة حال خطبة الامام ان يركع ركعتين يتجوز فيهما، لحديث جابر رضي الله تعالى عنه قال:«جاء سليك الغطفاني ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: ياسليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما» رواه مسلم.
وذهب الحنفية والمالكية الى ان الداخل يجلس ولا يصلي تحية المسجد لقوله تعالى:﴿ فإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا﴾ ذلك ان الخطبة لاتخلو من القرآن والصلاة تفوت الاستماع والانصات اليه.
ولحديث نبشة الهذلي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« إن المسلم إذا اغتسل يوم الجمعة ثم اقبل إلى المسجد لايؤذي أحداً فإن لم يجد الإمام خرج صلى مابدا له، وان وجد الإمام قد خرج جلس فاستمع وانصت حتى يقضي الامام جمعته وكلامه، ان لم يغفر له في جمعته ذلك ذنوبه كلها ان تكون كفارة للجمعة التي تليها» رواه احمد. ولأن الغاية من مشروعية الخطبة انتفاع المصلين بمعانيها، والاشتغال بالصلاة عنها يفوت هذا المعنى.
ثم ان مااستدل به الشافعية والحنبلية من حديث سليك فإنه يحتمل ان يكون خاصا به، وربما كان اختصاصه به هو الراجح بدلالة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر أحداً غيره بذلك، والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال.
وعليه فإن اللجنة – بناء على اختلاف الأدلة – ترى ان الداخل الى المسجد يوم الجمعة والامام يخطب على الخيار في ان يركع ركعتين قبل ان يجلس يتجوز بها موافقه لمذهب الشافعية والحنبلية واتباعا لدليلهم، او يجلس مباشرة لسماع الخطبة ويترك تحية المسجد موافقة للحنفية والمالكية واتباعا لدليلهم.

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

حدود الكتابة الصحفية والدينية

هذه بعض الاسئلة التي أكون شاكراً لو تلقيت اجابة عليها نظراً لما يحمله رأيكم من قيمة نعتز كل الاعتزاز بها:

١- هل هناك موضوعات معينة يجب ألا يخوض فيها رجال الدين، سواء كان داعية او فقهياً، وهل هناك حدود يجب ان يقف عندها؟

٢- ايضا.. بالنسبة للسائل هل يجب عليه ان يقف عند بعض الاشياء ولايسأل فيها، أم ان السؤال مفتوح دائماً للسائل؟

٣- ماحدود الكتابة الصحافية والأدبية من الناحية الدينية؟

٤- متى تقع الفنون بشكل عام في الممنوع دينياً من وجهة نظركم؟

وقد اجابت اللجنة بالتالي:

١- ليس في الاسلام رجال دين، ولكن هنالك علماء بأمور الدين، وفقهاء بأحكام الشريعة، والعالم مخول ان يقول ما يعلم علماً مستنداً الى مصادر موثوق بها، وان يكف عما لايعلم، لقوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون﴾[الصف ٢-٣] وقوله تعالى:﴿إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب.. أولئك مايأكلون في بطونهم إلا النار﴾[البقرة ١٧٤]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم:« مامن رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى به يوم القيامة ملجماً بلجام من النار» رواه ابن ماجه. وعليه فإن حدود ما ينبغي ان يقوله العالم محدودة بمقدار علمه، فمن قال بغير علم فقد ضل وأضل، ومن كتم علماً عمن يحتاج اليه فقد ألجم بلجام من نار يوم القيامة.

٢- أما السؤال الثاني فإن الباب فيه مفتوح امام كل سائل ليسأل عما لايعلمه مما يحتاج اليه في أمور دينه ودنياه مع مراعاة الأدب والتوقير للعلماء، اما ما لايحتاج اليه فينبغي ان يكف عنه، وبخاصة الاسئلة التي لايبتغى منها إلا الفتنة وإشاعة الفرقة والتشكيك في امور العقيدة لقوله تعالى:﴿ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[المائدة / ١٠١].

واذا احتاج الجاهل للسؤال فإنه يسأل من يظن فيه العلم والتقوى، لقوله تعالى:﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾[الانبياء / ٧].

وليتجنب سؤال الجاهلين والفاسقين لكيلا يحرفوه عن الطريق الصحيح فيضل ويضل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« إن الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» رواه مسلم.

٣- أباحت الشريعة للإنسان أن يعبر عما يحمله من أفكار وهو داخل في كرامة الانسان التي امتن الله بها عليه في قوله ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ وهو خير بمعنى الأمر يوجب إقامة كل مامن شأنه ان يحفظ على الانسان كرامته ومن ذلك ان يكون له حق التعبير عن آرائه وافكاره بالوسائل المشروعة.

إلا ان الشريعة قيدت ممارسة هذا الحق بضرورة حفظ حق الله سبحانه وحق العباد، وذلك بأن لايستعمل حق التعبير فيما يخالف الشرع او يضر بالناس ويجمع ذلك الضوابط الآتية:

أ- ألا تتضمن الكتابة الصحفية الأدبية تحريفاً أو تشكيكاً أو تعريضاً او استهزاء أو تكذيباً للعقائد الإسلامية او الاحكام الفقهية المعلومة من الدين بالضرورة او المتفق عليها.

ب- ألا تتضمن الكتابة دعوة او ترويجاً او إغراء بأي فكر أو مذهب يتعارض مع ماجاء في الفقرة الأولى، إلا ان يكون ذلك لتفنيده والرد عليه وبيان بطلانه.

ج- يجوز تناول الاحكام الفقهية ظنية الثبوت والمختلف فيها على سبيل المناقشة العلمية التي يقصد منها نقد بعض الآراء وترجيح غيرها عليها شريطة التزام قواعد الترجيح وتفسير النصوص وقواعد اصول الفقه المعتبرة.

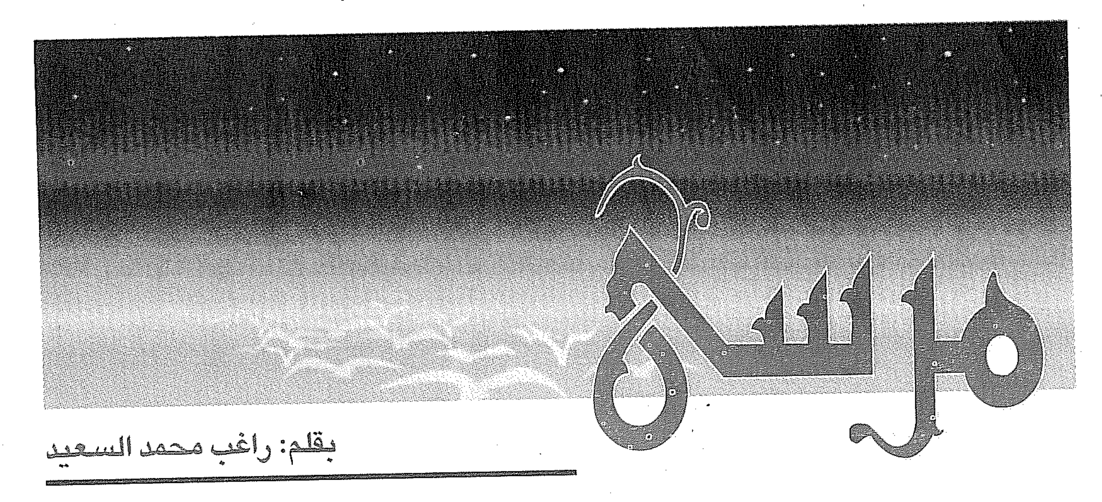
د- لايجوز تفسير نصوص الكتاب والسنة بغير ماتقتضيه قواعد التفسير المعتبرة، وقواعد اللغة العربية، أو احتمالات تفسير النصوص المقررة في اصول الفقه.

هـ- لايجوز ان تتناول الكتابة الصحفية او الادبية تشهيراً بأحد أو اتهاماً أو قذفاً لأمور شخصية أو دون بينة أو سعاية يقصد بها الإضرار او يقصد بها الإغراء بالعدواة بين الناس أو إشاعة الفتنة بينهم.

و- لايجوز ان تتناول الكتابة الصحفية او الأدبية دعوة أو ترويجاً أو إغراء بكل مامن شأنه إفساد الأخلاق وإشاعة الرذيلة.

٤- وأما الفنون فهي علوم وممارسات، وكل ماكان منها مفيداً للناس ولم يرد نص شرعي على المنع منه فهو مباح، أما ماكان منها ضاراً بالناس في دينهم أو دنياهم أو ورد نص شرعي على المنع منه فهو ممنوع، والله اعلم. ■

ييسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ – ١٢ ظهرا ومن ٤ – ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية : ٢٤٤٤٤٠٥ ٢٤٦٦٩١٤ ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



بقلم: راغب محمد السعيد

فلنجفف منابع الأمية!

تعد الأمية من أشد وأخطر الأدواء والإشكالات التي تعاني منها أمتنا الاسلامية، في الوقت الحاضر، والتي يتحتم علينا سرعة إيجاد حل شاف وشامل لها، ونحن نتطلع إلى آفاق مستقبل مشرق،وبخاصة في ظل ارتفاع نسبة الأمية في معظم الدول العربية والإسلامية، حيث تصل الى ٨٠٪ في بعضها، وفي ظل الارتباط المزري بين الجهل والفقر والتخلف والتبعية في مجتمعاتنا، على الرغم من أن ديننا الحنيف هو دين العلم والتعليم، والحض عليهما، والدين الذي يدعو إلى تكريم العلماء بوصفهم ورثة الأنبياء.

بيد أن الأمة التي نعنيها هنا لاتقتصر على مجرد الأمية الأبجدية، رغم خطورتها، بل تنصرف أيضا الى الأمية الدينية، والأمية السياسية، والأمية الثقافية والحضارية.

ومن ثم فإن القضاء على الأمية ينبغي ألا يكون أحادي الجانب، بمعنى أن يبدأ من القضاء على الأمية الأبجدية، دون ان يتوقف عندها، بل يتزامن مع ذلك القضاء على كل من الأمية الدينية والسياسية والثقافية والحضارية، من اجل إتمام عملية إعادة بناء المسلم المعاصر.

وفي تقديري، فإن القضاء على الأمية الأبجدية يعتبر مدخلا طبيعيا ومنطقيا للقضاء على كل صور وجوانب وآثار ومظاهر الأمية، الأمر الذي يتطلب ضرورة التركيز عليها، وتجفيف منابعها، من خلال التوسع في تعليم الكبار والبالغين، ومنع التسرب من مراحل التعليم المختلفة، ومحو أمية المجندين والنساء، وأن يكون محو الأمية جزءاً من مشروعات الخدمة العامة، ومحورا لتشغيل الخريجين، في اطار مشروع إسلامي وطني.

ويكتسب القضاء على الأمية الدينية اهميته في الواقع من ارتفاع اصوات بعض المتطرفين، الى درجة توحي باتساع مساحة التطرف على غير الحقيقة، الأمر الذي يستلزم تحصين جموع المسلمين ضد التطرف والعنف والارهاب، من خلال نشر وتعميق القيم والمبادىء الإسلامية الصحيحة، والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

أما القضاء على الأمية السياسية. فيجب أن يحظى باهتمام كبير، يتناسب مع قيمة المشاركة والشورى والحرية والمساواة والعدالة والاعتدال في الإسلام. ويتطلب ذلك تأصيل وإعمال قواعد الاتفاق والاختلاف والاستخلاف في الإسلام، بالإضافة الى التعامل مع المفاهيم السياسية المعاصرة بشيء من المرونة والانفتاح، وبلاحساسية، فالاعتراف بالديموقراطية مثلا لايلغي الشورى، وهكذا.

وأخيرا، فإن القضاء على الأمية الثقافية والحضارية لايقل أهمية عن القضاء على الأمية الأبجدية بحال من الأحوال، الأمر الذي يقتضينا استلهام واستحضار روح الحضارة العربية والإسلامية، والتفاعل مع الجوانب المضيئة والمعطيات والمستجدات الإيجابية الراهنة، في الحضارة العالمية المعاصرة.

لذلك، وترتيبا على كل ماسبق، فإنه لمن الأهمية بمكان ان تتواصل جهودنا عبر الزمان والهيئات والمكان، في اتجاه تجفيف منابع الأمية، من خلال مشروع إسلامي استراتيجي كبير، يتوافر له الدعم المادي، والتأييد المعنوي والإعلامي بصفة خاصة.

والآن تعالوا نجفف منابع الأمية! ■

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..